

نفاحات الأندلس
من بلاد الأندلس

تأليف العالم المحقق
السيد علوي بن عباس المالكي

جمع وترتيب ابنه
الدكتور محمد علوي المالكي

عقيد بن بشر وطيفه خادم الغلام
عبد الله إبراهيم الأنصاري

طبع عن نفقة

الشيون الدينية بدولة قطر

نَفَحَاتُ الْإِسْلَامِ

مِنْ بَلَدِ الْحَرَامِ

تأليف العالم المحقق
السيد علوي بن عباس المالكي المكي

جمع وترتيب ابنه
الدكتور محمد علوي المالكلي

مكتبة الشيخ محمد بن عبد الله الأنصاري
رقم التصنيف :
الرقم المسام :
الرقم الأس :
تاريخه ورود :

عني بنشره وطبعه خادم الغام
عبد الله إبراهيم الأنصاري

طبع على نفقة
الشيون الدينية بدولة قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نحمدك اللهم ونستغفرك ونصلي ونسلم على رسول الهدى
النبي القرشي المكي التهامي وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا
بهديه وسلكوا سبيله إلى يوم الدين ... وبعد :

فقد أوجب الله تعالى على أهل العلم الدعوة إلى الله وأمرهم
بسلوك سبيل البصيرة والحكمة في الدعوة وأخبر سبحانه أن
الذكرى تنفع المؤمنين ، وأن في الارشاد بالقرآن والسنة ذكرى
لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وأخبر جل ذكره
أن أهل الخشية يتذكرون ويتعظون بالذكرى (فذكر إن نفعت
الذكرى سيذكر من يخشى) .

ولذلك وجدنا كثيراً من أفاضل العلماء صرف حياته في
سبيل الارشاد والدعوة إلى الله والجهاد في سبيل تعليم الناس
واجبات ربهم وقد حازوا قصب السبق في ميادين التبليغ
والارشاد ، وهدى الله بهم أقواماً كانوا يعمهون في ضلالهم
وأسمع بهم آذاناً صمت عن الهدى وفتح بهم قلوباً كانت

مقفولة عن نيل السعادة والرشاد ، فهنيئاً لهم عندما تسمع
بشارة الرسول ، ﷺ ، عمن يهدي الله به شخصاً واحداً. يقول
فيه البشير النذير: خير له من حمر النعم . فكيف بمن يهدي
الله به جمعاً غفيراً وعدداً كبيراً فبخ لمن نال مرتبة الارشاد ،
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

أخي القارئ :

من بين هؤلاء الأبطال عالمٌ جليلٌ كان سيداً لي ومربياً لروحي
ومؤدباً لنفسي ولست وحدي نال منه الخير الوفير والعلم والسعادة
والبركة بل هم جمع غفير كنا نحلق حوله في مهبط الوحي
ومنزل الرحمات تجاه بيت الله الحرام فكم أدركنا من علمه
ثمراً يانعة وقلنا من فضل تربيته آداباً سامية إذا شرع في
شرح حديث تتخيل أمواجاً من العلم ينساب من صدره إليك .
وقاد ذهن إذا جالت قريحته يكاد يقضى عليه من تلهبه
ذلك هو استاذي السيد علوي بن عباس المالكي المكي
مدرس مسجد الحرام تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه
وسكنه فيح جناته وجمعنا به في مقر رحمته ،
وبيت نحي ندرتي هذه نجس العالية والنصائح السامية

لتعيها وتحفظها وتنشرها على من يستحقها ، هي يا أخي
(نفحات الإسلام من وحي المسجد الحرام) درر زاهية تجلو
بها الصداً عن القلوب وتجذب بها أهل الدين ليسهل على
مريدي الوعظ والتذكير إلقاءها في مجالس الارشاد والتبليغ ،
فجزى الله مؤلفها خير الجزاء ولا ريب أنها ماثرة عظيمة له
كيف لا وهو العلم الذي ينتفع به بعده ، وقد جمعه في طبعته
السابقة نجله البار الفاضل الدكتور السيد محمد بن السيد
علوي عباس المالكي فبارك الله فيه ونفع بعلمه وجعله من
خير الدعاة إلى الله .

ونسأل الله تعالى أن يجزل لنا الأجر والثواب في بذل جهدنا
لطبوع هذا الكتاب ونشر هذه الطبعة ، وأن يتقبل منا ويرزقنا
جميعاً الإخلاص في الأعمال والأقوال ويخصنا بفضله ورحمته
وكل من ساهم في طبعه ونشره ، إنه سميع مجيب ، والله
ولي التوفيق ،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

خادم العلم
عبدالله ابراهيم الأنصاري

« من واجبات الدين »

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

أيها السادة - نتكلم اليوم عن علاج أمراض اجتماعية ، شاع أمرها ، وعظم خطرها ، وعمت البلية بها أهل الحضرة ، وأرباب البوادي ، بل هي في إخواننا أهل البادية أكثر ، فلذا أردنا أن نتحدث عنها ، قاصدين علاجاً ، على ضوء الشرع الشريف ، بقصد النصيحة الإسلامية ، سيما وقد كثر السؤال عنها ، فنقول : إن العادات الاجتماعية يجب عرضها أولاً على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة - صريحاً أو كان داخلاً تحت عمومها غير مناقض لأسرار التشريع - كان مقبولاً ، وما خالف كتاباً أو سنة أو ناقض هدف الشارع من مراعاة المصالح كان مردوداً .

ولذا يجب أن نزن أعمالنا وأقوالنا وعاداتنا ومعاملاتنا بميزان الشرع الحكيم ، فمن تلك العادات القبيحة كثرة الحلف بالطلاق

لأنّفه سبب ، ولأدنى مناسبة ، حتى صار ذلك أمراً مألوفاً يعتاده
السمع ، وإن أنكره الشرع ، واقشعر منه الطبع ، وربما وقع
موجب الطلاق والحالف والسامعون في غفلة عن ذلك ، ساهون أو
متغافلون ، إن ذلك أمر مؤلم تسمئز منه النفوس ، وتتأثر لوقعه
القلوب ، وقد قال رسول الله ، ﷺ ، : « أبغض الحلال إلى الله
الطلاق » .

فعلى العلماء والعقلاء نهى العوام والشباب عن ذلك ، لأنه من
أخطر أسباب المهالك ، ويدفع لوقوع الإنسان في الحرام ،
فالتلاعب بالطلاق من علامات الجهل والنفاق ، وهو سبب
للقطيعة والشقاق ، فعلىنا عباد الله أن نراقب المولى عز وجل في
أزواجنا وأولادنا لئلا نقع في الحرام ، ولكي لا نكون سبباً
لتفريق جمعنا ، وتشتيت شمل أولادنا ، وأهلينا ، وحرمان
نوصل بيننا ، وارتكاب المحرم والكذب عن الواقع بغية
للاجتمع .

ومن تلك العادات القبيحة التي يجب فيها بذل النصيحة ،
ضم نساء . وعتقاد نهن لا حق لهن في الإرث ، مع أن الشرع
الإسلامي حقق لذكر مش حظ لأنثيين ، وقرر للرجال نصيباً ،

وللنساء نصيباً ، فقال تبارك وتعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً » .

وقد قال النبي ﷺ : « من حرم وارثاً من إرثه ، لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام » .

ومن تلك العادات القبيحة ، التي عمت المدن والبوادي ، المبالغة في مهور النساء ، وجعلهن كالسلع التي تباع وتشتري ، من غير تقدير للقرابة ، والأخوة ، والمحبة ، ومن غير مراعاة للشهامة ، والمروءة ، بل بلغ الحال ببعضهم طلب فسخ العقد بعد لزومه ، وارتباطه الشرعي ، متظاهراً بأسباب تافهة ، والحقيقة هي الطمع ، وهذا من أعظم المصائب . ومن تقديس العادة السيئة والتغالي في حب المال ، والمال يفنى والشرف يبقى ، وشرف الإنسان أعلى من المال . والعاقل يطمع في الرجال لا في الأموال

ومن العادات المذمومة ، وما جرى عليه العمل عند الجهلاء من العوام ، وذلك هو نكاح الشغار ، وهو مقابلة البضع بالبضع ، كقولهم زوجني بنتك على أن أزوجك بنتي ، أو أعطني أختك

بأختي ، وهذا حرام . ويسمى في الشرع نكاح الشغار ، ويجب
فسخ ذلك العقد في القول الصحيح على فساد العقد . كما يقول
الناظم في فقه المالكية :

والبضع بالبضع هو الشغار وعقده ليس له قرار
وينبغي للحاكم تعزير فاعل ذلك وهو من الذنوب الكبائر
تلزم منه التوبة والندم .

وأما إذا قدر لكل زوجة مهر خاص ، وجرى العقد على ذلك
المسمى من الصداق المعجل أو المؤجل ، من غير توقف وتلازم ،
بين العقدين ، بحيث يكون عقداً مستقلاً بنفسه من غير
ملازمة ، وتوقف على العقد الآخر فلا بأس وذلك العقد صحيح .
ولا إثم على من يفعل ذلك ، وكونه في مجلسين مع تفاوت بين
الصداقين في العقد أفضل وأبعد عن الريبة - أما جعل الصداق
حيلة فقط والقصد مقابلة البضع بالبضع ، فهذا لا يكفي
بدليل امتناع أحد الطرفين عن إقامة الزفاف والدخول حتى يتم
العقد الآخر ، وإلا قامت بينهم قيامة الخصام ، فهذا حرام
لأن القصد منه في الحقيقة نكاح الشغار والمقابلة ، وإنما الأعمال

بالنيات ، فعلى العلماء والمأذونين في إجراء العقود التحذير من ذلك فإنه سبب الفتن والنزاع ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

ومما يجب الابتعاد عنه ، والتحذير منه ، مخافة اختلاط الرجال بالنساء في المجتمعات ، أو موارد البيع والشراء أو محافل الأفراح ، محافظة على أمر الشارع ، وابتعاداً عن أسباب الفتنة ، لأن ذلك يوجب البلاء أو شر الغرائز الموجبة لوقوع المحرمات ، فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .
ومما ينبغي التنبيه له ويجب الحض على تأديته الصلوات المفروضات ، ومراعاة شروطها سيما للنساء والأطفال ، ليعمنا الله برضوانه وبرحمته .

وكذلك إرسال الأبناء الصغار لحفظ القرآن وللمدارس لينشأوا على معرفة أحكام الدين ، ويزول عنهم الجهل ، فينشأوا جيلاً صالحاً ، نافعاً للعباد والبلاد ، نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

« الإيمان بالله »

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
وعلى آله وأصحابه .

أيها السادة - إن الدين الإسلامي الذي هدانا الله إلى اعتناقه
أعظم الأديان السماوية ، سعادة وهناءً ، وأكثرها ملائمة للطبائع
البشرية ، وأعظمها صلاحية لما تتطلبه الأذواق الإنسانية ، في
كل زمان ومكان ، فهو دين الحضارة ودين المدنية وناموس
العدالة والحرية ، وقانون الحق والانصاف والمساواة ، يحق
الحق ويبطل الباطل ولو كره المعاندون ، والمكابرون ، فالحمد
لله الذي هدانا لهذا الدين الحنيف ، وما كنا لنهتدي لولا أن
هدانا الله ، دين كهذا لا بد له من أسس متينة يقوم عليها ،
ودعائم قوية يستند إليها ، وبقدر متانة الأساس تكون متانة
البناء وصلاحيته ، فأول أركان الإسلام شهادة أن لا آله إلا الله ،
وأن نبينا محمداً رسول الله ﷺ ، يستهل الإنسان بهذا الركن
العظيم ، الذي هو بمثابة المفتاح للقلب ينطق المرء بهذا المنطق
الفطري السليم ، فقد كان مظلم القلب ضيق الصدر ، منقبض

النفس ، فسرعان ما يضيء قلبه ، وينشرح صدره ، وتنفرج نفسه ، قال الله عز وجل « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت .

والثاني إقام الصلاة ، وهي التشرف للمشول بين يدي أحكم الحاكمين ، خمس مرّات في كل يوم وليلة ، يناجي الإنسان فيها ربه ، ويدعوه فيصفو ويشرف وتسكن نفسه وتخضع جوارحه ، وينتهي عن الفحشاء والمنكر ، قال الله عز وجل « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

والثالث من الأركان عملٌ إنساني محض ، يقصد به مساعدة الفقراء والمعوزين ، ومد يد المعونة إلى البائسين والمنكوبين ، وتفريج كرب المكروبين ، وتخفيف ويلات المصابين ، ومواساة من أضنى عليهم الدهر ، وعضهم بأنياب الحاجة وال فقر ، فأمسوا بعد عزهم مساكين أذلة ، أذلتهم الحاجة فأدأء هذا الركن من حقهم ، ألا وهو الزكاة ، فالحق أن مكانة الزكاة من الدين الإسلامي مكانة الرباط المتين ، الذي ربط به المولى وحدة المسلمين . وأوثق به عرى اتحادهم وألف به بين قلوبهم ، وجعله أكبر علامة يتعلق بها فقيرهم بغنيهم ، وضعيفهم

بقويهم ، فتسير أعمالهم ، ولا تتعطل مصالحهم ، ولا يكون
للضغينة والحقْد أثر في قلوبهم ، فسبحانه من إله مشرع حكيم
عليم ، جعل وسائل الألفة بين قلوب المؤمنين .

والركن الرابع ، عمليّ خلقي اجتماعي ديني إنساني ، وهو
صوم رمضان ، فصوم هذا الشهر يصحّ الله به أجسامنا ،
ويهدب بحقيقته أخلاقنا وترق طباعنا ، رحمة للفقراء
والبائسين وتصفو نفوسنا من شوائب المعاصي والذنوب ، وتخفق
بالشفقة والرحمة قلوبنا ، فنحسن للفقراء والمساكين ، لنمد
أيدينا إليهم بالعطاء وبصدقة الفطر حتى يأتي العيد عليهم وهم
فرحون مستبشرون ، فما أدقه من نظام بديع ، وترتيب حكيم ،
وتعليم عظيم من إله لا تجوز عليه الغفلة ، ولا يدركه السهو ،
فسبحان الله ما أعظم شأنه فهو أرحم الراحمين لا راد لفضله ،
ولا معقب لحكمه يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

والخامس من الأركان وهو اجتماعي ديني ، وهو حج بيت
الله الحرام وهو زيارة الكعبة المشرفة ، والطواف بها والوقوف
بعرفة ، وتأدية مناسك الحج للقادر على ذلك ، يترك الناس
أوطانهم وأموالهم وأولادهم ومتاعهم ، وكل ما تقر به عيونهم

عن طيب خاطر ، ويتجشمون متاعب الأسفار ، ويركبون متون
البحار ، ويعرضون نفوسهم للأخطار ، ويواجهون الصعاب
والأهوال ، ويعيشون عيشة التقشف والزهد ، لا طمعاً في مال
يحظون به ، ولا مسارعةً لدنيا يصيبونها ولكن فيما هو أسمى
من كل هذا وأشرف ، يعملون ذلك حباً في الله ، وابتغاءً مرضاة
الله ، وتعظيماً لشعائر الله ، فأولئك مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، هذه أركان الدين
الإسلامي التي شيد الله عليها ديننا القويم ، وسلك بوجودها
المسلمون نهج الصراط المستقيم : وما احسن ما قيل .

دين يُشيدُ آية في آية لبناته السورات والأضواء
الحق فيه هو الأساس وكيف لا والله جلّ جلاله البناء
فمن حافظ على هذه الأركان وأخلص لله في أداء العبادة للواحد
الديان فجدير بأن يفوز بسكنى الجنان .

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لاتباع الدين والتمسك بأعماله
وأخلاقه وآدابه والمحافظة على اتباع سيد المرسلين والحمد لله
رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محاسن الإسلام

- ١ -

نحمدك اللهم على ما مننتَ به من الهداية والتوفيق ، ونصلي
ونسلمُّ على نبينا ورسولنا محمد الهادي إلى أقوم طريق ، وعلى
آله الأطهار النبلاء ، وأصحابه الأخيار الأجلاء ، ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، ففي هذه الليلة المباركة نفتتح مجلسنا هذا بذكر
« محاسن الإسلام » راجين من الله عز وجل أن يكلل أعمالنا
بالإخلاص والنجاح إنه سميع مجيب .

محاضرتنا : بعنوان (ذكر محاسن الإسلام)

أيها السادة الكرام :

قال الله عز وجل في كتابه العزيز : (إن الدين عند الله الإسلام) .
كم لهذا الدين الإسلامي من محاسن كثيرة ، وفضائل جمَّة ،
وآثار جليلة ، وأسرار عظيمة ، تحمل ذوي العقول السليمة
والفطر المستقيمة على التمسك به ، والتحلِّي بآدابه ، والاهتداء
بنوره ، وكلما كان المرء سليم العقل نير التبصر يشتد تعلقه
بهذا الدين الحنيف ، لما فيه من جليل المحاسن وجميل الفضائل .
لقد أخرج الله العرب الأميين بهذا الدين الرباني من الجهل إلى

العلم ، ومن التفرُّق إلى الإِتِّحاد ، ومن الخمول إلى الشهرة ،
ومن الجمود إلى التفكير الناضج . وأبدلهم بالخوف أمناً ،
وبالعداوة محبة ، وبالضعف قوة ، وبالذل عزاً ، وبالفقر غنى
وبجفاء الطباع وغلظ الأكباد رأفة ورحمة ، وبالتوحش والهمجية
مدنية وحضارة .

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلاً
لاتذكروا الكتب السوالف عنده ظهر الصباح فأفسد القنديلا
الله أكبر ما أجل حكمة هذا التشريع الإسلامي . لقد صاغهم
إخواناً ، وألف بين قلوبهم فكانوا أمة شديدة البأس
عظيمة القوة ، واسعة السلطان ، منهم أساتذة العالم علماً
وسياسة وأدباً وأئمة الفنون اختراعاً وتطبيقاً . قلمهم يكتب
فيطاع وحسامهم ينتض فيُهاب . وراياتهم تخفق على ربا الكون
فيجري من تحتها العدل والسلام بعد ما كانوا بالأمس في
جاهليتهم أذلاء ، فقد ضربهم الجهل بسوط من عذاب الهون ،
وبسط عليهم أيدياً كالْحجارة أو أشد قسوة ، فصاروا إلى تقاطع
وتدابير وتناحر وغفلة وركود وذل ولهو وتباطؤ وبلاء . فصاح
بهم منادي الإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا . وقلِّبوا أنظارهم في
كل ناحية من نواحي حياتهم وتدبروا شئونهم فما كان من خلل

أصلحوه ، وما ظهر من عوج قَوْمِهِ واستعاضوا الهزل بالجد ،
والتباطؤ بالعمل ، والبلاء بالسعادة ، والركود باليقظة ، والتدابير
بالتناصح والأخوة ، والتفرُّق بالحزم والنشاط ، وبنوا مجدداً
وسيادة ، وكانوا خير أمة أُخرجت للناس يأْمرون بالمعروف ،
وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله لا يبتغون بذلك الإِصلاح
والتقويم إلا وجه الله العظيم . أليس هذا كله بفضل دين الإسلام
وسر حقائقه النقية ، وأصوله المحكمة التي لا يأتئها الباطل من
بين يديها ولا من خلفها ، تنزيل من حكيم حميد .

سبحانك اللهم أنتَ العليم الحكيم ، إن الدين عندك هو
الإسلام : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه) بل تجعل
عمله هبَاءً منشوراً . إهدنا الصراط المستقيم ووفقنا للعمل بالدين
القويم حتى نكون في الأرض خير خلفاء ، ونعيد مجد السلف
من الآباء ، وألهمنا معرفة أسرار تشريعك حتى نعبدك على ضوء
اليقين والإخلاص ، فإنك تهدي من تشاء ، وتضلُّ من تشاء ،
وأنتَ على كل شيء قدير .

أجل : لقد هامت بحب هذا الدين الإسلامي النفوس الطاهرة
التي لم تتدنس لأنها أدركت مزاياه ، ولا عجب فهو دين فتح

أقفال المشكلات ، وأزال الحجاب عن محيّا الحقائق . دينٌ رباني شهد له أعداؤه أنه ينشر نفسه بنفسه ، من غير تبشير من أهله ، ولا غرامة : دين ، يكيّد له حسّاده من يوم أنزل ، وهو كما ترى ، لم يطفأ له نور ، ولم يضعف له برهان .

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون) .

دينٌ ترى مبغضيه يقتربون منه كل يوم من حيث يشعرون ، ومن حيث لا يشعرون ، ذلك أنهم بهذه المكتشفات الحديثة والعلوم الكونية الجديدة لم يزيدوا إلا أنهم صاروا به يصدّقون وبفضله يشهدون . والفضل ما شهدت به الأعداء

قال الله عز وجل : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

دينٌ أنجب من العلماء والعظماء ما لم ينجبه قبله دين ، أنجب مثل « الصديق » في ثباته وحلمه ، ومثل « الفاروق » في عدله وعزته ومثل « ذي النورين » في إخلاصه ونبله ، ومثل « أبي السبطين » في شجاعته وعلمه . دين حافظ على العقول والأعراض فحرم الخمر والقذف ، وحكم بجلد من يتناول المسكر ، أو

يطعن في عرض أخيه . دينٌ حافظ على المروءة والعفة والأنساب .
فأحلَّ النكاح وحرَّم الزنا ومقدماته ، وفرض جلد غير المحصن
والنفي عن الوطن تأديباً ، ويرجم المحصن الزاني ليموت ميتة
الكلاب ، صيانة للأعراض والأنساب . دينٌ حفظ العالم من الفوضى
والاضطراب ، فشرَّع من المعاملات ما فيه راحة المجتمع الشرعي
وحاجة الناس ، وأحلَّ البيع والشراء والرهن والقرض والحوالة
والعارية والإجارة والشركة والقراض ، لتبادل المنافع على أحسن
وجه من رعاية المصالح في حدود دائرة العدل . دينٌ ربَّ الله تعالى
فيه الحدود الشرعية زجراً للنفوس ومحافظة على الأرواح
والأعراض والأموال فشرَّع القصاص لحياة النفوس ، قال تعالى
في محكم كتابه المبين : (ولكم في القصاص حياة يا أولي
الألباب لعلكم تتقون) . وحكم بقطع يد السارق والسارقة
لتكون إعلاناً متحركاً للاعتبار ، ودرساً زاجراً ، قال تعالى :
(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله ،
والله عزيز حكيم) . ولذا قال الإمام علم الدين السخاوي رداً على
المعري القائل :

يد بخمس مئتين عسجد أدبت ما بالها قطعت في ربع دينار

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة الباري
وقال القاضي عياض :

لما كانت أمينة كانت ثمينة فلما خانت هانت
دين شرع من العبادات الصلوات في جماعة تهذيباً للنفوس ،
وبعثاً لروح الإخاء بتأكيد رابطة اللقاء في بيوت الله عز وجل ،
وأوجب الزكاة تطهيراً للنفوس من رذيلة البخل والشح ، وحض
على السخاء تقوية لمحبة الفقراء للأغنياء . وفرض الصيام
تزكية للروح ، لتشعر بألم الجوع ، فتميل للعطف وتتعود
قوة الإرادة في كبح جماح الشهوات ،

وشرع الحج في صعيد (عرفات) للتعارف والتآلف والدعاء
والذكر وإظهار منتهى الخضوع من العبد لأوامر سيده ومولاه ،
والتعاون على الإصلاح والتدبير . دين كتابه القرآن الجامع ،
والنور اللامع ، والهدى والرحمة والذكرى للعباد ، ولذا نسمع
الافتتاح به في كل إذاعة حتى من مواطن الضلال ، وإذاعات
الأعداء ، يرسل على الكون شعاعه ويثبت أنه الكتاب الحق
الذي جاء مهيمناً على الكتب السماوية كلها : (إن في ذلك
لآياتٍ لقوم يعقلون) . دين جاء نبيه ، ﷺ ، مبعوثاً من أجل

أن يتمم مكارم الأخلاق . فما من فضيلة إلا حُصَّ عليها ، وما من رذيلة إلا حُدِّرَ منها ، ذلك لأن الأخلاق بها صلاح الأمور كلها لقول الشاعر :

صلاحُ أمرِك للأخلاقِ مرجعه فقومُ النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها في خير عافية والنفس من شرِّها في مرتع وخم

دينٌ صالح لكل زمان ومكان ، كافل لسعادة البشر ، فهو دين الحياة والإصلاح ، دين الرقي والحضارة ، أشرف الأديان وخاتمها . دينٌ أنى الله عزَّ وجلَّ به على عباده لأنه شمل ظله الوارف من دخل تحت لوائه حتى أهل الذمة ، وحتى الأعداء ، ولم يفرِّق بين أسود وأبيض ، ولا بين عربي وعجمي ، لا تفاضل إلا بالتقوى ، فالكل في الحقوق سواء ، ولذا قال الله عز وجل : (اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

دينٌ يشيد آية في آية لبناته السورات والأضواء
الحق فيه هو الأساس وكيف لا والله جلَّ جلاله البنائ
دينٌ سماوي كامل فيه المثل العليا للأخلاق الفاضلة والمزايا الكاملة والعدل والإخاء ، لقد فرض الله تعالى في الإسلام العدل

حتى في معاملة الأعداء ، فقال : (ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون) . عدلٌ شامل ورحمة واسعة ونظام سام وحضارة راقية ، وتهذيب للإنسان ، وارتقاء بالضمير الإنساني إلى أفق الطهارة والإنصاف من حضيض الدنس والاعتساف ، فليسمع هؤلاء المفتونون بالحضارات الزائفة البراقة ، فإنها مظاهر لا حقائق ، وأجساد بلا أرواح ، وحضارات بلا قلوب ، لا تهذب النفوس ، ولا تسمو بالأُمم ، ولا تنجّي من العقاب ، وآثارها ملموسة من الاستبداد والتوحش والاستعمار والتفريق بين العناصر ونبد الضعفاء : فما أعظم دين . الإسلام ، وما أجَلُّ محاسنه الجليلة ، فلا سلام للعالم اليوم إلا باتّباع تعاليمه الربانية السمحة القويمة ، ومهما حاول الكاتب البليغ أو الخطيب المصقع أن يحيط بمحاسنه وصفاته ومرونة أصوله وفروعه وأسراره فلن يبلغا الغاية من ذلك ، ولا ما يقرب منها ، مما تضيق المجلدات الضخام : (ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام) ، لقد انبلج نور الحق في أفق الكون منذ أربعة عشر قرناً فانقشعت أمامه ظلمات الجهل والضلالة ، وأشرقت أنوار الرسالة

أن يتمم مكارم الأخلاق . فما من فضيلة إلا حُصَّ عليها ، وما من رذيلة إلا حذَّر منها ، ذلك لأن الأخلاق بها صلاح الأمور كلها لقول الشاعر :

صلاحُ أمرِك للأخلاقِ مرجعه فقومُ النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها في خير عافية والنفس من شرِّها في مرتع وخم

دينٌ صالح لكل زمان ومكان ، كافل لسعادة البشر ، فهو دين الحياة والإصلاح ، دين الرقي والحضارة ، أشرف الأديان وخاتمها . دينٌ أثنى الله عزَّ وجل به على عباده لأنه شمل ظله الوارف من دخل تحت لوائه حتى أهل الذمة ، وحتى الأعداء ، ولم يفرِّق بين أسود وأبيض ، ولا بين عربي وعجمي ، لا تفاضل إلا بالتقوى ، فالكل في الحقوق سواء ، ولذا قال الله عز وجل : (اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

دينٌ يشيد آية في آية لبناته السورات والأضواء
الحق فيه هو الأساس وكيف لا والله جلَّ جلاله البنائ
دينٌ سماوي كامل فيه المثل العليا للأخلاق الفاضلة والمزايا
الكاملة والعدل والإخاء ، لقد فرض الله تعالى في الإسلام العدل

حتى في معاملة الأعداء ، فقال : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون) . عدلٌ شامل ورحمة واسعة ونظام سام وحضارة راقية ، وتهذيب للإنسان ، وارتقاء بالضمير الإنساني إلى أفق الطهارة والإنصاف من حضيض الدنس والاعتساف ، فليسمع هؤلاء المفتونون بالحضارات الزائفة البراقة ، فإنها مظاهر لا حقائق ، وأجساد بلا أرواح ، وحضارات بلا قلوب ، لا تهذب النفوس ، ولا تسمو بالأمم ، ولا تنجّي من العقاب ، وآثارها ملموسة من الاستبداد والتوحش والاستعمار والتفريق بين العناصر ونبذ الضعفاء : فما أعظم دين . الإسلام ، وما أجلّ محاسنه الجليلة ، فلا سلام للعالم اليوم إلا باتّباع تعاليمه الربانية السمحة القويمة ، ومهما حاول الكاتب البليغ أو الخطيب المصقع أن يحيط بمحاسنه وصفاته ومرونة أصوله وفروعه وأساره فلن يبلغا الغاية من ذلك ، ولا ما يقرب منها ، مما تضيق المجلدات الضخام : (ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام) ، لقد انبجج نور الحق في أفق الكون منذ أربعة عشر قرناً فانقضت أمامه ظلمات الجهل والضلالة ، وأشرقت أنوار الرسالة

وخفقت أعلام التوحيد على ربا المعمورة ، وأدى الرسول ﷺ رسالته كاملة غير منقوصة ، وبلغ الأمانة ونصح الأمة وجلا الغمة ، وهدى الناس إلى الصراط المستقيم ، واقتفى نهجه القويم تلامذته الغر الميامين من الأنصار والمهاجرين ، ثم من التابعين لهم بإحسان ، فقاموا بنشر تعاليمه السامية في جميع الأقطار ، فعم السلام ، وانتشر الإسلام واستقرت الطمأنينة بين الأنام ، ودخل الناس في دين الله أفواجا . لما تحققوا ما تصبو إليه نفوسهم من سعادة شاملة ورغد عيش كامل .

ومرَّ هذا العصر الإسلامي المزدهر والمسلمون يرفلون في الهناء والسعد ، ماض جدير بالذكر والفخر ، بسطوا فيه سلطانهم على الأمم في مختلف الأقطار وفتحوا بإرشاداتهم القلوب قبل القوالب والحصون ، ومهدوها بالأخلاق والفنون ، فانقاد الناس للدين واستكانوا لحكم المسلمين ، فالإسلام دينُ عمل ، لذا أعرض عنه المتكاسلون ، ودين علم لذا أحجم عنه الجاهلون ، ودين عدل ، لذا كرهه الجائرون ، لقد أمرنا معشر المسلمين بالعلم فركنا للجهل ، وحرصنا على العمل فاستكنا للكسل ، وحثنا على الصدق فانطوينا على الغش والكذب والخيانة ، وطالبنا

بالاعتصام بالله فاستعنا بغيره وتفرقنا طرائق قِدْداً ، وراحت كل طائفة تبغض الأخرى وتناصبها العداة حتى استحكمت بيننا البغضاء واستولى علينا الحقد . وشت بنا الأعداء والحساد .

أما آن لنا أن نتمسك بديننا ونعص بالنواجذ على تعاليم سنّة رسولنا الكريم لنستعيد سالف مجدنا وسؤددنا ، لقد كان صرح الإسلام مشيداً غير لبنة واحدة فكان نبينا عليه السلام موضع تلك اللبنة ، أكمل الله به الدين وتمم مكارم الأخلاق ، فما من تشريع نافع وما من إصلاح عام خالد يصلح أن يكون دستور الخير والسعادة لنا وللأجيال المقبلة ، إلا وقد جاء به الإسلام ، ورسم به طريق النجاح والفلاح للدين والدنيا والآخرة . لقد أصلح الإسلام الحاكم والمحكوم ، والأغنياء والفقراء ، وأرشد التجار ونصح الصناع ورسم طرق التربية للأسرة عموماً والأولاد خصوصاً ، فأعطى الخدم حقوقهم ، وحض على العدل وحذّر من الظلم فقال : (إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ، وأوجب على الأمة أن تكون متعاونة على الخير ، بعيدة عن الشر ، فقال عز وجل : (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .

ونهى عن الميل إلى الظالمين خشية التعرض لعذابهم فقال تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) ، وحثنا على القيام بالحق ، ولو كان ذلك عكس مصلحتنا ، فقال عز وجل : (يا أيُّها الذين آمنوا كونوا قوَّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما) .

وأمر التجار بإيفاء المكايل والموازين فقال تعالى : (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) . ونظم الحياة الزوجية وبين الحقوق بالمعروف ، قال عز وجل : (ولهنَّ مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم) . وقال تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) .

وعالج الإسلام الحالة الاقتصادية ، وأمر بالتوسط في الإنفاق فقال تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوماً محسوراً) . وفرض الزكاة في أموال الأغنياء تطهيراً للنفوس من رذيلة البخل وعطفاً على الضعفاء ، فقال عز وجل : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم ، إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) .

كما أمر المعوزين بالصبر ووعدهم بالثبوت والغنى ، فقال تعالى :
 (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مُراعماً كثيراً وسعة) .
 وقال : (وبشر الصابرين) . وأبطل الإسلام ظلم الجاهلية في
 الأرض ، وقرّر الانصباة وتولى قسمتها فقال : (للرجال نصيب
 مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
 والأقربون مما قل منه أو كُتّر نصيباً مفروضاً) . وحضّ الإسلام
 الصناعات على الأمانة والصدق ، وحذرهم من الخيانة ، فقال عليه
 الصلاة والسلام : « من غشناً فليس منا » . وقال أيضاً : « أدّ الأمانة
 إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك » . وبين الإسلام أن المال
 يلهي وييطغي ، وأن المال ، وكذا الأولاد فتنة إلا لمن حفظ الله
 فقال تعالى : (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) . وقال تعالى :
 (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأنّ الله عنده أجر عظيم) .
 إلى غير ذلك من الأحكام والحكم والأسرار مما لا يحصى .
 وبعد ، فهذه من علوم القرآن قطرة من بحر ، ودرة عقد
 نحر ، وغيض من فيض ، فسبحان منزل القرآن الذي قال
 في وصفه ، وهو أصدق القائلين : (ونزلنا عليك الكتاب
 تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) .
 سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
 والحمد لله رب العالمين .

محاسن الإسلام

- ب -

الحمد لله ذي الفضل والإنعام وصلوات ربي وتسليماته على سيد الأنام وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام وبعد فحديثنا اليوم في « محاسن الإسلام » قال الله تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

كم لهذا الدين الإسلامي من محاسن كثيرة وفضائل جمة وآثار جليلة تحمل ذوي العقول السليمة والفطر المستقيمة على التمسك به والتحلل بآدابه والاهتداء بنوره ، وكلما كان المرء سليم العقل ، نير البصيرة ، اشتد تعلقه بهذا الدين الحنيف لما فيه من جليل المحاسن وجميل الفضائل .

لقد أخرج الله العرب الأميين بهذا الدين الرباني من الجهل إلى العلم ، ومن التفرق إلى الاتحاد ، ومن الخمول إلى الشهرة ، ومن الجمود إلى التفكير الناضج ، وأبدلهم بالخوف أمناً ، وبالعداوة محبةً ، وبالضعف قوةً ، وبالذل عزةً ، وبالفقر غنىً ، وبجفاء الطباع وغلظ الأكباد رأفةً ورحمةً ، وبالتوحش والهمجية مدنيةً وحضارةً ، وبالتفرق وحدةً .

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قبلا
لا تذكر الكتب السوابق عنده جاء الصباح فأطفأ القنديلا

الله أكبر ما أجلَّ حكمة هذا التشريع الإسلامي ، لقد
صاغهم إخواناً وألَّف بين قلوبهم فكانوا أمة شديدة البأس ،
عظيمة القوة ، واسعة السلطان ، منهم أساتذة العالم علماء وسياسة
وأدباً ، وأئمة الفنون اختراعاً وتطبيقاً ، قلمهم يكتب فيطاع ،
وحسامهم يُنتَضَى فيهاب ، وراياتهم تخفق على رُبا الكون
فيجري من تحتها العدل والسلام ، بعد ما كانوا بالأمس في
جاهليتهم أذلاء ، قد ضربهم الجهل بسوط من عذاب الهون ،
وبسط عليهم أيديا كالحجارة أو أشد قسوة فصاروا إلى تقاطع
وتدابير ، وتنافر وتناحر ، وغفلة وركود ، وباطل وهزل ،
وتباطؤ وبلاء ، فصاح بهم منادي الإيمان : (أن آمنوا بربكم)
فآمنوا وقلَّبوا أنظارهم في كل ناحية من نواحي حياتهم وتدبروا
شؤونهم فما كان من خلل أصلحوه ، وما ظهر من عوج قوموه ،
واستعاضوا الباطل بالحق ، والهزل بالجد ، والتباطؤ بالعمل ،
والبلاء بالسعادة ، والركود باليقظة ، والتدابير بالتناصح
والأخوة ، والتفرق بالحزم والاجتماع ، فبنوا مجدداً وسيادة

وكانوا خيرَ أمةٍ تمثل الشهامة والكمال والحكمة (يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) . ويؤمنون بالله لا يبتغون بذلك
الإصلاح والتقويم إلا وجه الله العظيم .

أليس هذا كله بفضل دين الإسلام وحقائقه النقية وأصوله
المحكمة التي لا يأتيتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها
تنزيل من حكيم حميد . سبحانك اللهم أنت العليم الحكيم ، إنَّ
الدين عندك هو الإسلام ، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبله
منه ، بل تجعل عمله هباءً منثوراً . اهدنا الصراط المستقيم
ووفقنا للعمل بالدين القويم حتى نكون في الأرض خيرَ خلفاء ،
ونعيد مجد السلف من الآباء ، وَأَلْهِمْنَا معرفة أسرار تشريعك
حتى نعبدك على ضوء اليقين والإخلاص فإنك تهدي من تشاء
وتُضِلُّ من تشاء وأنت على كل شيء قدير .

هذا هو الدين الصحيح ومنبع الأخلاق والأسرار والأنوار
هذا هو النهج القويم ونعمة السرب العظيم وملة المختار
لقد هامت بحبه النفوس الطاهرة التي لم تتدنس لأنها
أدركت مزاياه ، ولا عَجَبَ فهو دين فَتَحَ أَقْفَالَ المشكلات ،
وأزال الحجاب عن مُحَيَّا الحقائق ، دينٌ ربَّاني شهد له أعداؤه
أنه ينشر نفسه بنفسه من غير تبشير من أهله ولا غرامة .

دين يكيد له حُسَّاده من يوم أُنْزِلَ وهو كما ترى لم يطفأ له نور ، ولم يضعف له برهان : (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) .

دين نرى مِنْ مَبْغُضِيهِ مَنْ يَقْتَرِبُونَ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُونَ وَمِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ، ذلك أَنَّهُمْ بِهِذِهِ الْمَكْتَشَفَاتِ الْحَدِيثَةِ وَالْعُلُومِ الْجَدِيدَةِ لَمْ يَزِيدُوا عَلَى أَنَّهُمْ بِلِسَانِ حَالِهِمْ بِهِ يَصْدُقُونَ ، وبفضله يشهدون وإن كانوا يكابرون . قال تعالى : (سُنُّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) .

دينٌ أَنجَبَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعِظَمَاءِ مَا لَمْ يُنْجِبْهُ قَبْلَهُ دِينٌ ، أَنجَبَ مِثْلَ الصَّدِيقِ فِي ثَبَاتِهِ وَحِلْمِهِ ، وَمِثْلَ الْفَارُوقِ فِي غَيْرَتِهِ وَعَدْلِهِ ، وَمِثْلَ ذِي النُّورَيْنِ فِي إِخْلَاصِهِ وَنَسْكِهِ ، وَمِثْلَ أَبِي السَّبْطَيْنِ فِي شَجَاعَتِهِ وَعِلْمِهِ .

دِينٌ يُشِيدُ آيَةً فِي آيَةٍ لِبِنَاتِهِ السُّورَاتُ وَالْأَصْوَابُ الْحَقُّ فِيهِ هُوَ الْأَسَاسُ وَكَيْفَ لَا وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْبِنَاءُ دِينٌ حَافِظٌ عَلَى الْعُقُولِ وَالْأَعْرَاضِ ، فَحَرَّمَ الْخَمْرَ وَالْقَدْفَ ،

وحكمٌ بجلد من يتناول جرعة من المسكر أو يطعن في أخيه .
دينٌ حافظ على المروءة والعفة والأنساب فأحلَّ النكاح وحرَّم
الزنى ، ومقدماته ، وقضى بجلد غير المُحصن والنفي عن الوطن
تأديباً ، وبرجم المحصن ليموت ميتة الكلاب صيانةً للأخلاق
والأنساب .

دينٌ حفظ نظام العالم من الفوضى والاضطراب فشرع من
المعاملات ما فيه راحة المجتمع ، فحرَّم الربا وأحلَّ البيع والشراء
وَالرَّهْنَ وَالْقَرْضَ وَالْحَوَالَةَ وَالْعَارِيَةَ وَالْإِجَارَةَ وَالشَّرْكَهَ وَالْقِرَاضَ
لتبادل المنافع على أحسن وجه .

دينٌ فرض العقوبات لزجر النفوس وردعها عن القبائح ،
محافظة على الأرواح والأموال ، فكتب القصاص : (وَلَكُمْ
فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .

وحكم بقطع يد السارق تنكيلاً به وليكون ذلك إعلاناً عاماً
متحركاً للاعتبار فقال : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا
جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وقد قال بعض الملاحده معترضاً على حكم الإسلام :

يَدُ بِخَمْسٍ مِثِينَ عَسَجَدٍ وَدَيْتٌ مَا بِأَلْهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ؟

فأجابه أحد الفضلاء من الموحدين : -

عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصَهَا ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي

دينٌ شرع من العبادات الصلوات ، وَسَنَّهَا فِي جَمَاعَةٍ تَهْذِيباً
للنفوس وبعثاً لروح الإخاء ، بتأكيد رابطة اللقاء ، وأوجب
الزكاة للنفوس من رذيلة الشُّحِّ وحضاً على السخاء وتقوية لمحبة
الفقراء للأغنياء ، وأوجب الصيام تزكية للروح لتشعر بآلم
الجوع فتميل للعطف ، وتتعود قوة الإرادة في كبح جماح
الشهوات ، وَسَنَّ الْحَجَّ فِي صَعِيدِ عَرَفَاتٍ لِلتَّعَارُفِ وَالتَّأَلُّفِ
والدعاء وإظهار الخضوع من العبد لأوامر سيده ، والتعاون
على الخير والإصلاح .

دينٌ كتابه القرآن الجامع ، والنور اللامع ، والهدى والرحمة
والذكرى للعباد ، ولذا نسمع الافتتاح به في كل إذاعة حتى من
مواطن الضلال ليرسل على الكون شعاعه ، ، وليثبت أنه
الكتاب الحق الذي جاء مهيمناً على الكتب كلها : (إِنَّ فِي
ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) .

دينٌ جاءَ نبيه ، ﷺ : متمماً لمكارم الأخلاق ، فما من فضيلةٍ إلا حثَّ عليها ، وما من رذيلةٍ إلا حذَّرَ منها :

صَلَّاحٌ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوْمَ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِيمُ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ

وقد مال أبناء الإسلام اليوم - إلا من عصم الله - إلى تقاليد غريبة ، وروايات غرامية ، وقصص ملفقة ، وآراءٍ خاطئة ، ومذاهب ضالة ، فنأى ذلك بأكثرهم عن محجة الإسلام ، وجنح إلى دراسة الإسلام وأسرار تشريعه من لا يمتُّ إليه بصلة : (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) فاعتنق بعضهم دين الإسلام لما تجلَّى لهم من حكمته واستبان من فضله بعد هذه الأحقاب الطويلة ، وإن الله ليهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

فأين علماء الإسلام الدعاة إلى الدين الحق ؟ لم لا ينصحون ويوضحون للجاهلين حكم هذا الدين الحنيف ؟ وما لذلك الذي مالوا إليه من الأثر السيئ والخطر الجسيم .

وأين البعثات العلمية تجوب الأقطار لشرح تعاليمه ونشر

آدابه وتبيان أسرارهِ ليَهتدي الحائر إلى سواءِ السبيل ؟ ولتظهر
له حكمة التشريع بالدليل والتعليل ؟ قال اللهُ تبارك وتعالى :
(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) .

هذه لمحة خَاطفة في محاسن الإسلام والدعوة إلى الله ، نسأله
عزَّ وجلَّ أن يوفقنا لذلك وأن ينصر الإسلام والمسلمين والحمد
لله رب العالمين . وصلى اللهُ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين

في محاسن الإسلام

- ج -

اللهم لك الحمد لا نحصي ثناءً عليك إذ هديتنا للإسلام
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه وأتباعه
إلى يوم الدين .

أما بعد فيا أمة الإسلام تعالوا لتسمعوا الحديث في محاسن
الإسلام : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) :

لا نزال نسمع في كل حين أنباء سارة بدخول أناس وجماعات
في دين الإسلام مع تواني كثير من علماء المسلمين اليوم عن القيام
بواجبهم من الدعوة إلى الله تعالى وتبيين محاسن الإسلام وتفصيل
أسرار التشريع ، وفي السير في مناكب الأرض لإرشاد الضال
وهداية الحائر ودعوة العباد إلى اعتناق أشرف الأديان دين الحياة
والإصلاح ، دين الرقي والحضارة ، دين الحق والخلود ، دين
صالح لكل زمان ومكان كافل لسعادة البشر فلا عجب أن
ينتشر بفضل مبادئه الشريفة وأسراره الجليلة ويبشر عن نفسه
بنفسه وهذا ولاشك من علو رتبته وسمو مبادئه ونبل أهدافه
وجليل أسراره وبديع محاسنه ، إن هذا الدين الإسلامي قد

أَكْمَلَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ بِإِنزَالِ الْقُرْآنِ ، وَبَعَثَهُ خَاتِمَ الرُّسُلِ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، ثُمَّ رَضِيَ لَنَا دِينًا فَقَالَ تَعَالَى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَرَضِيْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) .

فَأَيُّ دِينٍ أَجَلَ مِنْ هَذَا الدِّينِ وَأَعْظَمَ ؟ لَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ خَاتِمَ الْأَدْيَانِ ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الدِّينُ لِأَهْلِهِ وَحَدِّهِمْ ، لَا بَلْ شَمَلَ بِظِلِّهِ الْوَارِثِينَ أَهْلَ الذَّمِّ وَالْأَعْدَاءِ ، وَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ أَسْوَدٍ وَأَبْيَضٍ ، وَلَا بَيْنَ عَرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ ، الْكُلُّ فِي الْحَقُوقِ سِوَاءٌ لَا تَفَاضِلَ إِلَّا بِالتَّقْوَى فَهِيَ الشَّرْفُ الْحَقِيقِيُّ وَالْكَرَامَةُ . قَالَ تَعَالَى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) .

هَذِهِ الْحَضَارَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا بَنُو الْإِنْسَانِ ، وَيَتَمَتَّعُ بِمَزَايِهَا الْمُسْلِمُونَ وَغَيْرُهُمْ تَتَجَلَّى فِيهَا عِظَمَةُ الْإِسْلَامِ ، لَقَدْ فَرَضَ اللهُ تَعَالَى فِي الْإِسْلَامِ الْعَدْلَ حَتَّى فِي مَعَامَلَةِ الْأَعْدَاءِ فَقَالَ تَعَالَى (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَايُنَا قَوْمَ عَلِيٍّ أَنْ لَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

عَدْلٌ شَامِلٌ ، وَرَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَنِظَامٌ سَامٍ ، وَحَضَارَةٌ رَاقِيَةٌ ،

وتهذيب إنساني وارتقاءً بالضمير الحق إلى أفق الطهارة
والإنصاف من حضيض الدنس والاعتساف فليسمع هؤلاء
المفتونون بالحضارات الزائفة البراقة وليعلموا أنها مظاهر لا
حقائق ، وأجساد بلا أرواح وحضارات بلا قلوب ، لا تهذب
النفوس ، ولا تسمو بالأُمم ، ولا تنجي من العقاب والعذاب ،
وليُنظروا آثارها من الاستبداد والقسوة والإجرام والاستعباد
والتفريق بين العناصر وقهر الضعفاء .

أما الإسلام فما أعظم مزاياه وما أجمل محاسنه الجليلة ، إنه
دين سماوي كامل ، فيه المثل العليا للأخلاق الفاضلة والمزايا
الكاملة والعدل والحرية والإخاء ، فلا سلام للعالم اليوم إلا باتباع
تعاليمه السمحة القويمة .

فهنالك العيشُ وبهجتهُ فليمنتهجِ ولبتهجِ

ومهما حاول بلغاء الكتاب ومصاقع الخطباء أن يحيطوا
بمحاسنه وصفاته وامتانة أصوله وفروعه وحكم تشريعه فلن
يبلغوا الغاية من ذلك ، ولا ما يقرب منها .

لقد انبلج نور الحق في أفق الكون منذ أربعة عشر قرناً ،

فانقشعت به ظلمات الجهالة ، والضلالة ، وخفقت أعلام التوحيد على ربا المعمورة وأدى النبي ، ﷺ ، رسالته كاملة غير منقوصة ، واقتفى نهجه أصحابه الغر الميامين والتابعون لهم بإحسان ، وقاموا بنشر تعاليمه السامية في جميع الأقطار ، فعم السلام ، واستقرت الطمانينة بين الأنام ، ودخل الناس في دين الله أفواجا لما تحقق ما تصبوا إليه نفوسهم من سعادة شاملة ورغد عيش كامل - هذا هو الإسلام ، وتلك نبذ من محاسنه الجليلة لا تزداد على مر الأحقاب إلا جمالا وبهاءً .

هَذَا هُوَ الدِّينُ الْمَتِينُ وَمَنْبَعُ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ وَمَظْهَرُ الْأَسْرَارِ
هَذَا هُوَ السَّعْدُ التَّلِيدُ وَمَشْرِقُ النُّورِ الْمُبِينِ وَمِلَّةُ الْمُخْتَارِ

لقد مرّت على المسلمين عصور وهم يرفلون في حلل العزة والمجد والسعادة والهناء ، وإنه لماضٍ جدير بالذكر الحسن والإعجاب بسطوا فيه سلطانهم على الأمم في مختلف الأقطار ، وفتحوا بالعلم والأخلاق وألّفوا القلوب قبل القوالب والحصون ، فانقاد الناس طائعين راضين .

وقد كان هذا حين كان المسلمون متمسكين بتعاليم الدين

القويم ، كيف والإسلام دين عمل ، وإنما أعرض عنه المتكاسلون
ودين علم ، وإنما أحجم عنه الجاهلون ، ودين عدل ، وإنما
ابتعد عنه الجائرون .

فما بالناس اليوم تأخرنا وإلى أي حد وصلنا ؟ لقد أمرنا
الإسلام بالعلم فركننا إلى الجهل ، وحثنا على العمل فاستكننا
للتكاسل ، وحضنا على الصدق والأمانة فانطوينا على الغش
والخيانة ، وأمرنا بالاعتصام بحبل الله جميعاً فتفرقنا طرائق
قدداً ، وراحت كل فرقة تناحر الأخرى وتناصبها العداة حتى
استحكمت بينهم العداوة والبغضاء .

أما آن لنا أن نتمسك بديننا ونعص بالنواجد على تعاليم
نبينا ، ﷺ ، لنستعيد سالف مجدنا وسؤددنا ؟

لقد كان صرح الإسلام مشيداً غير لبنة واحدة ، فكان
نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام موضع تلك اللبنة ، فما من
تشريع قوي متين محكم وما من إصلاح عام شامل يكون منهجا
للأجيال المقبلة إلا وقد جاء به الإسلام ورسمه طريقا
للسعادة الدنيوية والأخروية ، فأصلح الحاكم والمحكوم والأغنياء

والفقراء وأرشد التجار والصناع ، ونصح الأسر والأولاد والخدم
وحض الحكام على العدل وحذرهم عاقبة الظلم ، فقال تعالى :
(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ
النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) .

وأوجب على الأمة أن تكون عوناً للحاكم على الخير ومنفرة له
عن الشر ، فقال تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) .

وبين أن الركون إلى الظالمين سبب لعذاب الله وخذلانه
فقال عز وجل (ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) .

ونهى عن مسaire العاطفة المتغلبة على العقل في المعاملة بحيث
تؤدي إلى تفويت المصلحة وتحصيل الضرر ، فأمر بالقيام للحق
ولو كان ذلك عكس مصلحة ذويه ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ
الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا) .

أما إصلاحه للتجار ففي القرآن الكريم منه الكثير
النافع ، كقوله عز وجل : (أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ

الْمُخْسِرِينَ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ
وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . وقوله تعالى : (وَيَلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ
الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزَنُوا لَهُمْ
يُخْسِرُونَ إِلَّا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ وَيَوْمَ يَقُومُ
النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

وأما إصلاحه للأسر ، فقد أوفى على الغاية ، فقد نظم الحياة
الزوجية وبين الحقوق بالمعروف ، فقال تعالى : (وَلَهُنَّ مِثْلُ
الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .
وقال تعالى : (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) .

وقد قرَّر الإسلام أيضاً الدواء للفقير والعلاج للحالة الاقتصادية
ففرض على الأغنياء الزكاة في أموالهم تطهيراً للنفوس من
رذيلة البخل وعطفاً على الضعفاء والمساكين ، واستللاً لبغضهم
الأثرياء وحسداهم لهم ، كما أمر المعوزين بالصبر ، ووعدهم
بالمثوبة ، وحذرهم من إراقة ماء وجوههم ، وألهمهم حبا
في العمل وتحذيراً من الكسل .

وأما إصلاحه للعمال والمتعاملين فقد حثهم على الصدق
والأمانة في صناعاتهم وحذرهم من الغش والخيانة فقال

عليه الصلاة والسلام : « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » (١) ، وقال أيضاً :
« أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » .

وأبطل ظلم الجاهلية في إبطال إرث النساء ، وَقَدَّرَ الموارِيثَ ،
فقال تعالى : (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ
وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ
كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا) .

ونهى عن الإسراف وأمر بالاعتدال في الإنفاق ، فقال تعالى :
(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ
فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) .

وحذر من فتنة المال وبين أنه إذا كثر يلهي ويطغي إلا
من عصم الله ، فقال تعالى : (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنْ
اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) وقال تعالى : (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ
رَأَاهُ اسْتَغْنَى) .

وشرع الحدود زجراً للنفوس في أسمى سياسة شرعية في

(١) يروى هذا الحديث من طريق صحيح هكذا « من غش فليس منا » وهذه
للمرواية مع صحتها أوسع معنى لأنها تنفي أخلاق الإسلام عن الغاش مطلقاً سواء غشنا
أو غش غيرها .

إصلاح الراعي والرعية .

وقد قال أمير الشعراء أحمد شوقي يصف جوهر الدين الإسلامي:
 دِينَ يُشِيدُ آيَةً فِي آيَةٍ لَبِنَاتُهُ السُّورَاتُ وَالْأَضْوَاءُ
 الْحَقُّ فِيهِ هُوَ الْأَسَاسُ وَكَيْفَ لَا وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الْبِنَاءُ
 بِكَ يَا بَنَ عَبْدِ اللَّهِ قَامَتْ سَمْحَةٌ بِالْحَقِّ مِنْ مِلَلِ الْهَدَى غَرَاءُ
 بُنِيَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَهُوَ حَقِيقَةٌ نَادَى بِهَا سُقْرَاطُ وَالْحُكَمَاءُ
 دَاوَيْتَ مُتَثِدًا وَدَاوَوَا طَفْرَةَ وَأَخَفُّ مِنْ بَعْضِ الدَّوَاءِ الدَّاءُ
 الْحَرْبُ فِي حَقِّ لَدَيْكَ شَرِيعَةٌ وَمِنَ السُّمُومِ النَّاقِعَاتِ دَوَاءُ
 وَالْبِرُّ عِنْدَكَ ذِمَّةٌ وَفَرِيضَةٌ لَا مِنَّةٌ مَمْنُونَةٌ وَجِبَاءُ
 جَاءَتْ فَوَحَّدَتِ الزَّكَاةُ سَبِيلَهُ حَتَّى التَّقَى الْكُرْمَاءُ وَالْبُخْلَاءُ^(١)
 أَنْصَفْتَ أَهْلَ الْفَقْرِ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى فَالْكُلُّ فِي حَقِّ الْحَيَاةِ سَوَاءُ

وكم للإسلام من فضلٍ عظيمٍ على أهله نسأل الله تعالى أن
 يهدينا للإسلام ويمن علينا باتباع سيد الأنام اللهم صل عليه
 وعلى آله وأصحابه في كل محفلٍ ومقامٍ وسلم تسليماً كثيراً
 والحمد لله رب العالمين .

(١) هذا وما بعده بيان لقوله قبله « الإشتراك بينك أنت وإمامهم »

فضل الصبر عند المصائب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : وبشر الصابرين الذين
إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .

أيها المؤمنون : إن المصائب إذا قارنها الصبر والتسليم أفادت
درجة عالية في الدين ، ولذا بشر الله تعالى من صبر فقال عز وجل
وبشر الصابرين ، وفي الصحيحين عن رسول الله ، ﷺ ، أنه
قال : ومن يتصبر يصبره الله تعالى ، وما أعطي أحد عطاءً خيراً
من الصبر ، وقال الحسن البصري : الصبر كنز من كنوز الجنة
لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده . وأخرج الطبراني ورواته
رواة الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (الصبر
نصف الإيمان) وأخرج البيهقي عن الإمام علي كرم الله وجهه ،
أنه قال : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا
قطع الرأس مات الجسد . ثم قال علي رضي الله عنه رافعاً صوته :

« أما أنه لا إيمان لمن لا صبر له » وعن الإمام علي كرم الله وجهه قال : أوصيكم بخمس لو ضربتم آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً ، لا يرجون أحد منكم إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحيين أحد إذا لم يتعلم شيئاً أن يتعلمه ، ولا يستحيين أحد منكم إذا سئل عما لا يعلم ، أن يقول لا أعلم ، ولا يظهر الجزع على ما يكره ولا يشكون لمخلوق . وأما التألم من ألم المكروه وكرهيته طبعاً مع دمع العين فهذا دفعه غير ممكن دائماً ، فقد بكى رسول الله ، ﷺ ، على ابنه إبراهيم قائلاً « العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي الله وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » وبكى ، ﷺ ، على سعد بن عباد في مرضه فلما رأى القوم بكاءه بكوا . فقال ، ﷺ ، « إن الله تعالى لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم » وأشار إلى لسانه ، وقد وصف الله الصابرين بقوله ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، المعنى أنهم يتصورون أنهم عبيد الله وهو مالكم المتصرف فيهم كما يشاء ويختار ، ولذا قال شاعرهم :
وخفف عني عما ألقى من الأذى بأنك أنت المبتلي والمقدر
لقد علموا أنهم راجعون إليه وأنه سيجزيهم على حسن

صبرهم ، ويصب عليهم الأجر صباً من فضله ، والاسترجاع عند المصيبة من خصائص هذه الأمة .

أخرج الطبراني وابن مردويه عن رسول الله ﷺ ، قال : أعطيت أمتي شيئاً لم يعطه أحد من الأمم ، أن يقولوا عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون . وأخرج الطبراني بإسناده عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ، فيصب عليهم الأجر صباً ، حتى أن أهل العافية يتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله تعالى . ولا بأس بأن يقول المصاب ما ورد ، اللهم أجرني في مصيبتى واخلفني فيه خيراً ، والرجوع إلى الاسترجاع أفضل الوسائل وأحبها إلى الله ، وينال بذلك عظيم الأجر وجزيل الثواب . وإنما المحروم من حرم الأجر والثواب نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما يحب ويرضى ، والحمد لله رب العالمين .

« فضل العلم »

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فإن خير ما يكسبه المسلم في حياته هو العلم النافع ، به يسعد المؤمن ، وينال مكانته العالية وأفضل الناس هو العالم العامل ، وقد رفع الله مكانة العلماء ، وليس هناك دين من الأديان رفع مكانة العلماء وأعلى درجاتهم ، وحث على تعلم العلم واستعمال النظر كالدين الإسلامي ، وناهيك بدين يحتضن العلم الصحيح في عصور أظلمت بالجهل ، حتى أن الأخبار والرهبان غيروا نصوصه وبدلوا محيا خصائصه وكتموا أسراره ، فجاء الدين الإسلامي يكشف الحجاب عن حقائق العلم (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) .

ويأمر القرآن الكريم وينادي بني الإسلام بطلب الاستزادة من العلم بقوله جل ذكره (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) .

جاء القرآن ينادي برفعة شأن العلماء حيث يقول الله تعالى فيه : (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) ،

نفحات الاسلام - ٤

جاء القرآن الكريم منكرًا المساواة بين الجاهل والعالم ، حيث
 يقول الله تعالى : (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟)
 جاء القرآن الكريم يستحث الناس على طلب العلم النافع حيث
 يقول الله تعالى فيه : (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ
 لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ
 يَحْذَرُونَ) بين القرآن العظيم أن العلماء هم المنتفعون بالآيات
 الربانية الكونية ، حيث يقول الله : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ)
 بين القرآن فضل العلماء ، وأنهم أخوف الناس من الله لأنهم
 أعرف المخلوقات بجلاله ، فقال تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
 الْعُلَمَاءُ) ، كما حث على النظر وطلب الاعتبار حيث يقول تعالى
 فيه : (قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) وقال تعالى (أَوْ لَمْ
 يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا) وقال جل ذكره (أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا
 فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، وقال (وَفِي أَنْفُسِكُمْ
 أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟) كما أوردت السنة النبوية الطاهرة في
 فضل العلم وفضل العلماء والحث على تعلم العلم ، شيء
 كثير ، من ذلك قول النبي ﷺ : ومن سلك طريقاً يلتمس
 فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) ، وإن الملائكة لتضع

أجنتها لطالب العلم رضى بما يطلب ، وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، والعلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر . ومنها ما رواه الإمام ابن عبد البر في كتاب العلم بإسناده عنه ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أنه قال : (تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد . وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة) ، وقد جعل الشارع الحكيم أجر العلم باقياً بعد الموت غير مقطوع ، فقد روى الإمام مسلم عن النبي ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أنه قال : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوه) بهذا ظهر لنا أن الدين الإسلامي دين يمجّد العلم والعلماء في كل المجالات النافعة للدنيا والآخرة ولا يتنافى مع العلم بل يسانده ولا يقاومه بل يظاهره ، فكيف يصح لإنسان أن يتهم الدين الإسلامي بمعاداة العلم ؟ بل هذا من التهم الباطلة التي يلصقها بالإسلام بعض الأفراد والمفسدين ، إن العلم يعرفك كيف تؤدي حق الله وحق الناس ، ويرشدك

إلى طريق الاستقامة ، ويشوقك إلى الفضائل ، فاهلوا يا عباد
الله إلى مجالس العلم الشرعي النافع ، لتصلوا به على أعداء الحق ،
وأولياء الشيطان ، ولتعزوا دين الله وتنصروا كلمته ولترفعوا
مقامه ، ولتدافعوا عن المستضعفين دفاع من لا يخشى في الحق
لومة لائم ولتأخذوا حظكم من معرفة عمل الدنيا للاستغناء
عن الخلق ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .
نسأل الله عز وجل أن يرزقنا علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وقلباً خاشعاً
والحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على سيد المرسلين ،
وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الحث على فعل الخير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد : فموضوع
درسنا اليوم الحث على فعل الخير وليس هناك عمل أفضل منه .

أيها السادة . روى الإمام ابن ماجه وغيره بإسناده عن سهل
ابن سعد رضي الله عنه عن النبي ، ﷺ ، أنه قال : إن لهذا الخير
خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح . فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً
للخير مغلقاً للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر مغلقاً للخير .

إن الروح تبتهج ، وإن المشاعر تهتز ، وإن الصدر ينشرح ،
إذا رأى هذا العنوان الشريف ، إنه عنوان الخير الذي جعله
الله تعالى رمزاً لعباده المؤمنين ، وأساساً صالحاً لبناء الأعمال
الخيرية فيه يتكون به انتظامُ الشؤون وسعادةُ الأحوال وهناك
العيش ونجاحُ الأعمال ، اللهم كما أرشدتنا إلى الخير فوفقنا له
وهيئ لنا سبيل الدعوة إليه ، وأمدنا بروح من عندك حتى
نلقاك وأنت راض عنا يا رب العالمين .

عباد الله المؤمنين ، طوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير ، وسبباً

من أسبابه ، وكان مغلاقاً للشر وعقبة في سبيله ، وويل لعبد
خبثت نيته ، وفسدت طويته ، فجعل حياته تفريقاً بين
المتحابين وإيقاظاً للفتن وتفريطاً في جنب الله ، وأكلاً
لأموال الناس بالباطل ، وهَضْماً لحقوقهم واعتداءً على ضعيفهم
وانتصاراً لقويهم الظالم إنه حينئذ عدو للإنسانية ، وعون
للشيطان ، وحرب على الفضيلة فهو من سَمَاهم الله في كتابه
الأشرار الفاسقين الظالمين المعتدين المستكبرين المفسدين ، وليس
لهم من الجزاء إلا ما قال الله تعالى :

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ
خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ .) أعاذنا الله وإياكم من ذلك .

عباد الله المؤمنين : افعلوا الخير دائماً ما استطعتم بأقلامكم
وبألسنتكم وبجواهركم وسلطانكم وبأموالكم وأنفسكم ، ولتكن
حركاتكم وسكناتكم وكل أعمالكم لأجل الخير ، وفي سبيله
ولكم في حياة سلفكم الصالح قدوة طيبة فكانوا يعيشون

لإسعاد الناس ويجوعون ليشبع الناس ، ويسهرون لينام
الناس ، ويحترقون ليستضيئ الناس ، مما سبب لهم عز الحياة
ومثوبة الله تعالى . فما استحق أن يولد من عاش لنفسه ، وطوبى
لعبد جعله الله تعالى مفتاحاً للخير ، مغلاقاً للشر ، وويل لعبد
جعله الله مفتاحاً للشر ، مغلاقاً للخير .

روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال ، قال النبي ﷺ :
لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ،
أيها المؤمنون : الخير كلمة جامعة للخصال الكاملة التي تصل
ما بين المرء وربه وتصل ما بينه وبين الناس ، مثله
كشجرة طيبة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي
أكلها كل حين بإذن ربها ، فجذور الخير الإيمان بالله
إيماناً لا يرقى إليه شك ، ولا يخالطه ريب ، يحول بين
الإنسان وبين معصية ربه ، ويدفعه دائماً إلى تقوى الله وطاعته ،
وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ ، أنه قال : لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها
شاربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ،
هذا الإيمان الذي يكون لصاحبه كالصخرة العاتية التي تتحطم

عندها الآلام والمصائب ، وصدق الرسول ، ﷺ ، إذ يقول :
عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا
للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته
ضراء فصبر ، فكان خيراً له ، وجدوع الخير الإخلاص لله في
الأعمال قال الله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)
ويقول الله جلّ ذكره (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً
صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ، وإن الله تعالى لا ينظر
إلى صورنا ولا إلى أموالنا ، ولكنه ينظر إلى قلوبنا ونياتنا ،
ويكافئنا على أعمالنا بقدر إخلاصنا وإنما الأعمال بالنيات ،
اللهم يا من وفقت أهل الخير للخير وأعنتهم عليه ، وفقنا
للخير وأعنا عليه يا رب العالمين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين .

مصاحبة الأبرار ومجانبة الأشرار

الحمد لله على أفضاله ، والشكر له على جزيلى عطائه ،
والصلاة والسلام على سيد أنبيائه محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين . أما بعد : فمن سعادة الإنسان أن يختار « مصاحبة
الأخيار ، ومجانبة الأشرار . »

أخرج الترمذي وحسنه عن رسول الله ﷺ ، أنه قال :
المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل . وفي الصحيحين
عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : إنما مثل المجلس الصالح
والجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكبر ، فحامل المسك
إما أن يحذيك أي يعطيك ، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد
منه ريحاً طيبة . ونافخ الكبر إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن
تجد منه ريحاً خبيثة . وأخرجه أبو داود بلفظ مثل المجلس
الصالح كمثل صاحب المسك ، إن لم يصبك منه شيء أصابك
من ريحه . ومثل المجلس السوء كمثل صاحب الكبر ، إن لم
يصبك من سواده أصابك من دخانه ، وفي صحيح ابن حبان

عن النبي ﷺ ، أنه قال : لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي .

أيها المؤمنون هذه الأحاديث النبوية ترشدنا إلى وجوب مصاحبة الأخيار ، ومجانبة الأشرار ، لأن من جالس جانس والطبع سراق .
وقد قيل :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
فينبغي أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال : أن
يكون عاقلاً ، حسن الخلق ، غير فاسق ولا مبتدع ، ولا
حريص على الدنيا حرصاً يؤدي به إلى الشح والبخل ، أما العقل
فهو الأصل ولا خير في مصاحبة الأحمق . عدو عاقل خير من
صديق جاهل .

وقد قال بعض السلف : مقاطعة الأحمق قرينة إلى الله تعالى ،
وصحبة الأحمق عاقبتها الوحشة والقطيعة . وأما حسن الخلق
فلا بد منه لأن سيء الخلق مغلوب عليه لشهوته ، مغلوب عليه
بغضبه ، عاجز عن قهر صفاته ، وتقويم أخلاقه ، فيخالف
بالرغم منه ما هو المعلوم عنده من واجبات الصحبة فلا خير

في صحبته . وأما الفاسق فإنه لا يخاف الله تعالى ومن لا يخاف ربه لا تؤمن غائلته ، ولا يوثق بصحبته ، مع ما في تكرار مشاهدة الفسق من تهوين أمر المعصية على القلب وإبطال نفرتة عنها ، لأن كثرة الإلماس تسقط الإحساس .

وقد قال تعالى : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) . وأما المبتدع ففي صحبته خطر أي خطر ، تؤثر بدعته بالشر والخيبة وتعدي شؤمها عليه ، والمبتدع مستحق للهجر والقطيعة ، تقبيحاً لبدعته ، في أعين الناس ليرتدعوا ويعلموا شؤم عمله وتنفيراً لهم عن اتباعه كي لا تؤثر عليهم صحبته وأما الحريص على الدنيا فصحبته سمّ قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتراء سيما في حب الدنيا بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه ، فصحبته تولد في القلب حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة ، وقد قال تعالى : (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) . اللهم أهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت .

هذا ومن تأمل أسباب فساد كثير من الشباب يجد أن أسباب ذلك اتصال الشباب الصالح بصاحب خبيث ، يدله على الشر والمعاصي ، ويحول بينه وبين الطاعات ، حتى يوقعه في الفتن والبلايا ، ويتسلط على ماله ، ويهدم شرف عرضه ، حتى إذا أبعده عن الخير وزج به في مهاوي الردى والعصيان والمصائب ، تبرأ منه فمثله كمثل الشيطان إذ قال للإنسان (اكفر : فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) فكان عاقبتهما جميعاً خسران مستقبليهما وفساد حالتهما وسوء مصيرهما قال الشاعر :

من عاشر الأشراف عاش مشرفاً ومعاصر الأندال غير مشرف
أو ما ترى الجلد الحقيقير مبعجلاً باللثم لما صار جلد المصحف

كم من طالب علم مجتهد حسن الأخلاق ، عالي الهمة ، اتصل به طالب كسول ذو دناءة وفتنته ، فأضله عن الهدى ، وضيع عليه أوقاته ، وهدم له بناء مجده ، وقضى على أمله ومستقبله ، وندم في النهاية حين لات مندم ، وكم من طالب كسول قبيض الله له طالباً مجدداً يشحذ عزيمته ، ويلهب حميته ،

يرفعه إلى مستوى الفخار والخلود ، فيكون ناجحاً فائزاً بالشهادة
من رجال العمل وأبطال المستقبل ، فنصيحتي للشباب وهديتي
للأبناء وتوجيهي للإخوان هو المحافظة على الأخلاق والأداب ،
ومجانبة الأشرار أصحاب السوء والفتنة ، قال الله تعالى :
(يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وفي الحكم
والمواعظ : لا تصحب إلا من يرشدك حاله ، ويدلك على الحق
مقاله . . . اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت
والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحابه .

« إِتق شر من أحسنت إليه »

الحمد لله أهل الجود والإحسان ، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان وعلى آله وأصحابه ،

أيُّها المؤمنون الكرام : حديثنا اليوم ، جواب عن سؤال ورد إلى عن جملة راجت بين الناس ، وهي قولهم : « إِتق شر من أحسنت إليه » ، فمن متمثل بها في محاورته ومن مستشهد بها في محاضرتة ومن معتقد أنها بعض آية أو بعض حديث صحيح فيعتني بها ، ولذا تسابق الخطاطون المبرزون إلى كتابتها وذلك لتعليقها على الجدار في إطار معجب كحكمة ثابتة ، وهذا كله ليس من الصواب في شيء ، فإن قولهم « إِتق شر من أحسنت إليه » ليس آية ولا حديث ولا أصل له .

فهذه معاجم السنة النبوية بين أيدينا وهذه كتب الأخبار ليس في شيء منها ذكر لهذه الجملة ، بل المذكور في كتب المحدثين إنكارها ونفي كونها من السنة وعدّها فيما لا أصل له ، ثم هي بالنظر إلى معناها تنفر من الإحسان ، فكأنها تقرر للناس معناها قائلة : احذروا من الإحسان بأي نوع كان

وإلى أي مخلوق كان ، وإذا أحسنتم فانظروا الشر والمصائب
 من وراء إحسانكم هذا ، فاحترسوا من الإحسان وهذا المعنى
 الذي صورته هذه الجملة لا يوافق عليه دين الإسلام الذي
 جاء يحض على الإحسان ويبين ما أعدّه الله تعالى للمحسنين
 من المثوبة والرضا وقد نبّهنا ، ﷺ ، سيد المحسنين في كل باب
 من أبواب الإحسان وما سئل شيئاً قط فقال لا ، وأعطى رجلاً غنياً
 غنماً تملأ ما بين جبلين ، فرجع الرجل الى قومه يقول يا قوم
 اسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر ، وقال: رسول الله
 ﷺ ، إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك فسمى
 الرسول البذل خيراً وجعل الإمساك شراً ، وقال: عليه الصلاة والسلام
 ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما :
 « اللهم أعط منفقاً خلفاً » ، ويقول الآخر: « اللهم أعط ممسكاً تلفاً » .
 فهذا دليل فضل الإحسان وهو سبب لدعاء الملائكة للمحسن
 بالخلف ودعاؤهم مستجاب ، وقال : ﷺ ، « والله في عون العبد
 ما كان العبد في عون أخيه » ، وقال أيضاً ، يقول الله تعالى :
 « أنفق يا ابن آدم أنفق عليك » ، هذا الذي جعل المؤمنين
 يتسابقون إلى الإحسان طمعاً في دعاء الملائكة لهم ، ورغبة

في معونة الله إياهم وتعرضاً لنفحات الله تعالى لينفق عليهم من فضله إذا أنفقوا في سبيل رضاه مخلصين له ، ولم يكونوا ليظعموا في جزاء عاجل ، ولا في إحسان مكافئ من أحسنوا إليه ولم يتوقفوا عن الإحسان لإساءة أو جحود قط ، بل ولم يريدوا مدحاً أو ثناءً ، ولكنهم يقولون للمساكين واليتامى والأسرى الذين أطعموهم ، ما أخبر الله به عنهم (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) . أيها الأخ الكريم ، تأمل معي قولهم : إتق شر من أحسنت إليه ، فمن : من صيغ العموم فتقتضي صدور الشر من كل من أحسن إليه مع أن صدور الشر إنما يكون من اللثام لا غير قال الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فلا يصدر الشر من كل من أحسن إليه ، بل إن النفوس الكريمة جبلت على حب من أحسن إليها . ولذا قيل عجبت لمن يشتري العبيد بماله كيف لا يشتري الأحرار بجميل فعاله وقال الشاعر المجيد :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان
فأحسن ثم أحسن ثم أحسن فإن إحسانك سيكون لك سبباً

لسعادتك وحجاباً لك عن الشر ممن أحسنت إليه ومن غيره
فأحسن واعمل صالحاً واصنع جميلاً وارم في البحر كما قيل
فليس يضيع الأجر ، وستكون من المحبوبين ، قال تعالى :
(واحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

وبعض الأفاضل يرى أن لهذه الجملة أثر وهو يتأوله على
معنى إتق شرك يعني إساءتك إلى من أحسنت إليه ، فإن الإساءة
تبدل الإحسان وتبطل ثوابه . بل آدم إحسانك إليه وهو بعيد
كما ترى وليس هذا المعنى الذي ذكره يقصده الناس ،
بالاستشهاد بهذه الجملة . وبعضهم يرى هذا الأثر إنه لا ينبغي
أن يفتر المحسن بإحسانه إلى أحد فربما كان ذلك يحول له الشر
لأنه ماكر مخادع وليس المعنى التنفير من الإحسان وإنما هو
وصية بالحذر والاحتراس فمن حذر سلم ، وختام القول فإن
الإحسان مطلوب على كل حال . إن الله كتب الإحسان على كل
شيء ولن يخيب المحسن ، فأحسن كما أحسن الله إليك واطلب
ثواب إحسانك من ربك إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ،
إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وصلى الله وسلم
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

نفحات الاسلام - ٥

« التحذير من عواقب المعاصي »

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى نَبِيِّنَا الْأَمِينِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ أَمَا بَعْدُ فَخَيْرٌ مَا يَكْسِبُهُ الْمُسْلِمُ فِي حَيَاتِهِ طَاعَةَ رَبِّهِ وَالتَّقَرُّبَ مِنْهُ بِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَالِابْتِعَادَ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامُ . يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ مِنْ اخْتَارَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَى طَاعَتِهِ فَهُوَ جَاهِلٌ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ جَاهِلًا مَنْ يَخْتَارُ مَا يَرِيدُهُ عَلَى مَا يَنْجِيهِ ، فَلِلْمَعَاصِي آثَارٌ قَبِيحَةٌ لَوْ تَفَطَّنَ لَهَا الْعَاقِلُ الْمُكَلَّفُ لَمَا اخْتَارَهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنْ مِنْ آثَارِ الْمَعَاصِي حَرَمَانَ الْعِلْمِ النَّافِعِ ، أَجَلٌ ، إِنْ الْعِلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبٍ مِنْ أَحِبِّهِ مِنْ عِبَادِهِ وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ . وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ تَطْفِئُ هَذَا النُّورَ ، وَلَمَّا جَلَسَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيَّ لِلطَّلَبِ بَيْنَ يَدَيْهِ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لَهُ : عِنْدَمَا أُعْجِبْتَهُ فَطْنْتَهُ وَتَوَقَّدَ ذِكَاؤُهُ إِنِّي أَرَى اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ النُّورَ فَلَا تَطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ وَكَذَلِكَ كَانَتْ نَصِيحَةُ شَيْخِهِ وَهُوَ وَكَيْعٌ لَهُ وَانظُرْ إِلَى تَوَاضَعِهِ مَعَ ذَهْنِهِ الْوَقَادِ الَّذِي يَحْفَظُ بِهِ الْمَوْطَأَ فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ وَأَرْبَعِ لَيَالٍ

ومع ذلك يقول :

شكوت إلى وكيعٍ سؤَ حَفْظِي فَأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي
ومن آثار المعاصي أنها تجر إلى مثلها حتى يصعب على الإنسان
مفارقتها والخروج منها . قال بعض السلف إن عاقبة السيئة
سيئة بعدها وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فالعبد إذا
عمل الحسنة اعتاد الطاعة حتى إذا تركها ضاقت نفسه فتصير
عنده هيئة ثابتة وملكة راسخة ولا يزال العبد يعمل بطاعة الله
ويألفها حتى يرسل الله إليه الملائكة تبعثه إلى العبادة وتنزعه
عن فراشه وعن مجلسه إليها ، ولا يزال العبد يألف المعاصي
ويؤثرها حتى إذا فعلها تم أَلْفُه بها وضاقت نفسه حتى يعاود
المعصية وتألفه الشياطين وتحثه إلى عمل المعاصي حتى يعملها
ولذا قال تعالى : [أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً]
ومن آثار المعاصي أنها تجعل صاحبها من حزب الشيطان قال
تعالى : [ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون] كما أن الطاعات
تجعل صاحبها من حزب الرحمن المفلحين . وقد قال تعالى :
[ألا إن حزب الله هم المفلحون] وقد قال بعض السلف أن العبد
إذا عشي أو تعاشى عن ذكر الله سلط عليه الشيطان فتوا الاله وهوى

به إلى المعاصي وكان قرينه ومدبره في أعماله . وصدق الله العظيم حيث قال : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) وإن تولاه الله تعالى لم يقدر عليه الشيطان كما قال تعالى : [إن عبادي ليس لك عليهم سلطان] ومن آثار المعاصي أنها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى وأي فلاح لمن قطع ما بينه وبين مولاه الذي لا غنى له عنه طرفة عين فالسعيد من وفق للعمل بالطاعة فيصير ملحوظاً بعين العناية في كل عمل يعمله بسمعه وبصره أو يده أو رجله فلا يتوَجَّع من شيءٍ إلا والله تعالى يعينه بالرعاية والتوفيق يعطيه ما سأل ويقيه مما يخاف . ولذا جاء في الحديث ، يقول الله تعالى : (ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولإن سألني لأعطينه ولإن استعاذني لأعيذنه) ومن أضر آثار المعاصي إنها توجب لصاحبها بغض الخلق كما أن الطاعات توجب حبهم للمطيع فقد أخرج مسلم بسنده عن رسول الله ، ﷺ ، قال : إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه ، قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ألا إن الله تعالى يحب فلانا

فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض
وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانا
فابغضه ، قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء .
إن الله تعالى يبغض فلانا فابغضوه ثم توضع له البغضاء في
الأرض ، هذا وإن محبة الخلق توجب الأنس كما أن الوحشة
توجب النفور فيجد أثر ذلك فيما بينه وبين امرأته وبين
أولاده وبينه وبين أحبائه ، قال بعض علماء السلف إني
لأعص الله تعالى فأرى أثر ذلك في خلق امرأتي وفي دآبتي
وأولادي وأحبائي : ومن آثار المعاصي أنها توجب لصاحبها تعسير
الأمر كما أن الطاعات توجب التيسير ، قال الله تعالى (ومن يتق
الله يجعل له من أمره يسراً) وتوجب أيضاً نقص الرزق كما
قال ، ﷺ ، فيما أخرجه النسائي وابن ماجه بسند حسن (إن الرجل
ليخطئه الرزق بخطيئة يعملها) . والطاعات تؤمن تيسير الرزق
فقد قال الله تعالى عز وجل (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه
من حيث لا يحتسب) وقال تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر
عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى) ، نسأل الله
عز وجل أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا جميع معاصيه والحمد لله
رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه .

« حسن المعاملة »

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
وعلى آله وأصحابه .

إن حسن المعاملة أساس النجاح والوداد ، وإن سوء المعاملة
سبب الفشل والنزاع والبغضاء ، إن المعاملات أمرها خطير
وأن حقوق العباد شأنها كبير إن الحياة البشرية إذا خربت
فيها الذمم وفسدت الهمم كانت شقاءً وبلاءً فالمسلم لا يقاس
بصلاته ولا يوزن بصومه ، .

والمنافق قد يبرع في مظاهر العبادات وقد يتقن الكاذب آداء
الصلوات ، إنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر
من هجر ما نهى الله عنه . والأخلاق إنما تتجلى بآثارها في الأعمال
والمحك الصادق هي المعاملة (الدين المعاملة) ، قال الفاروق رضي
الله عنه لا يغرنكم من الرجل كثرة صلاته ولا صيامه ولا طول
بكائه إذا قرأ القرآن ولكن انظروا إلى حديثه إذا حدث وإلى
أمانته إذا أوثمن وإلى معاملته إذا عامل ، وروى مسلم بإسناده
عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم

القيامه بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا
وأكل مال هذا وسفك دم هذا أو ضرب هذا فيعطى هذا من
حسناته وهذا من حسناته فإن فئيت حسناته قبل أن يقضى عليه
أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار - أجل -
إن العبادات فرضت لتطهر القلوب فتحسن المعاملات إذا
أخلص في صلاته ، قال تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر) ، وفي الصوم قال عليه الصلاة والسلام : من لم يدع
قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه .
فالمرء منا عليه واجبات للناس فعليه لربه العبادة الخالصة
من صلاة وصيام وعليه للناس المعاملة الصادقة من بر ورحمة
وصدق في الحديث ومن تعاون واحترام وكف أذاه عنهم فمن
أدى حق ربه وحق عباده فقد ابرأ ذمته وحفظ أمانته وفهم
دينه وعرف رسالته ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم
المفلحون .

وإليك أيها الأخ المسلم شيئاً من بيان حسن المعاملة إن كنت تاجراً
وأديت للمشتري معاييب ما عندك وأرشدته إلى الأثمان الحققة
ولم تغشه فقد أحسنت معاملته وإن كنت صانعاً فاتقنت العمل

لمن كلفك به ولم تخنه في شيءٍ ووفيت بوعدك فقد أحسنت معه المعاملة . إن كنت معلماً فأرشدت تلاميذك إلى الطريقة المثلى ونصحت لهم في التعليم ولم تضن عليهم بما فيه مصلحتهم فقد أحسنت معهم المعاملة . إن كنت تلميذاً فامتثلت أوامر معلميك واشتغلت بتأدية واجبك على النحو الذي يحبه أساتذتك فقد أحسنت معهم المعاملة . إن كنت طبيباً فبذلت ما في وسعك من تخفيف الآلام ومساعدة المريض فقد أحسنت معهم المعاملة . إن كنت محامياً فقمتم بإنصاف المظلوم وأعنته بالحق على الظالم وأنرت الطريق للقاضي ولم تمأئ ظالماً على ظلمه فأنت حسن المعاملة وقد برأت ذمتك . إن كنت قاضياً فأيدت العدل وأوضحته طرقه ورفعت مناره وأوصلت الحقوق لآربابها فأنت حسن المعاملة . إن كنت مستخدماً فقمتم بعملك على النحو المطلوب منك وأخلصت في تأديته فأنت حسن المعاملة وإن خلقنا هذا شأنه لجدير بأن يبذل الناس مهجهم في الحصول عليه والوصول إليه ليكونوا ممن رضي الله عنهم والناس راضون عنهم .

نرى تجارة بعض الناس كاسدة لا يقبل عليها أحد ولا يشتريها ،

وإن قل ثمنها وكانت أنواعها جيدة بينما نرى تجارة البعض الآخر يقبل عليها الناس إقبالاً تاماً ، مع ارتفاع ثمنها ، فما السرّ في ذلك ، السر في ذلك أن الأول عرف كيف يحسن معاملة الناس ويستجلب رضاهم ويجذب قلوبهم ، فنراه يصدق ولا يكذب ، ويتق الله في تجارته فيكون من الفائزين الرباحين فالمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، فعلى من أراد الحياة الطيبة أن يكون لين الجانب محسناً في معاملته صادقاً في حديثه محباً لاخوانه ما يحب لنفسه مبتعداً عن الغش والخداع

قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان
نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما يحب ويرضى وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عناية الإسلام بالنظافة والصحة

بسم الله الرحمن الرحيم نحمدك اللهم ونستعين بك ونصلي
ونسلم على رسولك محمد وعلى آله وأصحابه .

وبعد فحديثنا اليوم عن « عناية الإسلام بالنظافة والصحة »
لقد ندب الشارع الحكيم إلى النظافة وحث على مراعاتها
وجعل الطهور مفتاحاً لأشرف عبادة وأجل قربة وهي الصلاة ،
فقال ﷺ: « مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ » .

والإسلام يطلب من المرء أن ينظف نفسه خمس مرات في اليوم
والليلة في أوقات متفاوتة ليدل أوكد دلالة على ما لذلك من الأثر
والفضل في الصحة وفي التهيؤ لمناجاة مولاه وتدبر آياته ومن
المأثور عن الحكماء « العقل السليم في الجسم السليم » ولم يفرض
الله تعالى هذه النظافة ليشق علينا ، ولكن ليطهرنا لعبادته
ويؤهلنا لمناجاته وليتم علينا نعمة الصحة والهناء في
الحياة ، قال تعالى : (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ
وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .
فالْمُؤْمِنُ النّظِيفُ أَحْسَنُ مَوَاجِهَةً وَأَطْيَبُ رِيحاً وَأَلْطَفُ مَنْظِراً

وأسلم ملامسة وأزكى نفساً وأقرب إلى الملائكة الكرام وأحق بحبة الله وتلاوة كلامه العزيز ، وأسعد باتباع السنة من المسلم الذي لا يعطي النظافة حقها .

فالإسلام دين النظافة والصحة . يحافظ عليهما ، ويحث على اعمال الجهد في تنظيف الأجسام والثياب والمساكن والأواني بل والطرق المسلوكة حتى جعل إمطة الأذى عن الطريق من شُعب الإيمان .

وقد راعى الناحية الصحية في التعامل والحضر والسفر والنوم والعمل تمام المراعاة .

ومن المعلوم أن بلاد العرب تكثر فيها الرياح العاصفة فتثير رمالاً هوجاً تدخل من وقتها بين المرء وشعاره فتتراكم مع العرق الذي سببته الشمس اللافحة فتحدث قذارة ورائحة تزكم الأنوف وتغثي النفوس ، فكيف تسلم صحته ويصلح لمناجاة ربه وملاقة ملائكته ودخول بيوت الله عز وجل والاجتماع فيها بإخوانه المؤمنين عند تأدية العبادة والاعتكاف وسماع الدروس والذكر والطواف ؟

لهذا كله شرع الله تعالى الوضوء للصلوات الخمس وفضل أن يكون لكل صلاة وضوء خاص بها بل جعل الوضوء على الوضوء نوراً ليكون أبلغ في النظافة ولئلا يمسك المرء نفسه عن قضاء الحاجة ويكتفي بوضوء واحد فيتعب ويمرض .

تدرج الإسلام في هذه الطهارة الإجبارية من غسل اليدين إلى الرُّسغين قبل إدخالهما في الإناء محافظة على طهورية الماء ونظافة الإناء إلى مضمضة الفم الذي تتراكم فيه بقايا الأطعمة بين الأسنان فتسبب السوس الذي ينخرها ويفسدها ، ولذا شرع السواك وحث عليه وأكثر من تعداد محاسنه وفوائده لتشتد اللثة وتطيب النكهة ويزول الأذي من فيه الذي يقرأ به القرآن ويناجي به الرحمن فقال صلى الله عليه وسلم :

« لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ كَمَا أَمَرْتُهُمْ بِالْوُضُوءِ » .

ثم تدرج إلى غسل الأنف بالاستنشاق والاستنثار تنظيفاً لمسالكه لأنه أساس الدورة الهوائية وإزالة لما يعلق به من غبار وأذي .

ومن عادة الإنسان رجلاً كان أو امرأة إذا عمل عملاً أن يباشر ذلك العمل مقبلاً عليه بوجهه مشمراً عن أكمامه إلى مرفقيه فشرع له غسل الوجه واليدين وأمره بمسح رأسه إزالة لغباره فما ترك الدين موضعاً مكشوفاً إلا طلب غسله ثلاث مرات الأولى لنظافة سطحه والثانية لنظافة العضو نفسه والثالثة مؤكدة لتمام هذه النظافة ، وشرع التخليل للأصابع ومسح الأذنين وتتبع ما غار من مواضع وضوئه إزالة للعرق والإفرازات التي لا تذهب إلا بإجادة الغسل وطلباً لكمال النشاط والتنبيه ، وشرع غسل إلى الكعبين لكثرة ملامستهما التراب والغبار ولاسيما الأعقاب التي يختنق الأذي في تكاميشها .

هذا سر ما فرضه الإسلام في نظافة الأعضاء خاصة ، أما نظافة الجسم عامة فقد شرع الغسل عند الاتصال الجنسي بين الزوجين وعند طهارة المرأة من الحيض والنفاس وعند قصد الاجتماعات الدينية كصلاة الجمعة وصلاة العيدين .

هذا قبس من تعاليم الدين الإسلامي الصحيح الذي وضع لوائح صحية تهي للإنسان حياة كاملة بعيدة عن الأمراض ما أمكن وسن قوانين سماوية تؤدي إلى حفظ الصحة وكمال القوة.

وقد اعتني الإسلام مع هذا بتطهير الباطن من دَرَن الأخلاق
وسوء الطباع فحث على تطهير القلب وتصفيته من الأغيار
لتصفو مرآته فتنتبج فيه صور المحاسن وترقى الروح إلى
المستوى الأعلى مستمطرة سحب الرحمة الربانية لتفوز بالنفحات
والخيرات المفاضة عليها ولذا قال عليه السلام :

« إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا
فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » .

وقد شرع الإسلام قلم الأظافر وحلق العانة ونتف الإبط
والختان رعاية للنظافة وحذراً مما يتجمد من الأذي تحت الأظافر
ومنابت الشعر وجلدة الإحليل .

هذا أجل ترتيب في التربية البدنية الصحية لمحاربة الجرائم
وإزالة الأقدار ومقاومة السموم ، فما أجل هذا الدين وما أعظم
مبادئه وإرشاداته .

ولكمال عناية الإسلام بالنظافة شرع غسل الميت ليلقى ربه
طاهراً نظيفاً مطيباً .

ولقد حرم الإسلام جميع الخبائث ومنها أكل الميتة لتراكم

الجرائم فيها وأكل لحم الخنزير لضرره ، وشرب الخمر لما فيها من الكحول الكثيرة التي تخامر العقل وتفسده ، وحرّم الدم لفساده بعد وقت ضئيل ، كما أمر بالفرار من المجذومين ، وأمر بمحاصرة الوباء في منطقة معينة ، فنهى من كان في أرض الطاعون من الخروج منها ومن كان بعيداً عنها من الدخول إليها كل ذلك شرع محافظة على الصحة ورعاية للمصلحة وخشية انتشار الأمراض والوباء .

وأمر الشرع أيضاً بالصيام لإراحة للجهاز الهضمي فيحصل الاستجمام والهدوء وتستعيد المعدة نشاطها الجديد بعد الصيام . أليست هذه كلها أدلة واضحة على اعتناء الإسلام بالصحة والنظافة ؟ وأنه حث على أصول الصحة العامة قبل ظهور العلم الحديث ، وكيف لا وهو الدستور الرباني الذي يكفل السعادة للبشر في دينهم ودنياهم وآخرتهم ، أما ما يتعلق بالثواب على مراعاة هذه الآداب فذلك قد تكفلت ببيانه معاجم السنة النبوية ولنا كلمة أخرى إن شاء الله تعالى حول الطب النبوي وأسواره أدام الله علينا جميعاً نعمة الصحة والعافية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

شرح دعائم الاسلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » رواه البخاري ومسلم .

أيها المسلم الكريم : يمثل الرسول ﷺ ، لك أصول الإسلام بالأركان التي يقوم بها بناء البيت من أحجار وأخشاب وحديد ، فكما للبيت عناصر أولية كذلك للإسلام الذي هو تصديق وعمل واستسلام عناصر وأصول هي منه كآركان البيت ، وهناك أمور أخرى هي من هذه كالفروع من الأصول أو هي من آثار الإحسان في هذه الأمور .

فأولى القواعد الإسلامية أنه لا إله موجود تصح عبادته ، ويعمد إليه في قضاء الحوائج وتحصيل المهمات إلا الله رب العالمين الذي خلق كل شي وبيده الأمر والتدبير ، ولا يعبد

شيء سواه من ملك أو نبي أو كوكب أو طاغوت أو صنم ، فذلك كله شرك وباطل فكيف يشرك في عبادة الواحد الأحد المنعم من لا يملك لنفسه ضراً ، ولا نفعاً ، ولا موتاً ، ولا حياة ، ولا نشوراً .

وكذلك التصديق بأن محمد رسول الله ، ﷺ ، أرسله الله على فترة من الرسل لهداية البشر وإرشادهم لمصالحهم الدينية والدنيوية ، وإعانتهم على شئون الحياتين .

والاعتراف بالوحدانية لله عز وجل وبالرسالة المحمدية أساس الاعتراف بالحقائق ومبدأ الهداية الحققة ، ولذلك بدأ به الرسول ، ﷺ .

ثانياً - الصلاة ، وهي دعاء وابتهاال وخشوع وامتنال وتوثيق لصلة العبد بربه ، فيفيض عليه من خيره ، وتطهر نفسه من التكالب على أعراض هذه الحياة الفانية ، وتعوده الإخلاص والابتعاد من النفاق ، وتبعث فيه النشاط وتمرنه على أداء المأمورات في مواعيدها المحدودة ، يقرأ فيها القرآن وقلبه خاشع ، وذهنه حاضر فيعلم من علومه ويهتدي بهداه وتصفو

نفسه ويستنير عقله ، ولهذا كانت عنصراً أساسياً في بناء الإسلام ، قال تعالى : (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ) .

ثالثاً - الزكاة وهي قليل من مالك أيها المسلم زائد عن حاجتك تخرجه للفقراء والمساكين وتحرر به رقاب الأسرى والمحتاجين وتعين به الغارمين من المدينين ، وتقوي به صرح هذا الدين قد رفعت البؤس عن البائسين وتعود مأجوراً محبوباً محافظاً على حياتك ومالك ، وقد خدمت دينك خدمة قيمة ، وجاهدت في سبيله بمالك وخدمت نفسك بتطهيرها من رذيلة البخل والشح وتعويدها الخير ورفع مقامها بين الخلق .

رابعاً - صوم رمضان ، يطهر المعدة مما علق بها من بقايا الطعام ، ويريحها من العمل عدة أيام ، وينمي في نفسك الشعور بحاجة الفقراء والمساكين ، إذ به تذوق ألم الجوع والظماً فتتذكر إخواناً لك بائسين تواسيهم بمعونتك ، وبرك ، ويزكي فيك روح التفكير ، إذ البطنة تذهب بالفطنة ، ويذكرك بربك في كل حين ، وتقرأ القرآن وترطب لسانك بذكره وأنت صافي القلب .

خامساً - حج بيت الله الحرام ، فتذهب إلى مكة البلد

الأمين الذي نشأ فيه سيد العالمين ، ونبت فيه هذا الدين ، وترى أول بيت وضع للناس ، وتقوم بأعمال مختلفة كلها قربات من طواف وصلاة وسعي ووقوف بعرفة وذكر وتهليل وتكبير وتلبية وذبح هدي وتصدق على المساكين ، فتهدب نفسك بالسفر ، وتذكر النشأة الأولى للإسلام ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وتجتمع بإخوانك المسلمين عند بيت مولاك الذي دعاك وحيآك وقربك وأدناك واختارك أن تكون أحد أفراد المتقبلين الذين نسلوا من كل حذب وأتوا من كل فج ، من مشارق الأرض ومغاربها وتفكر معهم فيما يعيد للإسلام مجده وما يقوي سلطانه ، وتقف على حال إخوانك المسلمين .

تلك دعوات الإسلام فاحرص عليها ونمها بالأعمال الصالحة (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) .

وكم للإسلام من فضل عظيم على أهله يرجع عليهم بالسعادة والخير ويدعمهم بالبركة والفضل وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها نسأل الله العلي القدير أن يهدينا للإسلام ويمن علينا باتباع سيد الأنام وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والحمد لله رب العالمين .

عناية الاسلام بنظام الحياة الزوجية

وتحذيره من هدمها

الحمد لله على إفضاله ، والشكر له على نواله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والسالكين على منواله ، قال الله تعالى :

(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ، وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) .

وقال ﷺ: « لَا يَفْرَكَ (يبغض) مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ » .

أيها السادة : لقد اعتنى الإسلام بنظام الحياة الزوجية وشرع لذلك قوانين الألفة ووسائل حسن المعاشرة وشيد صرح المحبة بين الزوجين على تأسيس حقوق وواجبات معلومة في دائرة محدودة فمتى روعيت تلك الحقوق والواجبات عاشت الأسرة الإسلامية في أرغد عيش وأمنأ حياة ، وحدد الشارع الحكيم لكل من الزوجين حقوقاً ووظائف وبيّن أن حقوق الزوج أعظم فقال تعالى :

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

فالذي يهدم الأسر الإسلامية ويفكك عراها ويضعف وحدة
الأمة ويوغر الصدور ويهتك المستور ، هو الطلاق غير المشروع
وهو أشد الأضرار في مجتمع الحياة وأبغض الحلال إلى الله ،
كم جرّ مصائب وفرق أسراً وكم ضيّع وداد العشائر وفصل بين
زوجين جعل الله بينهما مودة ورحمة ، وذهب بأطفالهما في
أودية الحيرة والضياع حين فقدوا النعيم في ظل اجتماع الأبوة
والأمومة ، فلئن كانت الداهية أكثر ما تكون ألماً للنفوس إذا
أتت على غرة ، فالطلاق يزيد عليها لأنه يبدل الهناء بالشقاء
والائتلاف بالاختلاف ، وقد أجاز الشارع الطلاق في أشد
أحوال الضرورة إذا تعين طريقاً للخلاص من النزاع ولكنه
جعل سلاح ذلك الطلاق بيد الزوج لأن الرجل أقدر على ضبط
نفسه من المرأة وأعمق إدراكاً ، وهو الذي بذل الصداق من
ماله ، وتحمل أعباء الزوجية ، قال تعالى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ
عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ
أَمْوَالِهِمْ) .

وقد نفرَّ اللهُ الأزواج من الطلاق إذا أحسَّ أحدهم بكَراهةِ أهله وأمرهم بذكر المحاسن ، فقال تعالى : (فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ، وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) .

فإذا أحسَّ الزوج بسوء خلق المرأة والكراهية لعشرتها ، فليذكر خدمتها لبيتها ورعايتها لأطفاله فيتوقع منها الخير ، وليتذكر عواقب الطلاق من فرقة وامتعة ونفقة ودفع مؤخر صداق وضيعة أطفال وعداوة أصهار ، إلى غير ذلك من المضار التي لا يشعر بمصائبها الزوج إلا بعد الطلاق ، فكيف مع ذلك ينتحل أضعف الأسباب ليتلاعب بالطلاق ، فيؤديه ذلك إلى انتهاك المحارم وارتكاب العظائم .

وقد رتب اللهُ في كتابه الطلاق ، فقال تعالى : (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ، فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) .

فجعل الطلقة الأولى رجعية ، تأديباً للزوجة لتذوق ألم الفراق ، وتقدر خسارة حياتها الزوجية وضيعة أطفالها ، ثم جعل الطلقة الثانية رجعية أيضاً ، إيقاظاً للزوجة الغافلة ، وتنبيهاً لأهلها ليأخذوا على يديها فتستقيم على طريقة صالحة

للعشرة ، وجعلهما رجعتين أيضاً ليتروى الزوج ويفكر ويتدبر
ويزن أمره قبل بتُّ الطلاق هل يصبر على فراقها ، فإذا لم
يصبر راجعها ، فالطلاق الرجعي تهذيب للأخلاق ، ووقاية من
خطر الفرقة النهائية ، وتحصيل للسعادة الزوجية ، ثم تأتي
بعد ذلك الدور الفرقة البائنة المشار إليها بقوله تعالى : (فَإِنْ
طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ) .

فينظر الزوج امرأة أخرى وتنظر المرأة زوجاً آخر فيفترقان :
(وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ ، وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيمًا) .

فانظر رحمك الله أيها الأخ الكريم إلى هذا النظام الإسلامي
البديع في ترتيب وقوع الطلاق رجعياً ، ثم بائناً مراعاة
للمصالح ، وتنفيذاً لسنة الآداب التدريجية ، ومحافظة على
كيان الأسر الإسلامية لئلا تضيع أطفالها بين أم هدم العناد
حياتها ، وأضاع الشيطان طاعتها لزوجها حتى فقدت سعادة
مستقبلها وحفظ أطفالها ، وبين أب لا يفكر في العواقب
يندفع في طلاقه طوعاً لغضبه ، فيرسل الطلاق من فمه بدعياً ثلاثة
من غير تروٍّ ولا تفكير ، ويزيد فيحرمها على نفسه تحريماً باتاً .
وربما ذهب لبعض الكتاب الجهلاء ، فلا يحذره من ارتكاب

بدعة وهدم عصمة وكسر خاطر وإغلاق بيت ، فيجر عليه
مشاكل ومصائب ، فليتنق الله هؤلاء الكتاب وليقولوا قولاً
سديداً .

وبعد وقوع كارثة الطلاق الباتّ يندم الزوجان فيسعى الزوج
والأقارب والأحباب ، فيسألون العلماء ، ويلتمسون الحيلة ،
ويسلكون المخارج البعيدة . وقد ينكر الزوج المطلق ألفاظه
ويُغَيِّرُ نيته أمام المفتي أو القاضي ، وكل هذا لا يخلصه من
عذاب الله وغضبه ، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وختاماً نصيحتي للأزواج أن يجتهدوا في حسن العشرة ،
ويحذروا الوقوع في ورطة الطلاق ، ويتجاوزوا عن كثير مما
يفرط من الزوجات لضعفهن ، وعدم ضبط أنفسهن ، وقد
قال النبي ﷺ : « اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا » .

نسأل الله صلاح أحوالنا بمنه وكرمه ، وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

في إصلاح المجتمع

التسامح في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه وبعد:
فنحن المسلمين أهل الشريعة السمحة ، ندين والحمد لله بأسْمَح
دين فلم لا نتسامح فيما ينبغي التسامح فيه ؟ إن التسامح المنشود
أيمن الصفات الحميدة أثراً وأجزلها فائدة ، وأعودها بالخير
على مجموعة الأمة ، يؤلف القلوب المتنافرة ، ويقرب النفوس
المتباعدة ، ويهدئ الأرواح الجامحة ، فرب كلمة طيبة
فَضَّت مشاكل كبيرة ، وحلَّت عُقداً مستعصية الحل ، ورب
تسامح في أمر قليل حفظ من الوقوع في خطر جليل .

والتسامح في الحقيقة ثمرة جليلة لمجموع طائفة من الأخلاق
الكريمة منها الحلم والصبر والعفو عند المقدرة والتواضع والسخاء .
والتسامح مظهر لهذه الأخلاق السامية ، وأثر من أعظم
آثارها ، وثمره من أطيب ثمارها فلا تتصف به إلا النفوس
العالية ، ولا يوفق إليه إلا أرباب الهمم ، ولقد كان نبينا
ﷺ ، أجل الناس تسامحاً سواءً كان ذلك في معاملته الفردية
أو في مواقفه الخطيرة الاجتماعية ، ما لم تقتض الحكمة

السديدة ، المعاملة الشديدة في مواقف محدودة رعاية للإصلاح ،
وروائعُ الشواهد الجليلة على شريف تسامحه ، ﷺ ، كثيرة ،
على أن مظاهر تسامحه عليه الصلاة والسلام التي هي المثل الأعلى
في هذا الباب ، بل هي الدرس الأجل لدى ذوي الألباب ،
لا يكاد يتيسر استقصاؤها للألسنة والأقلام فلا بأس أن نذكر
موجزها على طريقة الإمام ، وإليك الشواهد على ذلك :

الأول - ما خيّر ، ﷺ ، بين أمرين إلا اختار أيسرهما ،
وهذا من مظاهر تسامحه في أحكامه التشريعية التي جاء بها
رحمة للعالمين .

الثاني - ما انتقم النبي ، ﷺ ، لنفسه قط ، إلا أن تنتهك
حرماتُ الله تعالى فيغضب الله لا لنفسه .

الثالث - ما عالج النبي ، ﷺ ، أمراً من الأمور الحيوية
بالشدة ، إلا إذا تعينت الشدة طريقاً للحل ، واستحكم العناد
في نفوس الظالمين الأغبياء ، ومع ذلك فلا يزال يفتح باب
الرجاء للوصول إلى السلم والرحمة .

الرابع - أودى النبي ، ﷺ ، من عشيرته وقومه أشد الأذى ،

ووصل الأمر بسفهاء القبائل أن أغروا به صبيانهم ، فأدموا
عقبه الشريف برمي الأحجار ، وفي غزوة أحد شجَّ وجهه
الشريف وكُسِرَت رِبَاعِيَتُهُ وَقُتِلَ عمه ومثّل به وَقُتِلَ أصحابه
فما زاد ، ﷺ ، على أن قال :

« اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

يدعو لهم بالمغفرة والهداية ؛ وهذا من وفور شفقتة ، ﷺ ،
فلم تتحرك به القوة الغضبية فينتقم لنفسه أو يكافئهم بالدعاء
عليهم ، أو على الأقل يسكت عنهم انتظاراً لانتقام ربه ،
فيقول : (اللهم اهد قومي) ، يذكر في أخرج المواقف قوميتهم
فيقول : قومي ، وهل وقف عند هذا الحد الكبير من التسامح؟!
لا ، بل يعتذر لهم بقوله : فإنهم لا يعلمون .

هذه رحمته وتسامحه بالنسبة إلى خصومه وأعدائه ، فكيف
تكون شفقتة ورحمته بالنسبة إلى أحبابه وأتباعه ؟ ولا عجب ..
فهو المبعوث رحمة للعالمين والموصوف في القرآن الكريم بقوله
تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

الخامس - تسامحه ، ﷺ ، في صلح الحديبية بقبول تلك

الشروط القاسية التي فرضتها قريش على المسلمين ، وقد كان ذلك التسامح النبوي من أئمن التصرفات الحربية وأعودها بالخير على المجتمع الإسلامي ، فقد وضعت الحرب أوزارها بين الفريقين وأمن الناس على أنفسهم ، وانتقلوا بالمناجر وامتزجوا فانشرحت صدور الإسلام ، واهتدى كثير من الناس وجاء الفتح الأعظم فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، وقد كان تسامحه ، ﷺ ، يوم الفتح أعظم لما جيء بالأسرى ، وقد زاغت أبصارهم وعلموا أنه يوم هلاكهم وطالما آذوه من قبل وألبوا عليه القبائل ، فقال ، ﷺ : « اذْهَبُوا فَإِنَّهُمُ الطُّلُقَاءُ » فاستلَّ بهذا ما في نفوسهم من غطرسة وعناد .

السادس - تسامحه ، ﷺ ، عندما كان نائماً في بعض غزواته فانسلَّ إليه رجل من المشركين خلسة فاخترط سيفه ، وكان معلقاً في شجرة ، واستيقظ النبي ، ﷺ ، فرأى الرجل والسيفُ مُصَلَّتْ في يده ، فقال له الرجل : من يمنعك مني الآن يا محمد ؟ فقال له : الله عزَّ وجلَّ ، فوقع السيف من يد الرجل ، فأخذه ، ﷺ ، وشهره عليه ، فقال له من يمنعك مني الآن ؟ فقال الرجل : يا محمد كن خيراً آخذ ، فعفا عنه ، فأسلم الرجل .

واقراً أيها المسلم أخبار تسامحه ، ﷺ ، مع الأعراب الذين قَسَمَ عليهم الغنائم حتى جبذه أعرابي بثوبه فأثر ذلك في عنقه الشريف وقال له : يا محمد أعطني من هذا المال فإنه ليس مال أبيك ولا جدك ، فقال عليه الصلاة والسلام : « الْمَالُ مَالُ اللَّهِ وَأَنَا عَبْدُهُ » وأعطى الرجل فأغناه .

وجاءه ، ﷺ ، رجل دائن ، فأغلظ عليه القول ، فانتهره الفاروق رضي الله عنه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « دَعَهُ يَا عَمْرُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً » .

ولا تنس مواقف تسامحه في معاملته للمنافقين المستظلمين بظله بحمايته المطلعين على أسرار المسلمين ليفشوها ، وقد كان ، ﷺ ، عالماً بهم ، لأن الله تعالى أطلعه على دخائل قلوبهم ، ومع ذلك ينهى عليه الصلاة والسلام من استأذنه في قتل أحدهم ، فيقول : « لَا تَفْعَلْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » . ولذا عظمت الدعوة إلى التسامح في شريعتنا الإسلامية حتى لُقِّبَتْ بالسمحة ، قال الله تعالى : (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) .

وقال تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) .

وقال تعالى : (وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) .

وقال تعالى : (وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

أيها المسلمون : أليس يسمح الله عن عباده ؟ فلنتسامح ،
لنتسامح البائع مع المشتري ، ولنتسامح الدائن مع المدين ،
ولنتسامح الرئيس مع المرئوس ، ولنتسامح المخدم مع الخادم ،
ولنتسامح الراعي مع أهله ، ولنتسامح المعلم مع المتعلم . فرحم الله
عبداً سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا اقتضى ،
قال الشاعر :

سَامِحٌ أَخَاكَ إِذَا خَلَطُ مِنْهُ الْإِصَابَةَ بِالْغَلَطُ
وَتَجَافَ عَنْ تَعْنِيفِهِ إِنْ جَارَ يَوْمًا أَوْ قَسَطُ
مَنْ ذَا الَّذِي مَا سَاءَ قَطُ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُ
غَيْرُ نَبِينَا الَّذِي عَلَيْهِ جِبْرِيلُ هَبَطُ

نسأل الله تعالى أن يعفو عنا ويسامحنا ويغفر لنا أجمعين
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه .

أدب الإسلام في نظام الأسرة

الحمد لله الذي نزل الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي بسنته إلى السعادة والأدب الرصين وعلى آله وأصحابه الهداة المخلصين ، والدعاة إلى الله المرشدين .

أيها السادة : موضوع المحاضرة « أدب الإسلام في نظام الأسرة » .

الأسرة فيما قبل الإسلام :

كانت الأسرة فيما قبل الإسلام مشتتة العناصر متقاطعة الأواصر لا يصلها رحم ولا تشفع لها قرابة ، قد خيم عليها الحقد والتدابير والبغضاء والتناحر لا تعرف للمرأة قيمة ولا تحفظ لها كرامة .

١ - فمثلاً كانت المرأة عند الأثينيين تعتبر من سقط المتاع حتى أنها كانت تباع وتشترى في الأسواق قد قضي عليها بالعبودية والإذلال ... وكذلك هي في شرائع الهند القديمة ...

وكانت عند بعض الأمم الأوروبية ليست لها حقوق شخصية في الملك وإنما خلقت لخدمة الرجل فلا حق لها في تملك ملابسها ولا في الأموال التي تكتسبها بعرق الجبين ... أما عند العرب فقد كانت ممتهنة جداً حتى أن بعض العرب كان يثد البنات كما قال تعالى : (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون) وكانوا لا يورثون النساء والصبيان من أبناء الميت وإنما يورثون من يلاقي العدو ويقاتل في الحرب ... وكانت العرب ترث النساء كرها بأن يجيء الوارث ويلقي ثوبه على زوج مورثه ثم يقول ورثتها كما ورثت ماله ... فيكون أحق بها من نفسها . وكان بعض العرب يكرهون إماءهم على البغاء ليكسبن لهم مالا وكان بعض العرب يرثون زوجات أبيهم في جملة المتاع فيصبحن زوجات للأولاد ... هذه أنظمة الأسرة الفاسدة قبل الإسلام ... فجاء الإسلام فأعطى المرأة حقوقها على ضوء العدل وجعلها أساساً في الأسرة الإنسانية واعتنى بها وصانها وحافظ على كرامتها وبوأها من المكانة المنزلة اللائقة بحالها وشرع توريثها

وبين حقوقها فقال تعالى : (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) كما حرم الإسلام إرث النساء كرها فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) الآية ... كما حرم الإسلام إكراه الإمام على البغاء فقال تعالى : (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصننا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) كما نهى عن نكاح زوجات الآباء بأسلوب منفر عن هذه الجريمة فقال تعالى : (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً) .

عناية الإسلام بالأسرة :

لقد تكفل الإسلام ببيان أحكام الأسرة مع الإشارة إلى أسرار التشريع مفصلة تارة ومجملتها أخرى في آيات وسور متعددة وأحاديث كثيرة من إرث ووصية ونكاح وطلاق وبين أسباب الألفة ووسائل حسن المعاشرة وشيد صرح المحبة بين أفرادها على تأسيس حقوق معلومة في دائرة محدودة فمتى روعيت تلك الحدود عاشت الأسرة الإسلامية في أرغد عيش

وأهناً حياة ، وحذر من هدم الأسرة وحث على تماسكها واتحادها
ونفر عن كل ما يدعو إلى تفكك عراها .

١ - ومن ذلك ، الطلاق وهو من أشد الأضرار في المجتمع
فكم جر مصائب و فرق أسراً وضيع و داداً و فصل بين زوجين
جعل الله بينهما مودة ورحمة وذهب بأطفالهما في أودية الحيرة
والضياع إذ فقدوا عطف الأبوة وحنان الأمومة و تبدل الهناء
بالشقاء و الإئتلاف بالاختلاف و المودة بالبغضاء .

٢ - ومن ذلك عقوق الوالدين فإن الشارع نهى عنه و حذر
منه وحث على برهما و الإحسان إليهما بصريح القرآن و الأحاديث
مقرونا حقهما بحق الله تعالى في الكتاب العزيز حيث قال تعالى :
(وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا ...) الآية .

وقال تعالى : (أن اشكر لي و لوالديك إليّ المصير) وقال ،
ﷺ : (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه
و مدمن الخمر و المنان ، و ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه
و الديوث و هو الرجل يقر الخبث في أهله و الرجل « وهي
المرأة المتشبهة بالرجال ، أخرجه النسائي بإسناد جيد . و أخرج

الحاكم في المستدرك عنه ، عليه السلام ، أنه قال : « كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات » ولا شك أن عقوق الوالدين من الذنوب الكبائر الموبقات .

٣ - ومن ذلك قطع الرحم فقد حث الشرع على صلتها وحذر من قطعها ذلك لأن الأمة الإسلامية هي مجموع الأسر الإسلامية المؤلفة من أفرادها فإذا تواصلت أفراد الأسرة في حال كونها قائمة بأمر الله تعالى واقفة عند حدوده كانت أمة مسلمة حقيقة عزيزة الجانب مرهوبة عند أعدائها سالحة لأن يخلفها الله في الأرض ويمكن لها دينها الذي ارتضاه لها ويجعل لها السلطان والقوة وينصرها على من يكيد لها إذ كانت خير أمة أخرجت للناس . ومن هنا يتضح لنا أيها المسلمون الحكمة الإلهية في تدهور حال الذين يقطعون أرحامهم ولا يؤدون ما وجب عليهم من الحقوق لأسرتهم غير مباليين بما يترتب على ذلك من الضرر العاجل والآجل والرحم نوعان عامة وخاصة . فالرحم العامة هي الرابطة الدينية الإسلامية التي تربط جميع أفراد المسلمين بعضهم ببعض في جميع أقطار الأرض وهذه

الرابطة الدينية هي النعمة الكبرى التي أنعم الله بها على المسلمين حتى صاروا بها إخوة « كما قال تعالى : « فأصبحتم بنعمته إخوانا » وهذه الرحم العامة تجب صلتها بالتواد والتحابب والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والدفاع عنها في الغيب والشهادة حسب الاستطاعة . والرحم الخاصة هي قرابة النسب التي تربط أفراد الأسرة بعضهم ببعض كالأبوة والعمومة والخؤولة وهذه الرحم الخاصة تجب صلتها بما توصل به الرحم العامة وتزيد عليها بالإنفاق ومزيد العناية بتفقد أحوالهم وجملة القول أن صلة الرحم بنوعيتها تكون بإيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة قال الله تعالى : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وجاء في الصحيحين عن النبي ﷺ ، أنه قال لا يدخل الجنة قاطع رحم .

منهج الإسلام في تشريع أنظمة الأسرة :

جاء في القرآن معظم أحكام الأسرة مفصلة تارة ومجملة أخرى في آيات وسور متعددة بحسب تطور الأحوال . ويرى

الباحث المتبصر أن أمور الأسرة التي من شأنها أن تتغير وتبدل بحسب المقتضيات قد أوردتها الشارع مجملة في أصول عامة وقواعد كلية لتؤخذ منها أحكامها بحسب تجدد الوقائع ملاحظاً تنقيح المناط تارة وتحقيق المصلحة تارة أخرى على ضوء الكتاب والسنة أما ما يتعلق بأمور الأسرة من العقائد التي من شأنها الثبات والإستقرار فقد جاءت لا تغيير فيها ولا تبديل كالإيمان بالله والتصديق بالرسول والإيمان بالغيب ونحو ذلك من العقائد مما جاء في الكتاب والسنة وهي ثابتة محكمة لا يجوز تغييرها وتبديلها لأنها أول واجب على المكلف ، ولهذا يظهر لنا مدى اهتمام الإسلام بنظام الأسرة ووضعها في أعلى درجات الاعتبار وربطها بالعقائد أصلاً وبالأحكام تفرعاً ولا شك أن الأسرة المسلمة هي نواة المجتمع الصالح فتجب العناية بها بالمحافظة بعقد زواجها الإسلامي عقداً صحيحاً بعيداً عن عبث العابثين لتحقيق الأهداف السامية من الرحمة والعطف والسكن النفسي الذي هو آية من آيات الله تعالى الدالة على كمال قدرته ، كما قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) .

هذا وتشريعات الأسرة تستقي مبادئها وكافة نظمها من الشريعة الإسلامية . ولهذا لم تخضع في العهد الأول لأي تغيير أجنبي ونفوذ حكومي لما كانت الأسرة الإسلامية محصنة بالعقائد الإيمانية لدى كل مسلم .

وقد ظهر الآن أنه لا حصانة للأسر إلا إذا تسلحت بسلاح العلم الديني والعقائد الإيمانية الشرعية ، وبذلك تبقى ثابتة محفوظة من تيارات الإلحاد وتزييفات الذين يسعون في الأرض بالفساد (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

فعلينا معشر المسلمين أن نعني بتعليم الأسر العقائد الدينية الحقة ، وتسليحها بسلاح التقوى لتكون متمسكة بالسبب الأقوى من الأخلاق كالحياء والعفة والمروءة كي تمثل المجتمع الصالح .

نوعية التشريعات الإسلامية للأسرة :

ولقد جاءت أحكام الأسرة في الإسلام على نوعين : الأول : أحكام خلقية أدبية ، والثانية : أحكام واقعية قضائية إلزامية ، وجعل الإسلام هذه الأحكام وحدة متكاملة ، وأحاطها

بإطار عام يمنع الاعتداء عليها بمخالفة أحكامها أو المس من كرامتها وسمعتها .

ونحب أن نذكر في محاضرتنا هذه لمحة موجزة عن الآداب الإسلامية في نظام الأسرة :

الأول - فيما يتعلق بالزوجين خاصة في آداب الزواج :

الزواج هو الأساس الذي تركز عليه هذه الأحوال ، بل هو أساس الحياة الاجتماعية كلها ، وجميع أحوال الأسرة وما ينشأ عنها إنما يتفرع من الزواج .

والآداب الإسلامية المتعلقة بالزواج كثيرة ، وأهمها :

(١) حسن اختيار الزوجة : فإن المرأة تنكح لخصال كثيرة ،

تنكح لجمالها ولمالها ولحسبها ونسبها ولخلقها ودينها ، ولا

يبقى من هذه الخصال إلا الدين والخلق ، فإن الجمال والمال

تبدله الليالي والأيام ، والحسب والنسب لا قيمة له ، إذا لم

يكن معه الخلق والدين ، فرجع الأمر إلى الخلق والدين ، ولذلك

قال ﷺ : « فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ وَالْخُلُقِ تَرَبَّتْ يَمِينُكَ »

رواه أحمد بإسناد صحيح ، والبزار ، وابن حبان .

وكذلك من الصفات التي يستحسن مراعاتها بعد الدين والخلق كونها ودوداً ولوداً ذات حسب ونسب ، وبكراً مستقيمة غير قبيحة .

(٢) النظر إلى المخطوبة : وهي سنة نبوية وأدب إسلامي يكاد أن يكون مهجوراً في بعض الأوساط المحافظة ، قال النبي ﷺ : « إِذَا خَطِبَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ » رواه أبو داود .

وقد ترك كثير من الناس هذه السنة المحكمة لما يفعله بعض الجهلة والحمقى من سوء استعمال هذا الأدب ، فإنهم إذا خطبوا ونظروا ثم لم يحصل اتفاق بين الطرفين أخذوا يتكلمون في المجالس وعند الناس عن هذه المرأة فينفر عنها غيرهم . ولهذا خاف كثير من الناس على أعراضهم من أمثال هؤلاء الحمقى ، فسدوا الباب على غيرهم .

(٣) المهر : وهو واجب على الرجل ، يجب أن يبذله للزوجة ، والمهر الذي أوجبه الإسلام لم تحدد قيمته ، ويختلف بقدره الرجل المالية ، أو اتفاق الزوجين ، لكن من الآداب الإسلامية

التي حث عليها الإسلام قلة المهر ، وعدم التغالي في ذلك ، واشتراط المقادير الفاحشة التي تسبب إحجام الشباب عن الزواج لعدم استطاعتهم تلبية تلك النفقات الباهظة ، التي لا يستطيع تأديتها صاحب الدخل المحدود .

وقد قال ، ﷺ : لرجل أراد أن يتزوج بأربع أواق : « كَأَنَّكُمْ تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عَرْضِ هَذَا الْجَبَلِ » اه لمسلم مطولا .

وقال ، ﷺ ، في خطبة : « لَا تَعَالُوا فِي صَدَقَاتِ النِّسَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مَكْرَمَةً فِي الدُّنْيَا وَتَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ كَانَ أَوْلَىٰ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ » رواه أصحاب السنن .

وقال ، ﷺ : « إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَبْسِيرَ خِطْبَتِهَا وَتَبْسِيرَ صَدَاقِهَا » رواه أحمد .

(٤) إظهار الزفاف وإعلانه وإشهاره بين الناس : ليشهده الخاص والعام لقوله ، ﷺ : « أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَأَضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالذُّفُوفِ » رواه الترمذي .

وفي رواية : « فَإِنَّ فَضْلَ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الْإِعْلَانُ » .

(٥) الوليمة : وهي أدب شريف من الآداب المطلوبة في الزفاف ، ففي الحديث الصحيح : « أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ » .
أما عن آداب العشرة بين الزوجين ، فإن الله أمر بمعاشرة النساء بالمعروف على حسب ما جبلهن الله عليه من نقص العقل والدين ، كما قال ، ﷺ : « مَا رَأَيْتُ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أُذْهَبَ لِلْبِّ الْحَازِمِ مِنْ إِخْدَاكُنَّ » . ولهذا قال ، ﷺ : « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي » اه ، رواه ابن ماجه .

وقال علي رضي الله عنه : عقل المرأة جمالها ، وجمال الرجل عقله .

وقال الله تعالى : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) .
وقال تعالى : (فَأَمْسِكُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) .

أما عن آداب المباشرة وأصولها وأذكارها ، فإن الإسلام قد تكفل ببيان كل ذلك بياناً شافياً مفصلاً ، لا إجمال فيه ، وألقت فيه الكتب ، والرسائل الخاصة .

ومن آداب الإسلام في الأسرة فيما يتعلق بالزوجين أيضاً هو تحذير الرجل من أن يتكلم بين الرجال عن سر امرأته وأخبارها الخاصة وأحوالهما وشؤونهما الشخصية . وكذلك الحال بالنسبة للمرأة ، فقد قال ، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : « إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ أَحَدُهُمَا سِرَّ صَاحِبِهِ » اه لمسلم وأبي داود .

ونهي أيضاً أن تصف المرأة لزوجها امرأة أخرى وتتكلم عنها وعن أحوالها ، وحذّر المرأة أن تشكو زوجها أو تذكر ما تتألم منه أو تتأذى به في المجالس بين النساء ، فقال ، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : « إِنِّي لَأَبْغُضُ الْمَرْأَةَ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا تَجْرُ ذَيْلَهَا تَشْكُو زَوْجَهَا » رواه الطبراني بضعف .

ونهى الرجل أن يشتد في ضرب زوجته ، فقال : « لَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ ، وَلَا تُقْبِحْ ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ » رواه النسائي وابن ماجه .

وقال ، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : « لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ لَعَلَهُ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ » للشيخين .

ومن أدب الإسلام في الطلاق النهي عن الطلاق البدعي ،
وفي ذلك من الضرر الواقع على الرجل والمرأة معاً ما لا يستهان
به . أما المرأة فإنه إذا طلقها في حالة الحيض طالت عليها العدة ،
أي تكون الحيضة التي حصل فيها الطلاق غير محسوبة من
من مدة العدة التي هي ثلاثة قروء ، وحينئذ تكون أربعة .

وينتج من هذا ضرر آخر ، وهو أن الحيضة الأولى التي
حصل فيها الطلاق لا تعتبر لها ، وهذا مخالف للشريعة السمحة
التي جعلت مدة العدة ثلاثة قروء .

وإذا طلقها في طهر بعد وطءٍ تكون مظنة الحمل ، وإذا كان
حمل مكثت زمناً ليس بقليل حتى تضع حملها ، وهي بغير
بعل عدا ما يتبع ذلك من المشاكل التي تقع بسبب النفقة .

أما الرجل فإنه أولاً يكتسب إثمًا لتسببه في طول العدة ،
وثانياً يتكبد النفقة كل هذه المدة ، وثالثاً يتحمل عناء البعد
عن ولده وفلذة كبده في مدة الحضانة ، وقد قال النبي ﷺ ،
لعمرك لما طلق ابنه عبد الله زوجته : « مُرْ ابْنَكَ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ
يَدْعَهَا إِلَى أَنْ تَحِيضَ فَتَطْهَرُ ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهَرُ ثُمَّ يُطَلِّقَهَا

إِنْ شَاءَ طَاهِرَةٌ مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ .
وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ
لِعَدَّتِهِنَّ) .

قال مجاهد والحسن وعكرمة : فطلقوهن في طهر لم يقع فيه
جماع ، وهذا من كمال التأديب .

الثاني - الآداب التي تخص علاقات الآباء بالأبناء فقط :
فمن آداب الإسلام في هذا المجال :

(١) حسن اختيار اسم الولد بتسميته باسم حسن لطيف
يناسب العصر والبيئة ، ولا يكون موضع استهزاء أو ازدراء
أو تشاؤم واشمئزاز ، قال ، عليه السلام : « مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَالِدِ
أَنْ يُحْسِنَ أَدَبَهُ وَيُحْسِنَ اسْمَهُ » رواه البيهقي في الشعب .

(٢) إعانة الآباء لأبنائهم على برهم وطاعتهم بحسن معاملتهم
وحكيم سياستهم ورشيد تربيتهم وأمرهم بما يستطيع ، قال ،
عليه السلام : « رَحِمَ اللَّهُ وَالِدًا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بَرِّهِ » رواه أبو الشيخ
بضعف .

(٣) منح الآباء أبناءهم العطف والرحمة والعناية والرعاية ،

ففي الحديث أن الأقرع بن حابس قال : إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الْوَلَدِ
مَا قَبِلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، فَقَالَ ، ﷺ : « إِنَّ مَنْ لَا يَرْحَمُ ، لَا
يُرْحَمُ » رواه البخاري .

وقال ، ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا »

(٤) أمر الآباء للأبناء بالصلاة إذا بلغ الواحد منهم سبع
سنين لينشأ على حبها والتعلق بها ، ثم ضربه عند تركها إذا
بلغ عشر سنين لئلا يتعود على تركها وجفائها والتفريق بينهم
في المضاجع .

(٥) اهتمام الآباء بتأديب أبنائهم وتعليمهم وتهذيبهم ،
فقد قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَسَارًا) .

وقال علي رضي الله عنه : علموهم وهذبوهم .

وقال الحسن : مروهم بطاعة الله ، وعلموهم الخير ، وفي
تاريخ البخاري مرفوعاً « ما نحل والد ولداً أفضل من أدب
حسن » وعن جابر بن سمرة مرفوعاً : « لَأَنْ يُؤَدَّبَ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ
خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ بِنِصْفِ صَاعٍ عَلَى الْمَسَاكِينِ »

رواه الطبراني في معجمه .

(٦) استئذان الأبناء عند الدخول على أبويهم في الأوقات الخاصة كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) .
ففي هذه الأوقات عادة يكون الأبوان في حالة خاصة ، أو وضع خاص لا يستحسن رؤيتهما فيه .

(٧) القيام بإشاعة المحبة والألفة بين الإخوان في المنزل والعدل بينهم في العطف والتسوية ، حتى لا يقع في قلب واحد منهم بغض أو حقد أو غيره من أخيه ، كما حصل بين إخوة يوسف ، ولذلك قال ، وَاللَّهُ ، مشيراً إلى العدل بينهم في العطف والقبلة والرحمة . فعن أنس أن رجلاً كان جالساً مع النبي ، وَاللَّهُ ، فجاء ابن له فقبله وأجلسه في حجره ، ثم جاءت ابنة له فأخذها فأجلسها إلى جنبه ، فقال ، وَاللَّهُ : « ما عدلت بينهما »
ورواه البيهقي .

الثالث - الآداب التي تخص علاقات الأسرة بغيرها : أي العلاقات الخارجية :

(١) علاقة الأسرة بالقرابة وذوي الأرحام ، وذلك بالصلة والمودة والإحسان إليهم والزيارة لهم والتفقد لأحوالهم والسؤال عنهم ، فقد قال ، ﷺ : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم » رواه الترمذي .

وقال : « الصدقة على المسلمين صدقة ، وعلى ذي الرحم اثنتان : صدقة وصله رحم » رواه النسائي .

(٢) علاقة الأسرة بالخدم ، وذلك بالإحسان والرفق ، وترك التكبر عليهم أو استقذارهم ، وقد قال ، ﷺ ، موصياً عليهم : « هم إخوانكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون » .

(٣) علاقة الأسر بالجار وذلك بإكرامه والإحسان إليه ، وبالأولى ترك أذيته وسبابه والوقية به .

وقد قال ، ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه » .
وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » .

أدب الدخول على بيوت الناس :

(٤) فأدب الإسلام في ذلك أن يبدأ أولاً بالاستئذان ثلاث مرات ، لأنهم في المرة الأولى يستنصتون ، وفي الثانية يستصلحون ، وفي الثالثة يأذنون أو يردون ويكون ذلك بالتسليم قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) الآية .

فإذا استأذن وسلم ثلاث مرات ، ثم لم يؤذن له فليرجع ، ومن أدب الاستئذان أن لا يقف في مواجهة الباب ، ففي الحديث أن رجلاً استأذن على النبي ، ﷺ ، فقام مستقبلاً الباب . فقال عليه الصلاة والسلام « هكذا عينك !! وهكذا ، فإنما الاستئذان من النظر » ، رواه أبو داود وهو حسن ، وآداب الاستئذان كثيرة جداً .

(٥) أدب خروج المرأة ، وفي سبيل هذا القصد أوصى الإسلام بالحجاب حرصاً على المرأة والمحافظة عليها لما في الحجاب من العفاف والصون فقال : (وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) . ونهى عن السفور والتبرج لما في ذلك من الخطر

نفحات الاسلام - ٨

الظاهر على الأخلاق والآداب والأعراض فقال : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ
اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) . ثم قال : (وَلَا
يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ
جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) وقال : (وَلَا تَبَرَّجْنَ
تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) ، فالإسلام نهى المرأة أن تخرج بزينة
جسدها لتتصدى للغواية بين الغرباء ، وهي في حل بعد ذلك
أن تلقى من تشاء ممن تجمعها بهم مجالس الأسرة من الرجال
الذين نصت عليهم الآية ، ولا يتأثرون بفتنتها . وبهذا ندرك
حكمة النهي عن التبرج ، وأن أخطار الشهوات الجنسية قد
تكفل الإسلام بتقرير العلاج الشافي لها مباشرة أو غير مباشرة ،
ونهى أيضاً عن الاختلاط بين الجنسين ، صيانة للأخلاق
والآداب ، وحفظاً للأعراض ، واحتراماً لكرامة الأسرة الإسلامية
وقطعاً لوسوسة الشيطان ، وسداً لطرق الغواية والضلال .

وقد كان ، ﷺ ، يجعل يوماً مخصوصاً للنساء يعلمهن فيه
وحدهن . قال الله تعالى : (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ

وَرَاءَ حِجَابٍ) ، على أن البعض يزعم أن الآية خاصة بأُمّهات المؤمنين ، وليس هذا المقام مناسباً لمناقشة هذه الآراء لنثبت أنه أدب عام شريف أمر به الإسلام على أنه إن سلمنا خصوصيتها جدلاً ، فإن النهي عن الاختلاط جاءت به السنة المشرفة .

إن الإسلام بتحريمه الاختلاط وضع حاجزاً منيعاً بين الفضيلة والرديلة ، وبين الصون والابتذال ، وهكذا نرى كيف أن الإسلام لم يغفل الأسرة من حسابه ، بل دعمها وقواها ، وربطها برباط مقدس شريف ، واعتنى بها غاية الاعتناء وتكفل برعايتها كل التكفل ، واهتم بذلك كل الاهتمام ، فالأب والأم الجنة في برهما وطاعتهما .

والطفلة والطفل : الوقاية من النار في تربيتهما .

والزوجة : كرامة الرجل وخيره في حسن عشرتها وودها ومحبتها

والقربة : الثواب العظيم والأجر الكبير في صلتهم .

والجار : كمال الإيمان في إكرامه .

والخادم : طاعة الرسول ﷺ ، في الإحسان إليه .

والضعيف : كمال الإيمان في إكرامه .

وبهذا بعث الإسلام في الأسرة الحب والتعاون والمودة
والإخلاص لتنظيم المجتمع والسمو به إلى الخير والعدالة والطهر
والشرف والإحياء .

فهذه بعض شمائل الإسلام وأدابه نسأل الله التمسك بواجباته
والابتعاد عن منهياته إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والحمد لله
رب العالمين .

الحث على المواساة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ألف بين قلوب المؤمنين
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

وبعد ... فحديثنا اليوم في « الحث على المواساة »
(مثل المسلمون في تعاطفهم وترأحمهم كالجسد الواحد
إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

فكما أن الجسد الواحد إذا مرض منه عضو تألم له الباقي
فلم يذق نوماً ، وسرت إليه حرارة الحمى فألمته ، فكذلك
المؤمنون حقيقة إذا ناب واحداً منهم نائبةً شعر بألمها الباقيون
فسعوا بما فيهم من العواطف للدفع الألم عنه وجلب الخير إليه ،
فالمسلمون في مجموعهم كشخص واحد ، فالخير يصيب الواحد
منهم كأنما أصاب كلهم ، والشر ينوبه كأنما ناب جميعهم ،
بهذا شبه الرسول ﷺ ، المؤمنين حقاً بالجسد الواحد فقال :

« مثل المؤمنين في تعاطفهم وترأحمهم كالجسد الواحد
إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »

رواه البخاري .

فلنعتبر بهذا المثل الرائع في تحقيق أخوة الإسلام ، ولنعطف على الفقراء ، ولنؤاس الضعفاء ، ولنرحم المنكوبين ، ولنساعد المصابين بأنفسنا وأموالنا جماعات وفرادى لأن المؤمنين إخوة ، وقد عرف المسلمون في الصدر الأول قيمة هذه الأخوة ، وصدق تلك المودة ، وما ينتج عنهما من منافع دنيوية وأخروية ، وعرفوا أن الخير لا يأتيهم كاملا إلا بتأخيهم ، وعرفوا أن انطواء الإنسان على نفسه وعدم شعوره بشعور غيره يؤدي إلى تفكك هذه الروابط وانحلال هذه القوى ، فضربوا أعظم المثل التي لا يزال التاريخ الإسلامي يحدثنا عنها وعن آثارها الرائعة ، فسجل لهم أنصع الصفحات في الجهاد بالنفس ، والمواساة بالمال بما يعجز التاريخ أن يسجل مثله إلى يوم القيامة لأي أمة من الأمم ، هاهم المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم بعد أن آخى بينهم رسول الله ﷺ ، يتقاسمون أموالهم بالسوية عن طيب خاطر وسماحة نفس يواسي الأنصار إخوانهم المهاجرين ، قال الله تعالى : (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

تصوّر أيُّها الأخ المسلم هذا المجتمع الإسلامي الذي يسوده الوثام لا الخصام ، وتربطه المودة لا المادة ، وتسيطر عليه الأخوة لا السلطة ، كم تتمنى لو عشت فيه ولو ساعة واحدة من حياتك بين الأنصار والمهاجرين ، فعسى الله أن يوفق المسلمين ويلهمهم أن يحققوا طرفاً من هذه الأخوة الكريمة السمحة ابتغاء مرضاة الله ، وإحساناً لوجهه الكريم ، بهذا نستطيع أن نستعيد عزتنا وبه يمكن الله لنا في الأرض محققاً وعده كما حققه لآبائنا وأجدادنا وما ذلك على الله بعزيز .

أيُّها المسلمون : لا بد لكل واحد منا من مساعدة الآخرين ، فليكن إذن مع الناس أخاً ، ولتكن الصلة بينه وبينهم أعظم من المادة ، وأبقى من المصلحة المؤقتة ، يربط نفسه مع أخيه برباط قوي لا تشوبه شائبة ، ولا يعكر صفوه سوء ، لتتصل الروح مع الروح ، كما يتصل الجسم مع الجسم .

ولذا كانت المواساة أجل عاطفة شريفة ، وأطهر خليقة محمودة ، فإذا كانت المواساة صفتك واساك الناس كما

واسيتهم ، وكانوا لك كما كنت لهم ورحمك الرحمن الرحيم
فأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة ، وإن تركتها إلى القساوة
قست عليك الخليقة وتركوك إذا حلت بك ضائقة وفرُّوا عنك ،
فارحم تُرحم ، وواس إخوانك يرفع الله شأنك ويعلي درجتك ،
والله لا يضيع أجر المحسنين .

ومن المضر بالمجتمع أن يقول القوي أو الغني أنني في خير
وراحة ولست مسؤولاً عن غيري وهذا الضمير يخالف تعاليم
سيد الخلق ، ﷺ ، وهو القائل : والله في عون العبد ما كان
العبد في عون أخيه .

واعلم يا عزيزي القارئ أنك مكافأ من ربك عن كل مساعدة
فعلية أو قولية أو مادية تبذلها لإخوانك تقصد بذلك مواساتهم
ومساعدتهم وجزاء الله عظيم وفضله كبير ، فابذل الخير والعون
يؤتك الله أكبر منه وما عندكم ينفد وما عند الله باق .

نسأل الله التوفيق والإخلاص والقبول وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ، والحمد لله رب العالمين .

التحذير من المدارس الأجنبية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله
وصحبه ومن والاه .

أيها السادة :

لقد شاع في البلاد الإسلامية الآن التساهل في أمر عظيم أدى
إلى فتنة كبرى وعاقبة وخيمة ، تلك هي إدخال بعض المسلمين
أولادهم في مدارس الأجانب ممن عرفوا بالعداوة لدين الإسلام
وتربص الدوائر بأهله .

أليست هذه المدارس الإسلام فيها دارس والتبشير فيها
بالمسيحية منتشر يسري في الأولاد سريان النار في الهشيم أو
سريان سم الأفاعي في جسم السليم فيصبح الولد متأثراً بما يلقى
إليه من عقائد الكفر بعيداً عن هدي الإسلام متهيئاً لقبول
ما يلقى إليه ، فلا يقبل إذا نشأ أي نصيحة أو توجيه ، بل
يكون زنديقاً ملحداً ، وعدواً للدين مفسداً ، وأولياء الأمور
مسئولون بين يدي الله تعالى عن أولادهم أفلاذ أكبادهم وثمرات
قلوبهم ، وهم صغار في أجسامهم وعقولهم وأمانات تحت

رعاية الآباء قد ولدوا على الفطرة ، فليثق الله هؤلاء الأولياء
وليحذروا سخط الله بالقاء أولادهم في أحضان أعدائهم .

(وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) .

نظرة واحدة إلى برامج الدراسة في هذه المدارس الأجنبية
تكفي العاقل للبعد عن هذا الخطر الداهم والتيار الجارف ،
إن الطبع سراق ، وكل قرين بالمقارن يقتدي ، فكيف بهذا
الناشئ الصغير يعيش بين قوم كافرين ، يحضر حفلاتهم ،
ومجامع لهوهم وأعيادهم ، فتبصر أيها الوالد أرشدك الله كيف
يتلقى الولد توجيهات أساتذته وأقرانه مما ينافي تعاليم الإسلام ،
حتى يصير إباحياً ، تاركاً للصلاة ، محباً للضلال ، مستهزئاً بأبويه
وعشيرته ، وعاداتهم ، وما الدين إلا الحب والبغض . (قُلْ إِنْ
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) .

أيها الوالد المتبصر : لا تغتر بالبنائيات الفخمة ، والأزياء
الجميلة والأنظمة البراقة ، والدعايات الواسعة ، فإنها وسيلة
لإبعاد ولدك عن مستوى دينك الحنيف وأخلاقك العربية النبوية

فعليك بتكوين ولدك أولاً تكويناً خالصاً حقاً ، وإذا ما قويت عقيدته ، وصفت سريرته ، فلاتخف بعد ذلك عليه من كيد الغاشين ، وإغراء المفسدين ، فبعد القوة والاستعداد لا يخشى عليه الفساد ، أجل إن فساد أبناء المسلمين باسم الثقافة الغربية هو أكبر سلاح ماض هدام في يد أعدائنا لينشأ النشء الجديد من أبنائنا اللاجئين إليهم وقد فقد عزته وقوميته وعروبته وعادى دينه وسيرة الآباء الأمجاد من السلف الصالح ، كل ذلك جاء من طريق الثقافة وباسم التعليم في مدارسهم ، والأولياء غافلون عما يحاك لهم ولأبنائهم في معترك الظلام ، معترون بالدعاية والنظام ودعوى التربية وانسجام الهندام ، فما أشأم تلك الشهادة التي يحملها الولد إذا رجع لوطنه وأهله ، إنه يحتقر كل شيء ويعادي كل وضع إسلامي لأنه ألف طريقاً جديداً لا فرق فيه بين ذكر وأنثى ولا بين مسلم وكافر ، والذنب في هذا ذنب الأب الغر المسكين ، الذي ألقى ولده في أحضان أعدائه الذين غذوه بلبان تضليلاتهم ، فكيف يكون مثل هذا مسلماً وقد نشأ أبوه وعوده على ممارسة دين الأعداء ، وما أحسن قول الشاعر في هذا المعنى :

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبْوَهُ

قل لى أيها العاقل : بربك هل يكون الطفل الذي نشأ بين جدران هذه المدارس إلا جندياً من جنود الكفر ؟ فما أجهل من يضيع مستقبل ولده ويهدم دينه بيده ، أيرجو الأب من ولده هذا أن يكون غنياً عظيم الجاه رفيع المكانة ؟ ! لقد نسي أو تناسى أنه قد صار بعيداً عن الدين أفقر ما يكون خلقاً وديناً وعملاً ، فمن يتق الله يرزقه من حيث لا يحتسب ، وما عندكم ينفد وما عند الله باق ، هذا كله مع تقدير الحاجة إلى المدارس الأجنبية ، فكيف والحمد لله وقد أنشئت في البلدان الإسلامية مدارس عالية ثقافتها راقية تنفق عليها الملايين ، ويعلم فيها أساتذة أشرق عليهم نور الإيمان والخوف من الله عز وجل ، ويستقدم لها أكفاء مبرزون في العلوم .

أيها المسلمون : إذا بقينا على هذه الحال نخشى أن ينزل بنا عذاب أليم ويحل بنا سخط من الله رب العالمين .

(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

وهؤلاء الأعداء يريدون لنا المصائب يخدعوننا باسم التعليم
لبث روح المروق من الإسلام في أبنائنا ، وصدق الله وحده
حيث يقول :

(كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً
يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) .

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَصْلِحَ فَسَادَ قُلُوبِنَا ، وَأَنْ يَحْفَظَ أَبْنَاءَنَا
وَيُوفِقَنَا لِحِرَاسَةِ دِينِنَا وَحِفْظَ عَقَائِدِنَا ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

التمسك بالدين الإسلامي

الحمد لله الذي رفع لمن وقف ببابه قدراً ، وأعلى لمن انتسب لجنابه ذكراً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جرى الماء النмир من بين بنانه ، وتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه ، وعلى آله الأخيار وصحابته الأبرار والتابعين لهم بإحسان .

أيُّها المؤمنون :

هذه ليلة مباركة ، أتشرف فيها بأن ألقى على مسامعكم موعظة دينية تذكيراً بالله وقياماً بواجب النصيحة ، وتلبية لنداء الحق والفضيلة ، وتحقيقاً لمقام الدعوة إلى الله ، ومعالجة لبعض أدوائنا الاجتماعية ، سائلاً من الله أن يقرن هذا العمل بالإخلاص والنفع والقبول .

إخواني :

إن التمسك بالوحي الرباني والهدي النبوي هو أصل كل كل سعادة ورقي وهناء ، وإن التساهل في أمر الدين هو ينبوع كل فتنة ومحنة وبلاء ، فالله الله في كتاب ربنا ، وسنة نبينا ،

ﷺ ، وتراث سلفنا الصالحين ، وآبائنا الأمجاد حماة الإسلام
 الأتقياء ، الذين هدّوا العالم ، ودكّوا العروش ، وأسعدوا
 البلدان ، وفتحوا بالمعارف الأذهان ، وأسسوا حضارة مزدهرة
 إسلامية على تقوى من الله ورضوان ، فتنبه بإرشادهم الغافل ،
 واهتدى بهديهم الجاهل ، واستنارت القلوب ، وتهذبت
 النفوس ، واعتدلت العادات ، وانتشرت المعارف ، وزالت
 الفوضى الاجتماعية واستقامت الأحوال ، وتجلّى الإنصاف
 يقرره القرآن ، ويبينّه سيد ولد عدنان ، ﷺ ، مؤيداً
 بالبرهان ، حتى حفظ التاريخ بين دفتيه جلائل أعمالهم في
 مظهر الإكبار والإعجاب ، وأبقى لهم ذكراً عاطراً يفتر عنه
 ثغر الإخلاص والتقدير ، فهم حماة الإسلام يلاقون الأسود
 فيصرعونها ، ويجارون الرياح فيسبقونها ، يخفضون أجنحتهم
 تواضعاً للمستضعفين ، ويرفعون رؤوسهم عزة على الجبارين ،
 تعترضهم الأخطار فيخوضون غمارها ، ويشرحون أمراض
 النفوس فيضعون الدواء موضع عللها ، عدلٌ هو القسطاس
 المستقيم ، وسخاءٌ هو الغيث النافع العميم ، وتمسك بالدين تباع
 له الأرواح ببيع السماح ، وجد في طلب العلم وإن كان بمناط

الثريا ، وطموح إلى المعالي وإن انتبذت وراء الفلك الدوار
مكاناً قَصِيًّا ، وارتباط قلوب بالتعاطف القوي وامتلاء صدور
بالغيرة على الحقوق الإسلامية ، وإخلاص في الكفاح تسقط
أمامه المنافع الخاصة جملة ، فما نالوا ذلك كله إلا بالتمسك
بالدين واعتقاد توحيد الله ، وإخلاص العبادة لله ، وبتنزيه
العقائد على ضوء الكتاب والسنة عن الخرافات والبدع
والأضاليل ، وبالتواصي بالحق والصبر وبالتناصح فيما بينهم ،
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أيها المؤمنون :

ألا نظرةً إلى تاريخنا الذهبي الأول تبعث فينا روح العمل
والإخلاص ؟ ألا رجوعاً إلى العمل بكتاب ربنا وسنة نبينا ،
ﷺ ؟ ألا اعترافاً بذنوبنا نستمطر به سحائب الرحمة الربانية ؟
ألا تبصراً في العواقب ؟ ألا قلوباً تذوب من عظمة الله ؟
ألا عيوناً تبكي من خشية الله ؟ ألا أفئدة تخشع لذكر الله ؟
ألا توبة تمحو عنا السيئات ، وتؤهلنا إلى رفيع الدرجات ؟
فاذكروا الله عباد الله و وحدوه توحيداً خالصاً واعتبروا بقول الله
تعالى في محكم كتابه :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا) .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ
فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ومراقبته مراقبة من يعلم أنه يراه
والتمسك بالدين الإسلامي والعناية بتربية نشئكم تربية دينية ،
وتحذيرهم من معاصي اللسان والجوارح ، ومن ضياع الأوقات
في الملاهي والألعاب المخلة بالمروءة . وعليكم بالمحافظة على
الصلوات في الجماعات ، والتناصح بالخير ، والتواصي بالصبر
وعليكم بالعناية بالتفقه في دين الله ، فلا يدخل أحد منا في
أمر حتى يعلم حكم الله فيه ، فينبغي للباعة أن يتعلموا أحكام
البيوع الشرعية ، وللصيافة أن يعرفوا أحكام الصرف
الشرعي ، ويجب على تجارنا أن يراقبوا الله تعالى ، وأن يحذروا
من الغش والأيمان الكاذبة ، والاحتكار للسلع التي يتداولها
نفحات الاسلام - ٩

الناس سيما بمكة المكرمة ، فقد روى الطبراني في الأوسط
 بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ، قال :
 « احْتِكَارُ الطَّعَامِ بِمَكَّةَ إِحَادٌ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ
 عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِحَادِ بِظُلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ » .
 فارجعوا إلى الله أيها المؤمنون وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا ،
 وفرُّوا إليه من الفتن والمعاصي .

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) .

(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) .

واعلموا رحمكم الله أن رحمة الله قريب من المحسنين ، وأبوابه
 مفتوحة للطالبيين والله يحب التوابين ويحب المتطهرين ،
 فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ، وقولوا
 كما قال الأبوان :

(رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

وتذكروا نعم الله عليكم وما أنتم فيه من الأمان والاطمئنان
 في جوار هذا البلد الأمين ، ومشاهدة بيت رب العالمين ،

واشكروا ما تفضل الله به عليكم من الأرزاق والخيرات التي
تجبي رزقاً من لدنه ، في وقت أهدق الخطر فيه بالعالم ،
ونحن في بحبوحة الأمان رافلون ، وبجوار بيت ربنا منعمون ،
فالحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، سبحانك
لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

التحذير من الكذب على رسول الإسلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد انتشرت رؤيا خاطئة منسوبة لرجل يسمى بالشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية ، اشتملت على وعد ووعد وأباطيل وخرافات وجراعة وكذب على المقام النبوي العظيم ، ومن العجب أن بعض الجهلاء إعتنى بطبعها ونشرها ظناً منه أنه على شيء . ولا نزال نسمع خبر هذه الرؤيا منذ عشرين سنة تنتشر في الآفاق وتطبع وتعلق على الجدران ويخطب بها جهلة الخطباء على الناس ، ولا يزال واضعها يتعاهد الناس منذ زمن طويل في المشرق والمغرب يغرُّ الناس بإظهار النصيحة وأمانه الكاذبة ويتستر هذا الدجال المجهول بنسبتها للجناب الأعظم ﷺ ، ودين الإسلام والحمد لله غني بمبادئه الكريمة ومحاسنه القويمه ووعدته ووعيده الحقيقيين ، وليس القصد من هذه الرؤيا فيما أظن إلا التنفير عن الإسلام إذا ظهر كذب أقوالها وخلف وعددها ، وهي وسيلة لجمع المال الحرام ، والنبي ،

ﷺ ، قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وترك للناس
شريعة واحدة لا تحتاج إلى تتميم بروياً في المنام ، والرؤيا
المنامية ليست طريقاً للتشريع ولا مستنداً لحكم شرعي أصلاً
لأن النائم لا يضبط لغفلته بمنامه فكيف يعتمد على روياه .

نعم روياه ، ﷺ ، في المنام حق لقوله ، ﷺ :

(من رآني في منامه فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتدخل
بي) ولكن الرؤيا شيء والأخبار عنه بأشياء للتشريع والاعتقاد
والعمل شيء آخر .

على أن الرأي هنا مجهول الشخصية ، وحديثه عن روياه
يحمل أدلة كذبها فإن فيها ما يخالف الشريعة المحمدية الثابتة ،
فإن تعيين هذا الدجال وقتاً معيناً لقيام الساعة ونزول عذاب
أو مطر على زعمه كذب محض وافتراء ، فإن علامات الساعة
الصغرى والكبرى معلومة من القرآن ، ومن كتب السنة
المعتبرة وليس في ذلك تعيين زمن أصلاً ، فهذا الجاهل رفع
نفسه إلى درجة علم الغيب فادعى تعيين الزمان وهذا من وسوسة
الشيطان ، قال تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم
ليجادلوكم) .

ودعوى هذا الدجال أن الشمس لا تغرب ثلاثة أيام افتراءً واختلاقاً ، فإنه لم يذكر في أشرطة الساعة غروبها هذه المدة ، إنما المعلوم طلوعها من مغربها بأمر الله فيغلق باب التوبة في وقت لا يعلمه إلا عالم الغيب والشهادة ، قال تعالى : (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا) .

وكذلك دعواه أن من لم يصدق هذه الرويا يسلب إيمانه والعياذ بالله تعالى كأنها وحي منزل ، وكذلك ترتيبه اللعنة على تكذيبها ، ولعن المسلم لا يجوز شرعاً ، واللعنة إن لم تجد مسلماً مستحقاً رجعت على قائلها فهي عائدة عليه ، وكذلك جعل كتابتها سبباً للإيمان وقضاء الديون وغفران الذنوب سبحانه الله العظيم ، إن المذنب لو نقل القرآن الكريم والعلم الشرعي كله لا يخلصه ذلك من العذاب على تفريطه في أداء الواجبات وارتكاب المسآثم .

إن هذا الكذب الصريح ينادي في وجه صاحبه بالخذلان وأن عمله عمل شيطان وأنه دسيسة خبيثة وليس للحجرة الشريفة خادم اسمه الشيخ أحمد أصلاً ، فاحذروا يا عباد الله

هذه الدسائس والأكاذيب فإن الكذب أقبح الخصال ، وإنه
وخيم العاقبة ، مخز لصاحبه ، مفسد لنظام المجتمع والأخلاق .

قال الله تعالى :

(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْكَاذِبُونَ) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ
يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى
يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا . وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي
إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ
وَيَتَحَرَى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا) .

وتعظم الجريمة إذا كان الكذب على الرسول ﷺ ، ففي
الحديث : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ،
فَإِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ ككَذِبِ عَلَيَّ غَيْرِي » وفيه « مَنْ كَذَبَ فِي
حُلْمِهِ كَلَّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ »
وفيه « إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرْيِ أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ

يَرَى فِي الْمَنَامِ مَا لَمْ يَرَهُ .

على أنه قد جاء في أثناء هذه الوصية النهي عن الجهاد
وطلب موالاتة الأعداء ، وهذا مما يؤيد أنها دسيسة يراد بها الكيد
للإسلام وأهله ، وعندنا والحمد لله في الكتاب والسنة من
المواعظ والإرشادات ، وبيان أشراف الساعة ما يغنيننا عن هذه
المنشورات ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في
الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأن يجعلنا هداة مهتدين وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التعليمات لأحكام الحج

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
وعلى آله وأصحابه .

أيها المسلمون السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أهلاً بكم يا وفود البيت الحرام ومرحبا برجال المجد والكرم
قصدتم الله ترجون الوصول إلى ما تبتغون من الآمال والهمم
ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقو دمدح فما أرضى لكم كلمي

أيها الحجاج الكرام وفود بيت الله الحرام : جعل الله حجكم
مبروراً وسعيكم مشكوراً ، وعملكم صالحاً مقبولاً ، أنتم الآن
في حضرة الله عز وجل حللتم ضيوفاً عند بيته ونزلتم على
ضيافته وكرمه ، فأفاض عليكم مولاكم سجال رحمته ووهب
المسيئين للمحسنين ، فالحمد لله الذي يسر لكم الوصول
والأسباب ، وأزال العقبات والموانع فاشكروا الله تعالى الذي من
عليكم بالقرب والسلامة ، تفاض عليكم الرحمات وتقال لكم
العثرات وتفتح لكم أبواب السماء ، ويستجاب لكم الدعاء
وأنتم في ساحة عرفات تلبون مستغفرين (تلبية) ٢ مرتين .

لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة
لك والملك لا شريك لك .

أيُّها الحجاج الكرام : إذا كنتم متمتعين بالعمرة ففي اليوم
الثامن من شهر ذي الحجة تغتسلوا غسل الإحرام وهو سنة
ثم لبسوا لباس الإحرام من إزار ورداء ونعلين ، ثم اعقدوا
بقلوبكم نية الإحرام ، ومن أحرم مفرداً أو قارناً فهو باق على
إحرامه ، ثم سيروا إلى (منى) قبيل الزوال وصلوا بها خمس
فرائض ، الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، والفجر ، كل
صلاة في وقتها مع الاشتغال بالتلبية والذكر والدعاء والابتهاج ،
ولفظ التلبية : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك
إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . اللهم إنا نسألك
رضاك والجنة ونعوذُ بك من سخطك والنار .

فإذا طلعت شمس يوم التاسع فسيروا إلى نمره أو إلى عرفه
مرة واحدة ، والمبيت بمنى ليلة التاسع سنة لمن تيسر له ذلك
ومن لم يتيسر له ذلك وترك المبيت فلا يلزمه (دم) فإذا جاء
وقت الزوال فاغتسل أيُّها الحاج إن أمكنك ذلك وهذا غسل
مسنون . ثم سر إلى مسجد (نمره) إن تيسر لك ذلك والأفضل

في مكان إقامتك مع رفاقك ، واحذر على نفسك من الشمس ، فالدين يسر والله رؤوف رحيم . فإذا صليت بالمسجد فاستمع للخطبتين من الإمام وصل معه الظهر والعصر قصراً وجمعاً جمع تقديم وكذلك إذا صليت في مخيمك ثم جد في الدخول إلى عرفات ، وعرفات كلها موقف ، والأفضل الوقوف عند الصخرات الكبار أو بالقرب منها في سفح جبل (الرحمة) حيث وقف النبي ﷺ ، والأفضل أن تكون راكباً واشتغل بالتلبية والدعاء حتى تغرب الشمس واحذر من النفير قبل الغروب يعني الخروج من عرفه قبل غروب الشمس فادفع إلى المزدلفة فإذا وصلتها فاجمع بين المغرب والعشاء جمع تأخير والتقط سبع حصيات لرمي جمره العقبة ، ثم بت في المزدلفة ، وهذا المبيت سنة لدى المالكية ، وواجب لدى أكثر الأئمة ، وإذا نفرت بعد دخول النصف الثاني من الليل اجزأ ذلك .

وقد قدم النبي ﷺ ، أهله عند النصف الثاني من الليل ومن وصل إلى المزدلفة قبل الفجر أو نفر منها قبل دخول النصف الثاني من الليل فعليه (دم) إلا عند الإمام (مالك) فليس عليه دم إذ لم يكن معك نساء أو ضعفه إقتد بفعل

الرسول ﷺ ، وصل الفجر بالمزدلفة صلها في أول وقتها
وقف بالمشعر الحرام إلى وقت الاسفار ، ثم ادفع عند الاسفار
إلى منى ، والهجج بالتكبير يوم العيد . وأعمال يوم العيد أربعة :

الأول : رمي جمرة العقبة عند أول وصولك من بطن الوادي
مكبراً مع كل حصاة ولا يرمى في يوم العيد غير جمرة العقبة ،
وإذا رميها من الجهات الأخرى اجزأك مثل أن ترميها من الطابق
الأعلى فلك أن ترميها من كل الجهات .

الثاني : نحر الهدي وهو أول وقته بعد طلوع الشمس بمقدار
أداء صلاة العيد والخطبتين .

الثالث : حلق الرأس أو تقصيره والحلق أفضل وأول وقته بعد
رمي جمرة العقبة أو بعد طواف الإفاضة أو بعد نحر الهدي
أيهما قدمت جاز لك .

الرابع : طواف الإفاضة وسعي الحاج إن لم يكن قدم السعي
قبل الوقوف بعرفات ثم ارجع إلى منى واستقم بها أيام
التشريق وصل كل صلاة في وقتها وفي كل يوم من أيام
التشريق الثلاثة ارم كل جمرة سبع حصيات مبتدأً بالأولى

مما يلي مسجد الخيف وهي الشرقية وادع الله تعالى بعد رمي
 الجمرتين الأولى والثانية دون جمرة العقبة ولا يكون الرمي
 في الأيام الثلاثة إلا بعد الزوال وإذا أردت التعجيل في اليوم
 الثاني من أيام التشريق فاحرص على أن تخرج من منى قبل
 غروب الشمس وإن غربت الشمس وأنت في مخيمك وجب
 عليك المبيت ورمي الجمار لليوم الثالث . ثم إذا نزلت مكة
 وأردت السفر فطف طواف الوداع إذا أردت الرجوع إلى بلدك
 وبهذا يكون حجك قد تم على سنة النبي ﷺ .

فيا اخوتي من مثلنا في مقامنا ومن ذا الذي قد نال ما نحن نلناه
 على عرفات قد وقفنا بموقف به الذنب مغفور وفيه محوناه
 وقد أقبل الباري علينا بوجهه وقال ابشروا فالغفو فيكم نشرناه
 علي الرضا مني المثوبة والجزا ثوابكم يوم الرضا اتولاه
 فطيبوا سرورا وفرحوا وتباشروا وتيهوا فهذا بابنا قد فتحناه
 ولا ذنب إلا قد محوناه عنكم وما كان من عيب لديكم سترناه
 نسأل الله عز وجل أن يجعل حجتنا مقبولا وذنبنا مغفورا ،

وَأَنْ يَكْتُبَ لِلْحِجَاكِ السَّلَامَةَ فِي الظَّنِّ وَالْإِقَامَةَ وَيُرْدِهِمْ إِلَى
أَوْطَانِهِمْ سَالِمِينَ ، وَأَنْ يَنْصُرَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ
آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ . لَبِّكَ اللَّهُمَّ لَبِّكَ لَبِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ
لَبِّكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ إِنْ نَسَأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ وَنَعُوذُ
بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

حج النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى
ورحمة وبشرى للمسلمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
النبي الذي بعثه الله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد : فإنني بحمد الله تعالى افتتح موسم المحاضرات لرابطة
العالم الإسلامي في هذه الليلة المباركة مقدراً للرابطة الإسلامية
حسن ظنها وثقتها شاكراً لكم تشريفكم وفق الله الجميع لما
فيه خير الإسلام والمسلمين .

تاريخ مشروعية الحج - أسس إبراهيم وإسماعيل عليهما
الصلاة والسلام الكعبة لعبادة الله وحده في زمن عمّت الوثنية
أكثر بلاد الدنيا ثم أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يدعو الناس
إلى حج هذا البيت الذي أشرقت منه أنوار الهداية الربانية
بدين التوحيد الخالص قائلاً : (وأذّن في الناس بالحج
يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)
فهرع الناس إليه يأخذون منه قواعد الديانة ويتخلصون من
أوزار الوثنية وأوضاع الشرك إلى عقيدة التوحيد الخالصة ملة

إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين .

وقد انتشر دين إبراهيم عليه السلام في جزيرة العرب ، وكانت قبائلهم تحج البيت وتعظم حرماته على ما رسمه لهم أبوهم الخليل عليه السلام من أعمال النسك ولبثوا على ذلك أحقاباً إلى أن نسوا تلك المعالم وهجروا سنة أبيهم إبراهيم بتقدم الزمن ، وبما عمهم من جهل ، وبقلة ظهور المذكرين والمجددين من الأنبياء والعلمين وباختلاطهم بمن حولهم من الأمم وتلقيهم عنهم فنوناً من العبادات الوثنية وضروباً من النحل الغربية التي نقلوها إلى جزيرتهم بعد نسيانهم ديانتهم ، حتى بلغ من جهلهم أن نصبوا الأصنام التي جلبوها من البلاد الخارجية حول الكعبة وفي جوفها ، وجاء الإسلام على هذا الحال من الفوضى الدينية في العقائد ومع ذلك كانت لهم بقية من ذكريات دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام تطيف برؤوس المتحنفين منهم والمتأهلين ، وخصوصاً ما اتصل منها بشؤون الحج ، فإنه كان أوضح مظاهر ذلك الدين القديم وإن كان مختلفاً بما لابسه من مذاهب وبدع وخرافات ، ولما قوي الإسلام ودخل فيه أكثر العرب وحج النبي ﷺ ، حجة الوداع

في السنة العاشرة من الهجرة وحج معه مائة ألف وأكثر من أصحابه الكرام يقتدون به ويأخذون مناسكهم عنه قولاً وفعلاً فوجود شعائر الحج وسننه وآدابه وردّها إلى صورتها الأولى على عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وجردّها عما دخلها من البدع والفساد واقتدى المسلمون بفعل النبي ﷺ ، في ذلك العام اقتداءً غاية في الدقة ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة مما يعرض للحاج منذ خروجه من بيته إلى أن يعود إليه إلا سألوه عنها وحفظوا كل لفظة نطق بها مع الحرص البالغ الذي لا مثيل له ويتنافس في ذلك شبابهم وشيوخهم ورجالهم ونسأؤهم وساداتهم وعبيدهم حتى أحصوا جميع أقواله وأفعاله ، ﷺ ، إحصاءً لم ينقل في تاريخ أي أمة من الأمم مع زعيم من زعمائها أو حكيم من حكمائها تنفيذاً منهم وعملاً بقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم

الآخر) .

من أسرار الحج :

ولا شك أيُّها السادة أن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام له أسرار عظيمة وفضائل روحية شريفة وآثار اجتماعية

نفعات الإسلام - ١٠

قدسية فمن ذلك تعظيم البيت المقدس وعمارته وهو الرمز الباقي
لقيام ديانة التوحيد في الأرض وخلص الإنسان من فوضى
الزيف والضلال قال تعالى (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
ببكة مباركاً وهدى للعالمين) .

ومن أسرار الحج أيضاً زيارة الأرض المقدسة التي حضنت
دين التوحيد إلى أن ترعرع وقوي وقضى على الشرك والأوثان
فلولا هذه البيئة البعيدة عن معترك الحياة الصاخبة بالتيارات
الجارفة لم يتح لهذا الدين أن ينمو ويذيع ، وحسبنا دليلاً
على هذا ما لقيه الخليل عليه السلام في وطنه من اضطهاد بين
قومه وعشيرته حتى أتى هذا البلد المقدس ممثلاً أمر ربه عز وجل
فبنى البيت وترك عنده أهله بأمر مولاه قائلاً : (ربنا إني
أسكنت من ذُرِّيَّتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا
ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون) .

ومن أسرار الحج إجتماع المسلمين في صعيد واحد ، يجمع
بينهم الإخلاص للدين والطاعة لله ولكتابه ويشملهم الصفاء
والغبطة بهذا اللقاء ، ويعمهم الفرح بأخوة الإسلام في عيد

رباني وموسم روحاني ولمثل هذا الاجتماع حكمته الجليلة وغايته النبيلة ولمثل هذه الأخوة الإسلامية تشد الرحال وتتجه الآمال فكم من عالم يلتقي بعالم وكم من مصلح يلتقي بمصلح ، شعارهم أخوة الإسلام وكلمتهم كلمة الإخلاص والإيمان ، فهل يصعب على أمثال هؤلاء الإخوة المتحابين في الله وهم ضيوف الله في رحاب بيته أن يتعاونوا على البر والتقوى ؟ وأن يتذاكروا فيما بينهم لتكون كلمة الله هي العليا ؟ وليعملوا تحت راية القرآن لتأييد السلام ونشر العدالة في العالم وهم أحق بذلك وأهله كما كان آباؤهم السالفون ، عاشوا أَعزاءً بعقائدهم متحابين متشاورين وأمرهم شورى بينهم .

وهذه بعض أسرار الحج الذي هو الدعامة من دعائم الإسلام والفريضة العظمى من فرائضه والركن الخامس من أركانه .

الموكب النبوي في حجة الوداع

تشع شمس السنة العاشرة الهجرية على الكون وقد أعز الله الإسلام وأزال دولة الشرك والأصنام ونصر نبيه الكريم وخذل أعدائه ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً وأشرق نور الإيمان

وهَاجَا ، والأذان يدوي في جبال مكة وبطحائها وقد جاء الحق
وزهق الباطل والوفود العربية ترد المدينة تتلقى القرآن من لدن
رسول الله ، ﷺ ، وتستجلي محياه الوسيم والوحي يقطر سلسلا من
رب العالمين مسفراً عن صبح اليقين ، وبشائر الغزاة الفاتحين
تنتشر ، وأصنام الشرك في الجزيرة تهدم ، وأعلام التوحيد
تخفق ، لقد أكمل الله الدين وأتم النعمة ورضي الإسلام
دينا لعباده .

هؤلاء رسل نبي الله عليه الصلاة والسلام تنادي في الأحياء
والعشائر أن الرسول يريد الحج في هذا العام فمن أراد أن يحج
معه فليتهيأ وليأت المدينة فيجتمع بشر كثير ، تموج بهم
المدينة يقصدون كلهم الحج مع المشرع الأعظم ليتأسوا بأفعاله
ويهتدوا بمناسكه .

هذا نبي الله ، ﷺ ، راكباً ناقته القصواء قد أهل من ذي
الحليفة يلي صاعداً شرف البيداء والمسلمون محرمون ملبون
من بين يديه ومن ورائه وعن يمينه وشماله لا يحصيهم قلم
كاتب ، تزهو بهم الصحراء ويموج بتلبيتهم الفضاء وجبريل
رواح وغداً ينزل بالنور على خاتم النبيين .

لله در ركائب سارت بهم تطوي القفار الشاسعات إلى الدجى
 قصدوا إلى البيت العتيق وقد شجا قلب المتيم منهموا ما قد شجا
 نزلوا ببيت لا يخيب نزيله وقلوبهم بين المخافة والرجا
 هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ ، أشرف صحابة لأفضل نبي
 لم يشهد التاريخ البشري أتعى ولا أصدق ولا أحق من صحبة
 هؤلاء الأبطال الأوفياء رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه هم أكثر
 من مائة ألف حاج تسيل بهم البطاح والفجاج يتبعون خطى
 الرسول في عبادة ونسكه ويفعلون سنته وينشرون شريعته
 لا معارض منهم ولا مراتب والرسول بين ظهرانيهم الوحي
 ينزل عليه وهو يقول : « خذوا عني مناسككم » وهم ينقلون
 عنه دروس الحياة ليخوضوا غمارها على ضوء الحقيقة
 واليقين والإسلام .

هذه البدن تساق مشعرة ، مقلدة ، مسخرة ، تهدي لرب
 البيت العتيق ، منها مائة بدنة لرسول الله هي من شعائر الله لنا
 فيها خير ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب .
 الناس في مكة ينتظرون قدوم النبي ليحجوا معه والحرم الأمين
 يزهو طرباً باجتلاء طلعة الداعي البشير ، وتدوي جبال مكة

بالتهليل والتلبية والتكبير وإذا الرسول راكباً يلي معه أصحابه .
على الطائر الميمون يا خير قادم وأهلاً وسهلاً بالعلاء والمكارم
يدخل الحرم الشريف الرسول عليه السلام مكبراً فيقول عند
رؤية البيت اللهم زد بيتك هذا تشريفاً وتكريماً وتعظيماً ومهابة
وبراً ويطوف ويستلم الحجر ويشرب من ماء زمزم ويسعى بين
الصفاء والمروة .

هذه مكة تزهو طرباً بسنا الداعي إلى الحق المبين
شع في بطحائها نور الهدى فسمت ترفل في مجد مكين
وسرت في الكون أسرار العلاء تنشر الحكمة عن أشرف دين
وغدا الظلم صريعاً مدبراً عندما أشرق عدل الفاتحين
فانظر الكعبة كم زادت به شرفاً يزري بكيد العابثين
واشهد المشعر اذعاج به يسأل الله بعزم لا يلين
وسل القرآن كم قام به في دجى الليل لرب العالمين
وسل المعراج عنه ساجداً في حصى يغبطه الدر الثمين
وسل المعراج عنه راقياً فوق هام المجد مقطوع القرين

هذا يوم التروية قد عبق نفحه وبرق صبحه والروايا تملأ ،

والحجاج يتهيئون للمسير إلى منى والرواحل ترحل والنبي ،
 ﷺ ، قد ركب في الضحوة الكبرى قاصداً منى ملبيا فينزل
 بخيفها ويصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم يبيت فيصلي
 الفجر ويسير مع أصحابه ضاحين لله تعالى إلى نمرة حيث
 ضربت قبته فيقيل هناك ويسير عند الزوال إلى مصلى نمرة
 فيخطب خطبتين يبين فيهما المناسك ويشرح أصول الدين ،
 ويقرر عقائد التوحيد الصحيح ، ويهدم قواعد الجاهلية ،
 ويحث على مكارم الأخلاق ، فتوجل القلوب ، وتذرف العيون ،
 ويدوي الفضاء بالتلبية لله عز وجل فينادي المؤذن للصلاة ويصلي
 الرسول بأصحابه الظهر والعصر مجموعتين مقصورتين ، ثم
 يسير إلى وسط عرفات فيقف في سفح جبل الرحمة حيث
 الصخرات الكبار مستقبلاً القبلة ملبيا داعياً مستغفراً ومعه
 المسلمون ملبون ، فيباهي الله تعالى بهم الملائكة يقول : عبادي
 جاءوا شعنا غبرا من كل فج عميق يرجون رحمتي فلو كانت
 ذنوبهم كعدد الرمل أو كقطر المطر لغفرتها أفيضوا عبادي
 مغفوراً لكم ولن شفعم له .

ويقول تعالى للملائكة ما يريد هؤلاء مني ؟ فيقولون ربنا

أنت أعلم ، يطلبون مغفرتك وجنتك فيقول : هل رأوها ؟
فيقولون : لا فيقول : كيف لو رأوها فيقولون : لو رأوها
لكانوا لها أشد اشتياقا ورغبة ويستعيذون بك من النار فيقول تعالى
هل رأوها ؟ فيقولون : لا يا ربنا فيقول : فكيف لو رأوها ؟
فيقولون لو رأوها لكانوا أشد استعاذة وخوفاً فيقول عز وجل :
(اشهدوا أنني قد غفرت لهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم أفيضوا
مغفوراً لكم) ، فهناك تسكب العبرات وتقال العثرات ، وتفاض
الرحمات ، ويتجلى الله على العباد ، وتفتح أبواب السماء ،
ويستجاب الدعاء وتضج الأصوات بمختلف الأمانى واللغات ،
وإذا الروح الأمين ينزل بالتحفة العظمى والنعمة الكبرى على
سيد من حج ولبى واعتمر وطاف بالبيت العتيق وقبل الحجر .

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام دينا يزيد الإيمان ويسود الاطمئنان وتذوق الأرواح
حلاوة الرضا وتسكن ببرد الصدق والإخلاص وتغرب الشمس
فيدفع النبي ﷺ ، ويفيض الناس والرسول جاذب زمام راحلته
حتى يمس مورك الرحل ويأمر بلالاً قائلاً : استنصت الناس
ثم قال أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم

ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً .

فكم خاضع كم خاشع متذلل
وكم حامد كم ذاكر ومسبح
وربُّ دعانا ناظراً لخضوعنا
ولما رأى تلك الدموع التي جرت
تجلى علينا بالمتاب وبالرضى
وقال انظروا شعنا وغبرا جسومهم
وقد هجروا أوطانهم وتراثهم
ألا فاشهدوا أني غفرت ذنوبهم
فيا صاحبي من مثلنا في مقامنا ؟
على عرفات قد وقفنا بموقف
وقد أقبل الباري علينا بوجهه
عليَّ الجزا مني المثوبة والرضا
فطيبوا سرورا وافرخوا وتباشروا

وكم سائل مدت إلى الله كفاه
وكم مذنب يشكو لمولاه بلواه
خبيرا عليماً بالذي قد اردناه
وطول خشوع في خضوع خضعناه
وباهى بنا الأملاك حين وقفناه
وقد وفدوا فالكل يطلب مولاه
وبلادهم والكل يرفع شكواه
ألا فانسخوا ما كان عنهم نسخناه
ومن ذا الذي قد نال ما نحن نلناه ؟
به الذنب مغفورا وفيه محونا
وقال ابشروا فالعفو فيكم نشرناه
ثوابكم يوم الجزا أتولاه
وتهيئوا فهذا بابنا قد فتحناه

ويصل الرسول إلى المزدلفة فيصلي المغرب والعشاء مجموعتين
جمع تأخير ثم يلتقط الحجارة ويبيت بها داعيا ملبيا ويصلي

الفجر ثم يقف بالمشعر الحرام ملبيا مكبرا شاكرا الله تعالى على هدايته وتوفيقه فيدفع عند الأسفار قبل طلوع الشمس خلافاً للعرب في الجاهلية فقد كانوا لا يدفعون إلا عند الشروق قائلين أشرق ثبير كيما نغير :

عارضاً بي ركب الحجاز أسائله متى عهده بأكناف جمع واذكر لي حديث من سكن الجزع ولا تكتباه إلا بدمعي فاتني أن أرى الديار بطرفي فلعلي أرى الديار بسمعي فيصل الرسول ﷺ ، وادي محسر ، فيسرع محرراً دابته ثم يأتي وسط منى سالكاً بطن الوادي حتى يقف مستقبل الجمرة الكبرى ، فيرميها بسبع حصيات مكبراً ، فذاك مقام من أنزلت عليه سورة البقرة ، ثم يأتي وسط منى فينحر البدن ، وهي مائة بدنة فينحر ثلاثاً وستين بيده الشريفة ، وهي قائمة متوجهة نحو القبلة ، وفي اقتصاره على نحر هذا العدد إشارة إلى عمره الشريف ، ويوكل على بن أبي طالب رضي الله عنه ، فينحر باقيهن وفيه دلالة على جواز التوكيل في نحر الهدى ، ثم يحلق رأسه الشريف فيقسم شعر نصف رأسه بين أصحابه ، ويعطي أبا طلحة شعر النصف الآخر .

ويذهب بعد ذلك إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ، ويعود إلى منى ، وقد قضى جل مناسكه . ويبقى في منى يكبر دبر الصلوات ، ويرمي في أيام التشريق بعد الزوال الجمرات ، ويخطب في اليوم الثاني ، ويبين للناس ما يستقبلون من المناسك وييسر عليهم الأمر ، فيقول لسائله : « افعل ولا حرج » ، وتم الأيام المعدودة في ذكر ... وشهود منافع ... ومجال عباده . ومواقف سعادته ، ويودع الرسول ، ﷺ ، أصحابه ، فيقول : « لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا » .

هكذا يتم ، ﷺ ، تعاليمه لأصحابه وأُمَّته وبنِي معجزته عما ألهمه ربه ويرشدنا إلى أفضل الأعمال وأيسرها فصلاة الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه المهتدين بهديه وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

فسخ الحج إلى العمرة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله افترض حج بيته الحرام وجعله طهرة من الذنوب والآثام والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام وبعد ... فحديثنا اليوم في « فسخ الحج إلى العمرة »

كثير السؤال عن مسألة فسخ الحج إلى العمرة ، وقد طال الكلام فيها بين الناس حتى تجرأ بعض الجهلة فأنكر جواز الفسخ عند الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، لقصر بابه ، وعدم اطلاعه ، فحررت فيها أقوال العلماء ، مع التعرض لذكر الأدلة حسب ما تيسر فأقول :

اعلم رحمك الله تعالى أن النبي ﷺ ، أمر أصحابه الذين أحرموا بالحج في حجة الوداع ولم يسوقوا هدياً أن يتحللوا بفعل عمرة ؛ فقال في آخر سعيه على المروة :

« لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبِرْتُ لَمْ أَسْقِ الْهَدْيَ ، وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلِّ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً . »

فقام سراقه بن جعشم المدلجي فقال : يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله ﷺ ، أصابعه واحدة في الأخرى وقال :

« دَخَلْتُ الْعُمْرَةَ فِي الْحَجِّ هَكَذَا ، مَرَّتَيْنِ ، لَا ، بَلْ لَأَبَدٍ أَبَدٍ » .

وهذا معنى فسخ الحج إلى العمرة عند الإمام أحمد رحمه الله . وعند الظاهرية وقال الآخرون : معنى الحديث جواز فعل العمرة في أشهر الحج إلى يوم القيامة وأن القصد إبطال زعم الجاهلية منع ذلك . قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : وقد اختلف في هذا الفسخ هل هو خاص بالصحابة تلك السنة خاصة ؟ أم باق لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة ، فقال أحمد وطائفة من أهل الظاهر . ليس خاصاً ، بل هو باق إلى يوم القيامة ، فيجوز لكل محرم بالحج ولم يسق هدياً أن يقلب إحرامه عمرة فيطوف ويسعى ويتحلل حتى بالغ بعض الحنابلة في لزوم فسخ الحج إلى عمرة ، وقال : نحن نشهد الله على ذلك تفادياً من غضب رسول الله ﷺ ، ففي السنن عن البراء بن عازب رضي الله عنه . أن النبي ﷺ ، خرج وأصحابه فأحرمنا

بالحج ، فلما قدمنا مكة قال : اجعلوها عمرة ، فقالوا :
قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة ؟ قال :
« انظُرُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ فافْعَلُوهُ » .

فرددوا القول عليه فغضب ، الحديث . وقال الشافعي
ومالك وأبو حنيفة وجماهير العلماء من السلف والخلف : هو
مختص بهم في تلك السنة لا يجوز بعدها وإنما أمروا به تلك
السنة ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية من تحريم العمرة في
أشهر الحج ، وإنما من أفجر الفجور ، واستدل الجمهور
بحديث أبي ذر رضي الله عنه في مسلم قال : كانت المتعة في الحج
لأصحاب محمد ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في تلك السنة خاصة في حجة الوداع ،
فلا تجوز بعد ذلك لهم ولا لغيرهم ، وبحديث أبي ذر أيضاً عند
أبي داود قال كان يقول أبو ذر رضي الله عنه فيمن حج ثم
فسخها بعمرة : لم يكن ذلك إلا للركب الذين كانوا مع رسول
الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الولي العراقي : وأبو ذر لا يقول هذا إلا عن
توقيف ، وبحديث بلال المزني الذي أخرجه النسائي وأبو داود
وابن ماجة من طريق عبد العزيز الدراوردي عن ربيعة عن
الحرث بن بلال المزني المدني عن أبيه بلال بن الحرث قال :

قلت يا رسول الله : أرأيت فسخ الحج إلى العمرة ، لنا خاصة
أم للناس عامة ؟ فقال رسول الله ﷺ :
« بَلْ لَنَا خَاصَّةً » .

وبحديث مسلم والنسائي أيضاً كلاهما عن أبي ذر رضي الله
عنه قال : « لَا تَصِحُّ الْمُتَعَتَانِ إِلَّا لَنَا خَاصَّةً » .

الوقوف بعرفات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، الحمد لله والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وأصحابه ، قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين :

« وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ . » .

أيُّها الناس : إننا الآن في موسم الحج المبارك وإن حجاج بيت الله تعالى عدد غير قليل ولكن المتوسمين منهم أهل البصيرة النافذة والمطبوعين على المناسك والآداب الجامعين بين الخشوع والعلم والعاطفة والعقل - قليل بالنسبة لغيرهم ، وأقل منهم الذين يتحرون الصحيح الثابت المأثور ويتفقدون السنن ويقيمون عندها ويتحاشون البدع والخرافات ، ويحاولون أن يجمعوا بين القوالب التي لا غنى عنها وهي صور الأحكام ، وبين قلوبها التي لا بد منها لأنها بواطنها وأرواحها وعليها مدارها وفيها سرها ، فيتوسطون بين الملحدین المعطلين الذين لا يهتمون

بأحكام الشريعة وأشكالها ، وبين الظاهرية الجاحدين الذين يكتبون بالقشور ويحبون الظهور ولا يعنون بالروح ، إن حجاج بيت الله تعالى هم وفود الله عز وجل دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم عز وجل واستغفروه فغفر لهم ، جمعهم الله تعالى في أشرف مكان وأفضل زمان ليتعارفوا في الله ويتحابوا فيه من آفاق بعيدة ، فكم لكم من مساع محمودة ومجالس مشهودة في أيام معدودة .

« لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ » .

وكم تجددت لكم ذكريات العهد الإسلامي الأول حيث وقف سيد الرسل والأنبياء مع صحابته الكرام ، أولئك هم خير صحابة عرفها التاريخ وافتخر بهم الدهر وازدان بهم الكون ، وكم تمثلت لهم بعيونهم صور المجد الإسلامي ومناظر العروبة الخالدة ، أن من أجل منافع النسك إيقاظ الشعور الديني والالتجاء إلى الرب وتكفير السيئات وتصفية القلوب وتبادل الآراء في كل ما يعود بالنفع ديناً ودنيا .

« ما بعد الحج »

الحمد لله الذي شرع لنا حج بيته الحرام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنام ، وعلى آله وأصحابه السادة الكرام .

أيها السادة : الحج خامس أركان الإسلام وبه يقوم المرء بزيارة بيت الله الحرام ومن منفعه التعارف بين المسلمين ، والتآلف بين قلوبهم ، حتى يكونوا أمة واحدة ، عند بيت الله الحرام ، يدرسون مشاكلهم ويتفقدون أحوالهم ، يساعدون ضعيفهم ويعالجون أمراضهم ، ويستفتون علماءهم في مشاكلهم ، ويستعرضون صنائعهم ، ويذكرون رتبهم سرّاً وعلانية . فالحج أعظم درس وأجل مقوم للدعوة الإسلامية ، وأعظم مؤتمر لشعوب الإسلام فهو مؤتمر إسلامي ومجمع ثقافي ، ومعرض تجاري ، وموقف أخلاقي ، ومظهر ديني ، ودنيوي ، لو عقل المتعلمون أسراره وفقهوا معانيه ودرسوا ثمراته ، ولهذا فإن المسلمين بعد الحج يرجعون إلى بلادهم وقد امتلأت قلوبهم إيماناً ونفوسهم يقيناً بعظمة الله في مشاهد الوحي والتنزيل ، ومواقف

الرسول الجليل ، وأماكن النور التي تردد فيها جبريل ، يقف
الحاج بين جبال جرداء قاحلة تشع منها أنوار الوحي ، فيذكر
آباءه الصياد المغاوير العلماء البحور الغزاة الفاتحين ، الذين
دوخوا الدنيا وفتحوا المشرق والمغرب ، ونشروا الدعوة الإسلامية ،
ودعوا إلى الله بنفوسهم وأموالهم ، وفتحوا القلوب للمعارف
والعلوم ، كما فتحوا البلاد بالسيوف والرماح فحيا الله
أولئك الأبطال السادة الكرام الدعاة إلى الحق ، البائعين
أرواحهم ببيع السماح ، في ميادين العز والكفاح ما أجل نفوسهم
وما أعظم همهم وما أقوى قلوبهم ، وما أمضى سلاحهم ،
نصروا الله فنصرهم ، وحفظوه فحفظهم ، وتعرفوا إليه في
في الرخاء فعرفهم في الشدة فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ،
وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين .

أولئك قوم قاصرون حياتهم على طلب الأخرى قعوداً وقوماً
إن الحج يذكرنا بمواقف هؤلاء الأبطال ويبعث نفوسنا حمية
الذود عن حياض الإسلام كما جاهدوا ودافعوا ، تلك مواقف
صدق ، ومواطن غيرة ، ومجال توضحية في سبيل الله ، ومثل
علياً للبذل والإيثار في سبيل العمل ، وإيمان يقيني في طريق

الدعوة ، ومشاهد صدق في سبيل الإيمان ، هذا كله أيها السادة من ثمرات الحج وفوائده ومنافعه ودروسه .

ولما علم الأعداء بهذه الثمرات وهذه الأسرار جعلوا العراقيل في سبيل الحج ، وشددوا في وسائل المواصلات وكثرة النفقات ليكون ذلك حجر عثرة لصد المسلمين عن سبيل الحج ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ولكن الله أبطل قصدهم وأخلف ظنهم فها أنت تشاهد تكاثر الحجاج فعلى المسلمين أن يتنبهوا لما يكيد لهم أعداؤهم حتى يُحفظوا من شرورهم ، ويرجع كيدهم في نحورهم ، إن الحج أعظم مهذب للنفوس ، وأجل مقوم للأخلاق كيف لا والحاج يتمرن على البذل والايثار بما ينفقه في سبيل الحج من النفقات والأموال وما يتحملة من المشقات والمصاعب في سبيل الوصول إلى تأدية المناسك والعمل الصالح وما يفوز به من ملاقات علماء الإسلام ، وما يعيه من دروس في المناسبات ، وما يلمسه من معان سامية وأهداف نبيلة ، وما يتذوقه من أسرار خالدة ، ودروس نفسانية ، وأخلاق جليلة ، وتقدير للفضيلة ، وابتعاد عن الرذيلة ، حتى عن إيذاء الصيد وقطع الشجر ، والبعد عن

الترفه ومظاهر الزينة عن لبس المخيط والمحيط واستعمال الطيب والدهن بهذا يكون الحاج كريماً عند ربه ومثلاً أعلى ورحمة شاملة ، وإنساناً كاملاً ، ورمزاً سامياً تصور فيه عظمة الإسلام وطهارة القلب ، وصفاء العقيدة ونور البصيرة وضياء اليقين وسرّ الإخلاص ، هذا هو السرّ الذي يتجلى لنا ملموساً محسوساً في كثير من العصاة والفجار إذا رجعوا من الحج كانوا هداة مهتدين ورجالاً صالحين ، ينصرون الفضيلة ، ويتجنبون الرذيلة ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات قد ابدل الله لهم السعادة عن الشقاء وعوضهم عن سيئاتهم بالحسنات وغفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وانصرفوا من عرفه مغفوراً لهم إن هذا هو الفوز العظيم والخير الجسيم ، تلکم أيها السادة هي آثار الحج المقبول . نسأل الله عز وجل أن يجعل حجنا مبروراً ، وسعينا مشكوراً ، وذنبنا مغفوراً ، والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه .

«حديث عيد الأضحى»

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر
الله أكبر، والله الحمد. (٣) مرات، الله أكبر كبيرا، والحمد لله
كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا، لا إله إلا الله، الله أكبر
ولله الحمد.

أيها الحجاج الكرام: تقبل الله حجكم وغفر ذنبكم،
قد وقفتم بعرفات ووقفتم بالمزدلفة، وأفضتم إلى منى لرمي
الجمرات، فأنتم اليوم في يوم العيد يوم الكرامة والمزيد،
قد أنختم في منى، وبلغتم منازل الكرامة والمنى، فاشكروا الله
مولاكم على ما أولاكم من فضله، وكبروا الله تعالى دبر
الصلوات المكتوبات، وانحروا هداياكم طائعين متقربين لله
رب العالمين، واحذروا من مخالفة السنة النبوية في سائر نسككم،
وجميع أعمالكم، فإن العمل لا يكون عند الله مقبولا إلا
بأمرين: الأول الإخلاص لله تعالى والثاني موافقة السنة النبوية.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر
ولله الحمد، أيها الحاج الكريم: لقد شرفك الله تعالى واستدعاك
لدار كرامته، وأكرمك بالوصول إلى بيته العظيم، وأمرك

بالالتجاء إلى حضرته العلية ، فاستشعر جلال الموقف وهيبة
الداعي ، وتحقق أن حوائجك ستقضى وأن ذنوبك ستغفر ،
واعلم أنك قد وقفت بموقف الأنبياء والرسل والعلماء والصديقين
والصالحين ، تقف حيث وقفوا ، وتدعو كما دعوا ، فخليق
بك أن تتأسى بهم وأن تتحمل المشاق كما تحملوا متشبهاً بهم ،
إن التشبه بالكرام فلاح ، وممثلاً أمر مولاك الذي دعاك
وناداك ، وقربك وناجاك ، وحياك وادناك ، واختارك أن تكون
أحد أفراد الوفد المتقبلين ، الذين أتوا من كل حذب ، وأتوا
من كل فج ، من مشارق الأرض ومغاربها ، فأنت اليوم
في مكة البلد الأمين الذي نشأ فيه سيد المرسلين ، ونبت فيه
هذا الذي ترى أول بيت وضع للناس مباركاً ، وهدى للعالمين ،
وتقوم بأعمال وعبادات كلها قربات ، فكن أيها الوافد الكريم
مع إخوانك المسلمين فيما يعيد للإسلام مجده ، ويرفع سلطانه ،
واعلم أنك سترقي الصفا وتكون من أهل الصدق والوفا ،
وسيحصل لك التجلي بالمعرفة ، وذلك في ساحات عرفة ، وتفوز
بالرضا في المزدلفة ، وتسعد في منى ببلوغ المنى ، وترمي الجمرات
مبتعداً عن النار ، وتسعى وما أجل ذلك المسعى ، إن إلى ربك
الرجعى ، كل هذه أيها الحاج وسائل لنيل المغفرة والرحمة ،

والرضا والعفو عما مضى ، وسيباهي بك الله ملائكته الكرام ،
وترجع لأهلك قرير العين ، حسن المنقلب عظيم الأمل .
الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . الله أكبر والله الحمد
أيها السادة : إننا الآن في موسم الحج المبارك ، وإن حجاج
بيت الله الحرام عدد غير قليل ، ولكن المتوسمين منهم أهل
البصيرة النافذة ، والمطبوعين على المناسك والأداب ، الجامعين
بين الخشوع والعلم والعاطفة والعقل هم قليل بالنسبة لغيرهم ،
وأقل منهم الذين يتحرون الصحيح الثابت المأثور ، ويتفقدون
السنن ، ويقفون عندها ، ويحاولون أن يجمعوا بين القوالب
التي لا غنى عنها ، وهي صور الأحكام ، وبين قلوبها التي لا بد
منها لأنها بواطنها وأرواحها وعليها مدارها وفيها سرها ،
فيجاهدون بين الملحدين المعطلين الذين لا يهتمون بأحكام
الشريعة وأشكالها ، وبين الظاهرية الجاحدين الذين يكتفون
بالقشور ويحبون الظهور ، ولا يعنون بالروح ، نسأل الله
عز وجل أن يجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وسعياً مشكوراً
وعملاً صالحاً مقبولاً وتجارة لن تبور . وأن يرزق الحجاج
السلامة في الظعن والإقامة وأن لا يجعله آخر العهد بهذه الأماكن
الشريفة المقدسة ، والحمد لله رب العالمين .

من مزايا المسجد الحرام

الحمد لله مولي عباده جلائل النعم ورافع لواء الإسلام على المعمورة من الحرم ، والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم سيدنا محمد ، ﷺ ، ذي المواهب والمعجزات والكرم ، وعلى آله وأصحابه الذين شيّدوا صرح الدين بالبرهان والسنان فوق هامات الأمم .

أما بعد ، فيسعدني أن أحاضركم في هذه الليلة المباركة من بلد الله الحرام عن المسجد الحرام ومزاياه التي اختصه الله بها ليكون ذلك أدعى إلى كمال حبه وتعظيمه في القلوب أسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب إنه سميع مجيب .

المسجد الحرام :

يطلق المسجد الحرام ويراد به الحرم ، وهذا هو الغالب في إطلاقه . قال الله تبارك وتعالى في سورة التوبة « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، وقد كان العهد في صلح الحديبية عند حدود الحرم . وقال تعالى في سورة التوبة : (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم

هذا) . واتفق العلماء على أن المراد بذلك الحرم . وذكر الإمام
الماوردي في الحاوي في كتاب الجزية : أن كل موضع ذكر الله
فيه المسجد الحرام في كتابه فالمراد به الحرم إلا في قوله تعالى :
(فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) فإنه أراد به الكعبة ، وقال
ابن أبي الصيف اليميني أن الله تبارك وتعالى ذكر المسجد الحرام
في كتابه في خمسة عشر موضعاً ، منها ما أراد به الكعبة
كقوله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) ومنها ما أراد به
مكة كقوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد
الحرام) فقد ورد أنه أسرى به من بيت أم هانئ بنت أبي طالب ،
ومنها ما أراد به الحرم كقوله تعالى : (إنما المشركون نجسٌ فلا
يقربوا المسجد الحرام) .

* * *

أما المواضع التي أشار إليها الإمام الماوردي فهي :
الأول : (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلةً
ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) .
الثاني : (فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك) .

الثالث : (ومن حيثُ خرجتَ قولٌ وجهك شطرَ المسجدِ الحرامِ) .

الرابع : (ولا تُقاتلوهم عندَ المسجدِ الحرامِ) . البقرة
البقرة

الخامس : (ذلك لمن لم يكنْ أهله حاضري المسجدِ الحرامِ) .

السادس : (والمسجدُ الحرامُ وإخراجُ أهله منه) . البقرة
البقرة

السابع : (أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . المائدة

الثامن : (وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . الأنفال

التاسع : (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . التوبة

العاشر : (وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . التوبة

الحادي عشر : (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) . التوبة

الثاني عشر : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)

الثالث عشر : (والمسجدِ الحرامِ الذي جعلناه للناسِ سِوَاءَ) . الاسراء

الرابع عشر : (وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) . الحج
الفتح

الخامس عشر : (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) . الفتح

فتبين بهذا أن كل هذه المعاني داخلة في الاسم المذكور كما
دلَّ على ذلك القرآن لكن العرف إذا قيل : اعتكفنا في المسجد
الحرام ، ودخلنا المسجد الحرام ، وصلينا في المسجد الحرام ،

وكننا في المسجد الحرام ، إنما يصرف إلى المسجد المعروف الذي ثبتت مسجديته ويحرم على الحائض والنفساء الدخول فيه ، واختص من بين المساجد المتعددة بالحرم بمزية حلول الكعبة فيه والطواف ، وأما خصائص المسجد الحرام ومزاياه فإنها ثابتة للمسجد الحرام بالمعنى العام الذي يشمل الحرم كله وهي كثيرة تزخر بها كتب السنة المشرفة وفقه المناسك نقتصر على أهمها وأشهرها وهي :

الأول :

إن فيه أول بيت وضع على الأرض بنص القرآن قال تعالى :
(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا) .

الثاني :

إن إحياء الكعبة بالحج في كل عام فرض من فروض الكفاية لما تفيده عمومات الأحاديث الثابتة من الترغيب في الحج وفضله وحث الناس على ذلك ، وكذلك العمرة . وقد قال النبي ، ﷺ :
« العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . وقال : تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر كما ينفي الكير خبث الحديد .

الثالث :

إن الصلاة يحرم فعلها في الأوقات الخمسة عند طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رمح وعند الاستواء حتى تزول وعند الاصفرار حتى تغرب وبعد صلاة الصبح إلى الطلوع وبعد صلاة العصر إلى الغروب ، لما في الصحيح من النهي عن ذلك ، ويستثنى حرم مكة ، ففي السنن الأربعة من حديث جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ ، قال : « يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليلاً ونهاراً » . وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين . وفي رواية أخرجه لا صلاة بعد الصبح إلا بمكة والمراد جميع الحرم والمعنى زيادة الفضل في تلك الأماكن فلا يحرم المقيم هناك من استكثارها وخصراً أحمد هذا بركعتي الطواف قال وهو الأشبه بالآثار ، وقال مالك وأبو حنيفة مكة كغيرها في المنع تقديماً لأحاديث المنع .

الرابع :

إن الطواف تحية البيت يجوز فعله في هذه الأوقات أيضاً للحديث السابق وهو قول الشافعي وأحمد وبه قال مالك لكن يؤخر ركعتي الطواف إلى وقت الجواز ومنعه أبو حنيفة . أما

تحية بقية المساجد فالصلاة لما في الصحيحين عن عائشة أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أول شيء بدأ به الطواف ، قال العلماء ولو دخل المسجد والإمام في مكتوبة فصلها سقطت عنه تحية المسجد لأن القصد أن لا يدخل المسجد لاهياً .

الخامس :

استحباب الغسل لدخول مكة ، فقد ذكر العلماء أن من آداب دخولها الاغتسال . وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهاراً . ويُذكر عن النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنه كان يفعل ذلك ، ولا فرق بين أن يكون الداخل محرماً أو حلالاً ، وقد صرح بهذه المسألة الشافعي في « الام » .

السادس :

إن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة الف صلاة فيما سواه من المساجد ، لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : « صلاة في مسجدي خير من الف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » . والمعنى أن

الصلاة فيه تفضل على الصلاة في مسجد الرسول ، ﷺ ، ويدل على ذلك أحاديث منها حديث ابن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة » ، وإسناده على شرط الصحيح . ورواه أحمد والبخاري وابن حبان ، وصححه ابن عبد البر في التمهيد . وحديث جابر أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه » .

قال أبو بكر : فحسبت ذلك على هذه الرواية التي هي صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة ، فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة ، وصلاة يوم وليلة في المسجد الحرام ، وهي خمس صلوات ، عمر مائتي سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليالي « ذلك فضلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

السابع :

إن المضاعفة لا يختص بالصلاة بل سائر أنواع الطاعات كذلك قياساً على ما ثبت في الصلاة والنظر إلى الكعبة ، فألحق به ما في معناه من أعمال البر .

قال الحسن البصري : صوم يوم بمكة بمائة الف ، وصدقة درهم بمائة الف ، وكل حسنة بمائة الف حسنة .

وفي سنن ابن ماجه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر ، كُتِبَ له مائة الف شهر رمضان فيما سواها وكُتِبَ له بكل يوم وليلة عتق رقبة وفي كل يوم حملاً فرسين في سبيل الله وفي كل ليلة حسنة » .

وروى البزار في مسنده عن ابن عمر مرفوعاً : رمضان بمكة أفضل من الف رمضان بغير مكة . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه عاصم بن عمر ، ضعفه الأئمة أحمد وغيره ووثقه ابن حبان .

وفي حديث ابن عباس مرفوعاً قال : وفيه حسنات الحرم

الحسنة بمائة الف حسنة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ورواه البيهقي .

الثامن :

ذهب جماعة من العلماء إلى مضاعفة السيئات كما تضاعف الحسنات ، وممن قال بذلك مجاهد وابن عباس وابن مسعود ، ومن أخذ بعموم الأدلة لم يحكم بالمضاعفة لقوله تعالى : « وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا » ... ولقوله ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَعَمَلَهَا كُتِبَ لَهُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ » . وحرر بعض المتأخرين النزاع فحمل المضاعفة على الكيفية لا على الكمية ، وقال معناه أن السيئات تتفاوت ، فمن عصى الملك على بساط ملكه ليس كمن عصاه في موضع بعيد عنه ، وعلى كل فهذا يدل على تعظيمهم للحرم وخوفهم من الله عز وجل في مواضع الأجر أن يرتكبوا شيئاً من الفجور .

التاسع :

العقاب على الهم في السيئة وإن لم يفعلها ، قال أحمد بن حنبل : لو أن رجلاً همَّ أن يقتل في الحرم أذاقه الله من العذاب الأليم ثم قرأ « وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ » .

وقال ابن مسعود ما من بلد يؤخذ العبد فيه بالهم قبل الفعل إلا مكة وتلى هذه الآية « وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ » وعلى هذا فيستثني ذلك من قاعدة الهم بالسيئة مع عدم فعلها .

العاشر :

إن صيد الحرم حرام على الحلال والمحرم بالإجماع ، ولقوله ﷺ : « ولا يُنفر صيدها » ونبه بالتنفير على الإلتلاف لأنه إذا حرم التنفير فالإلتلاف بالأولى وهو مضمون .

أما ما يؤذي كالوزغ والحيات والعقارب وما أشبه فهو مرخص في قتله لإيذائه لما جاء في السنة .

الحادي عشر :

يحرم قطع شجره وحشيشه على الحلال والمحرم لقول النبي ، ﷺ : « ولا يعضد شجرها ... » إلا ما استثني كالأذخر ونحوه . ولا ضمان في قطع شجر الحرميين عند مالك . وقد أساء من فعل ذلك ، قال مالك : ولم يبلغني في ذلك شيء ، وأما الشافعي فجعل في الشجرة الكبيرة بقرة وفيما دونها شاة ، وأوجب

أبو حنيفة القيمة ، وهذا فيما ينبت بنفسه لا فيما ينبت
الناس من البقول والزرع .

الثاني عشر :

يختص ذبح نحر دماء الهدايا والقرايين في النسك بالحرم ،
ويجب تفريق ذلك على مساكين الحرم سواء الغرباء والقاطنون
ولو ذبحت في الحل لم تجز . ومثل ذلك كل ما يساق من الهدى
للحرم ، ودماء التمتع والقران وسائر ما يجب ، وأفضل بقاع
الحرم للذبح للحاج منى ، وللمعتمر المروة ، والحرم كله منحر .

الثالث عشر :

إن من قصد الحرم دخله بنسك تعظيماً للحرم ، إلا من تكرر
دخوله كخطاب ، واختلفوا فيمن دخله حلالاً ولم يكن خائفاً
من قتال باغ ، أو قاطع طريق ، أو خائفاً من ظالم ، لتعذر
ظهوره بالنسك ، كما اتفق عام الفتح ، فلا يجب لأن رسول
الله ﷺ ، دخل مكة وعلى رأسه المغفر ولو كان محرماً لم يلبسه .

الرابع عشر :

لا دم على المتمتع والقارن من أهل مكة المستوطنين لقوله

تعالى « ذلك لِمَنْ لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » والمراد بحاضريه من كانوا دون مرحلتين من مكة ، وقيل من الحرم : وجهان وأصحهما الأول .

الخامس عشر :

لا يمكن الكافر من دخول حرم مكة قال تعالى : (يا أيُّها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) . وروى الشافعي رحمه الله في مسنده أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لا يجتمع مسلم ومشرك في الحرم ».

الكعبة المشرفة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله جعل الكعبة البيت الحرام
مثابة للناس وآمناً وصلاة ربي وعظيم تسليماته على أفضل من
طاف ببيته وهو محمد بن عبد الله رسول الرحمة ورضي الله عنه
وآله وأصحابه وأتباعه إلى يوم البعث والنشور .

أخي المسلم : إسمع الحديث عن الكعبة المشرفة :

بيت الله العظيم ومهوى أفئدة العالمين ، جعله الله بيتاً معظماً
محجوجاً ، وحرماً حراماً آمناً ، بني على شرعه التوحيد الخالص ،
فكان رمز الحنيفية وقبلة الدين وقطب دائرة الأرض ، خالياً
من الأصنام والزخارف والصور ، لا تمر ساعة من ليل أو نهار
إلا وتخفق له القلوب ، وتتوجه له الوجوه ، وتعنو لعظمة الله
رب البيت الجباه .

سبحانك ربي ما أعظم شأنك وأجلى برهانك جعلت لنا هذا
البيت الحرام لتتوجه إليه قياماً لنا في عبادتنا ، وأمرت الخليل
ﷺ ، أن يؤذن في الناس بالحج ، فاستجاب المسلمون لهذه
الدعوة الربانية وتعظيم المشاعر الإلهية .

أيُّها المسلم :

انظر البواخر تمخر في البحر من أرجاء الأرض مشتاقة إلى
الحرمين لا يثنيها عن عزائمها هول ولا خوف حرب ولا توقع
فقر ، يملاً الجو حنين حجاجها إلى هذا البيت المعظم ، غسلوا
ذنوبهم بدموعهم ، وطهروا أفئدتهم بتوبتهم ، وخرجوا
عن أدران البشرية بتجردهم ، وأعرضوا عن كل الدنيا ولبوا
داعي الله تعالى .

انظر الطائرات في أجواز الفضاء مسخرات في جو السماء
كالطير لا يمسكهن إلا الرحمن ، تطير بالشوق والحب إلى
مطمح الأبصار ومهوى القلوب .

انظر السيارات تشق الصحاري والرمال تذلل الصعاب وتقرب
البعيد وتقطع السهل والحزن عليها وفود البيت الحرام يجوبون
الفلوات ويتحملون المشقات لا تبعد عليهم غاية ، وليس إلا
ليطوفوا بالبيت العتيق يخوضون في الرحمة خوضاً .

كانت قوافل الإبل تسير شهوراً متوالية ، هي سفن الصحراء
القديمة عليها قصائد البيت المعظم أولو القوة والعزم الصابرون
يؤمنون المشاعر التي نشأ فيها دينهم وعاش فيها نبيهم ،

وأشرق في شمس تاريخهم . تلك القبلة التي طالما توجهوا إليها في صلاتهم ، وخفقت إليها قلوبهم ، فإذا هم في الطواف عند بيت ربهم وفي ساحة مولاهم ، يطلبون مغفرته ورضوانه ، ويسألون نصره وأمانه ، قد جمعهم توحيد الإسلام ، وزال عنهم كبر الجاهلية ، وتجردوا عن الفوارق فهم سواء العربي والأعجمي ، الملك والصلوك ، الغني والفقير ، القريب والبعيد سواء العاكف فيه والباد . ذاك هو التوحيد الحق ، والأخوة الإيمانية ، سواء العاكف فيه والباد . والقلوب المتحدة ، والأهداف النبيلة ، والمقاصد الدينية والنيات الصالحة ، والمبادئ الحققة ، والنتائج المنشودة ، والحق يقول :

(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) .

هذه الكعبة الشريفة هي مركز دائرة الإسلام، يجتمع حولها المسلمون ، ويطوف بها عباد الله وإليها ينتهون ، فهنا الأمة الإسلامية كلها قائمة متلاحقة متضامنة ، تؤم البيت الحرام بالأرواح والأشباح .

كَانَ الْحُبُّ دَائِرَةَ لِقَلْبِي فَحَيْثُ الْإِبْتِدَاءُ الْإِنْتِهَاءُ

إنك لو تأملت هذه القبلة الجليلة لعرفت حكمة توحد هذه الأمة التي تتوجه إليها كل يوم خمس مرات ، غفل المسلمون عن هذه الغاية والوحدة ، وناموا عن الدعوة والدين ، فغمرتهم موجات الغش المحيطة والمكايد المحدقة من الأعداء ، فالواجب عليهم أن يسعوا فيما يسعدهم في الدين والدنيا ، وأن يعملوا لما ينجيهم وأن يسلكوا أئمن السبل للمشاورة والاستعداد ، فقد اشتد الكرب وعظم الخطب ، ولا ينجي من هذه المحنة الكبرى إلا الالتجاء إلى الله ، والتمسك بالدين ، والنهوض بالأخلاق النبوية ، وتطبيق الإرشادات المحمدية ، والدفاع عن عقائد الإسلام وسننه وآدابه ، ومهاجمة الإلحاد في وكره لنا من شر مكره ، ونحفظ أبناءنا أفلاذ أكبادنا من الأهواء المضللة ، والفتنة الفاشية ، والمغريات الفاضحة .

فلنقف أمام الكعبة المشرفة مجتمعين ، ففي هذه البقعة المباركة وقف نبينا وأصحابه ملبين داعين قبل أربعة عشر قرناً ، ولنستعرض سلسلة تاريخنا لتمثل دعوتنا الإسلامية ، ونجاحنا في هداية البشر ، ونشر الدين حلقات لا تنقطع ، وعرى لا تنفصم ، وأمة واحدة أولها وآخرها خير ، وإسلام واحد حاضره وماضيه ، إن في ذلك لذكري لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه .

المسجد النبوي الشريف

المدرسة الأولى في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم نحمد الله تعالى ونصلي ونسلم على أول من أسس مسجده على تقوى الله وطاعة سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

وبعد ... فحديثنا اليوم في « المسجد النبوي الشريف »

المسجد النبوي الشريف هو مهبط الوحي وتاج التاريخ الرائع ، وفجر الحضارة الإسلامية ، والمدرسة الأولى في الإسلام التي تخرج منها بدور العلماء ، وأبطال المجاهدين ، والقواد الفاتحون كم جلس فيه الرسول الأكرم ، ﷺ ، يفقه ويعلم ويسوس ويربي الرجال الذين اصطفاهم الله العليم لدينه ، وغذاهم القرآن الكريم بهديه ، ورباهم المعلم الأعظم بتزكياته وسنته في حجر التقوى ، ومنبت الإيمان ، فنشأوا رجالاً (صدقوا ما عاهدوا الله عليه من قبل ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً) هؤلاء الأحرار الذين فطموا أنفسهم عن الشهوات ، فانطلقت تسبح في ملكوت الله تدعن للحق ،

وتصدع بالتوحيد ، وتنادي بمكارم الأخلاق ، أولئك الأبطال
الذين كانوا السبب في هداية الأمم ، وبنوا مجدداً شامخاً ،
ونصروا الأخلاق الفاضلة ، فنهضت بعد كبوتها وسمت إلى
أفق الفخار والخلود .

هذا المسجد النبوي : أنظر إليه تغشاه الروعة والهيبة ،
ويحوطه الجمال والجلال ، هل انقطع عنه دوي القرآن منذ
نزل فيه ؟ أو توقف ذكر الله تعالى بعد أن نشأ به ؟ إنه لم يزل ،
ولن يزال مآرزاً للإيمان ، ومعقلاً للفضيلة ، وداراً للعلم ،
ومشهداً دينياً يأخذ بالنفوس ، فلا تملك حين تراه إلا أنها
تأنس نارة وترهب أخرى ، وتفرح طوراً وتبكي حيناً ،
وتقدم وتحجم تتمثل لها مواكب الذكر والفكر فتمر بها
سراعاً ، وتظهر لها أحداث التاريخ فتمتلئ عظة وعبرة هنا
مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام مع أصحابه في روضته التي
هي من رياض الجنة ، حيث كان يبلغ رسالات ربه ، وهذا
مصلاه الذي كان يقف فيه لمناجاة مولاه ، فتقر بذلك عيناه ،
وهذا منبره الذي كان يخطب عليه كأنه منذر جيش يقول :
صبحكم ومساكم فتوجل القلوب ، وتذرف العيون ، وترتعد

الفرائص ، وهذه حجراته التي كان يأوي إليها ، فتستقبله
أمهات المؤمنين فيتلو فيهن آيات الله والحكمة (رحمة الله
وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) . وهذا مصلى
تهجده الذي كان يصلي فيه نافلة من الليل يسأل من ربه المقام
المحمود والهداية للأمة وإظهار الدين ، يدعو ليلاً ونهاراً ،
ويتفرغ سراً وجهاراً ، وهذه سارية السيدة عائشة رضي الله عنها ،
وتلك سارية أبي لبابه رضي الله عنه ، وهذه دار ابن عم الرسول ،
ومأوى البتول حيث نشأ السبطان سيدي شباب أهل الجنة
وريحانتا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الدنيا ، وهذه خوخة الصديق
الذي سعد هو والفاروق بصحبته وجواره في الدنيا ، والبرزخ
والأخرى رضي الله عنهما ، هذه دار الإيمان فيها مساكن
الصحابة هي غيل الأسد ، وذلك البقيع الذي دفن فيه ألوف
من أصحاب الشفيق عليه السلام ، وهذا أحد جبل أهل الإيمان
يشرق منه نور التوحيد ، وبقربه كان صراع الحق والباطل
مدبراً زهوقاً ، وثبت الإيمان مؤيداً محفوظاً .

وهذا العقيق الوادي المبارك منزل الرسول ومصلاه ، أجل
هذا مسجد بناه نبي التوحيد ، وبنته أيدي أهل اليقين :

الله أكبر هذا المسجد العطر وهذه طيبة الفيحاء تزدهر
وهذه الروضة الفناء قد ظهرت من جنة الخلد لاهم ولا كدر
هذا العقيق وذا سلع وذا أحد يزهو بإيمانه والخلد ينتظر
هذي الربوع التي كان الحبيب بها يرعى القلوب وترعاه فتدكر

لقد حظيت بصيام رمضان عدة سنين في هذا البلد الطيب ،
فأقول هنا فرض الله علينا الصيام والزكاة ، وهذا باب جبريل
حيث تردد بالتنزيل على السيد الأعظم الجليل ، مجالي أنس
ومرابع قدس ، ومنازل قرآن ، ومواقف ذكرى ، ما أجل هذه
البشري ، وما أعظم تلك الذكرى ، أيام وصل ووصال ، هي
أشرف عمري وواسطة عقد فخري في ضيافة أهل طيبة جيران
المصطفى ، وأهل الصدق والكمال والوفاء .

فِيَا سَاكِنِي أَكْنَافَ طَيْبَةِ كُلُّكُمْ إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ حَبِيبُ

* * *

هَنَاوَكُمُو يَا أَهْلَ طَيْبَةَ قَدْ حَقًّا
فَبِالْقُرْبِ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى نَلْتُمُو السَّبْقَا
فِيَا رَاحِلًا عَنْهَا لِأَمْرِ تُرِيدُهُ
أَتَطْلُبُ مَا يَفْنَى وَتَتْرُكُ مَا يَبْقَى

بناء المسجد الشريف :

لما هاجر النبي ﷺ ، إلى المدينة كان يصلي حيث أدركته الصلاة فأراد بناء مسجد للصلاة فيه ، وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يصلي بالناس ، يجمع بهم في مسجد بناه في مرصد سهل وسهيل ، ابني رافع بن أبي عمرو ، فسأل ، ﷺ ، أبا أمامة أن يبيعه أرضاً متصلة كانت في يده لليتيمين ، فعرض عليه أسعد أن يأخذها ويغرم عنه ثمنها لليتيمين ، فأبى ، ﷺ ، ذلك وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال الصديق رضي الله عنه ، وكان موضع المسجد نخل وخرب وقبور للمشركين ، فأمر عليه الصلاة والسلام بالقبور فغيبت وبالعظام فنبشت ، وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت ، وجعلت عمداً للمسجد ، وأمر بعد ذلك بإتخاذ اللبن فاتخذ وبني به المسجد ، ورفع أساسه بالحجارة وسقف بالجريد ، وجعلت عمدته جذوعاً لما شكوا الحر ، فلما وكف عليهم طينوه بالطين ، وجعلوا وسطه رحبة ، وقد عمل فيه المسلمون ، فكانوا يحملون لبنة لبنة ، وكان عمار بن ياسر يحمل لبنتين ، لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ ، وكان عليه الصلاة والسلام يحمل معهم اللبن ويقول :

هَذَا الْحِمَالُ لِأَحْمَدَ خَيْرٌ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

ويقول :

اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

رواه البخاري ، ووضع الرسول رداءه وهو ينقل فقالوا :

لَسْنَا قَعْدَنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ لَذَلِكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمَضَلُّ

واستمر المسجد على ما هو عليه في زمن الصديق رضي الله عنه
لاشتغاله بحروب الردة ، وأما الفاروق رضي الله عنه فوسعه
وزاد فيه دار العباس رضي الله عنه ، وبناء سيدنا عثمان رضي الله
عنه في خلافته بالحجارة والقصة ، وجعل عمده حجارة وسقفه
بالساج ، ونقل إليه الحصباء من العقيق ، ولم يزل الخلفاء
والملوك يهتمون لعمارة المسجد النبوي الشريف ، ويبذلون
نفائس الأموال في ذلك . ربنا تقبل منا إنك أنت السميع
العليم ، صلى الله عليه وسلم ، على أشرف خلقه وعلى آله وصحبه وسلم .

إعجاز القرآن

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه .

(قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) .

روي أن الوليد بن المغيرة لما سمع النبي ﷺ ، يقرأ قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » قال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر .

وجاء في رواية أخرى : أن الوليد قال لبني مخزوم : والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو وما يعلى عليه . فقالت قريش : صبأً والله الوليد ، والله لتصبأَنَّ قريش كلها . فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه ، ففعد حزيناً وكلمه بما أسماه ، فقام فأتاهم ، فقال : تزعمون أن محمداً مجنون ، فهل رأيتموه يخنق ؟

وتقولون إنه كاهن ، فهل رأيتموه قط يتكهن ؟ وتزعمون أنه شاعر ، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط ؟ وتزعمون أنه كذاب ، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب ؟ فقالوا في كل ذلك : اللهم لا . ثم قالوا : فما هو ؟ ففكر فقال : ما هو إلا ساحر ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ، وما الذي يقوله إلا سحر يأتته عن مسيلمة وعن أهل بابل . فارتج النادي فرحاً ، وتفرقوا معجبين بقوله .

ويروى أنه لما اجتمعت قريش عند حضور الموسم قال لهم الوليد : إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه - يعني النبي ﷺ ، رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً ؟ فقالوا : نقول كاهن . قال : والله ما هو بكاهن ولا هو بزفر منه ولا سجعه . قالوا : مجنون . قال : ما هو بمجنون ولا بخنقة ولا بوسوسة . قالوا : فنقول شاعر . قال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ، ما هو بشعر . قالوا : فنقول ساحر . قال : ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده . قالوا : فما نقول ؟ قال : ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا وأنا أعرف أنه لا يصدق ، وإن أقرب القول إنه ساحر ، وإنه سحر يفرق به

بين المرء وابنه ، والمرء وأخيه ، والمرء وزوجته ، والمرء وعشيرته .
ويقول حسان بن ثابت في شعره فيما قال عن القرآن الكريم :

اللَّهُ أَكْرَمَنَا بِنَصْرِ نَبِيِّهِ وَبِنَا أَعَزَّ نَبِيَّهُ وَكِتَابَهُ
وَبِنَا أَقَامَ دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ وَأَعَزَّنَا بِالضَّرْبِ وَالْإِقْدَامِ
يَتَغَشَّنَا جِبْرِيلُ فِي أَبِيَاتِنَا بِفَرَائِضِ الْإِسْلَامِ وَالْأَحْكَامِ
يَتْلُو عَلَيْنَا النُّورَ فِيهَا مُحْكَمًا قَسَمًا لَعَمْرُكَ لَيْسَ كَالْأَقْسَامِ
فَنَكُونُ أَوْلَ مُسْتَحِلِّ حَلَالِهِ وَمُحَرَّمِ كُلِّ حَرَامِ

ويقول السيوطي في الإتقان : وقد أسلم جماعة عند سماع آية
من القرآن ، كما وقع لجبير بن مطعم ، أنه سمع رسول الله ،
ﷺ ، يقرأ في المغرب بالطور ، قال : فلما بلغ هذه الآية :

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ
الْمُسَيِّطِرُونَ) . كاد قلبي أن يطير . قال : وذلك أول ما وقر
الإسلام في قلبي .

وروي أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ فسجد وقال : سجدت
لفصاحته .

ومما يتصل بهذا ما يروون أن أعرابياً سمع آخر يقرأ (فَلَمَّا
اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) فقال : أشهد أن مخلوقاً لا يقدر
على مثل هذا الكلام .

وروي أن عمر كان نائماً في المسجد ، فجاءه رجل من بطارقة
الروم يحسن العربية فأسلم ، وقال : سمعت رجلاً من أسرى
المسلمين يقرأ آية من القرآن ، فتأملتها فإذا هي قد جمع فيها
ما أنزل الله على عيسى من أحوال الدنيا والآخرة (وَمَنْ يُطِعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ) الآية .

وروي عن نصراني مرَّ بقاريٍّ فوقف يبكي ، فقيل له : مم
بكيت ؟ قال : للشجا والنظم .

وعن كعب - وهو من أهل الكتاب الذين أسلموا - : عليكم
بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة .

وروي عن الأصمعي أنه سمع كلام جارية ، فقال لها :
قاتلك الله ما أفصحك ! فقالت : أو بعد هذا فصاحة ، بعد
قول الله تعالى :

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ

فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنْ
الْمُرْسَلِينَ) فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين
وبشارتين .

فسبحانه ما أعظم شأنه وما أبلغ كلامه (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ
بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى) .

نسأل الله أن يرزقنا جميعاً حسن تلاوته وفهم معناه والعمل
بأوامره واجتناب نواهيه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

فضائل حفظ القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم لك الحمد يا إله العالمين أنزلت القرآن على عبدك ليكون للعالمين نذيراً وصلاة ربي وتسليماته على رسوله ونبيه وعلى آله وصحابه .

وبعد . . . فرغبتنا اليوم أن نتكلم في « فضائل حفظ القرآن » قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا أبي ، ثنا محمد ابن إسحاق ، قال : ذكر محمد بن كعب القرظي ، عن الحارث بن عبد الله الأعور قال : قلت : لآتين أمير المؤمنين فلا سألنه عما سمعت العشيّة ، فذكر الحديث ، ثم قال سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول :

« أتاني جبريلُ فقالَ : يا مُحَمَّدُ ، أُمَّتُكَ مُخْتَلِفَةٌ بَعْدَكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : فَأَيْنَ الْمَخْرَجُ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : فَقَالَ : فِي كِتَابِ اللَّهِ ، بِهِ يَقْصِمُ اللَّهُ كُلَّ جَبَّارٍ ، مَنْ اعْتَصَمَ بِهِ نَجَا ، وَمَنْ تَرَكَهُ هَلَكَ مَرَّتَيْنِ ، قَوْلُ فَضْلٍ وَكَيْسٍ بِالْهَزْلِ لَا تَخْلِقُهُ الْأَلْسُنُ وَلَا تُفْنِي عَجَائِبُهُ فِيهِ نَبَأٌ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَفَضْلٌ مَا بَيْنَكُمْ وَخَبْرٌ مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ » .

هكذا رواه الإمام أحمد ، وقال الإمام العالم أبو عبد الله القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن : حدثنا أبو اليقظان ، ثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره ، عن أبي إسحاق الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ ، قال :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَادِبَةٌ اللَّهِ تَعَالَى فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَادِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، لَا يَعْوجُّ فَيَقُومُ وَلَا يَقُومُ فَيَسْتَعْتَبُ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ ، فَاتْلُوهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٍ وَالْحَسَنَةُ بَعَشْرُ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ أَلَمْ حَرْفٌ لَكِنْ أَلْفُ حَرْفٍ وَلَا مِ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » .

وحدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا سعيد البقري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبي ﷺ :

« مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

قال ابن كثير : وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن
المجيد على كل معجزة أُعطيها نبي من الأنبياء ، وعلى كل كتاب
أنزله ، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا
ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانهم ، وأما الرسول الخاتم
للرسالة محمد ، ﷺ ، فإنما كان معظم ما آتاه الله وحياً منه
إليه منقولاً إلى الناس بالتواتر ، ففي كل حين هو كما أنزل ،
فلذا كان أتباعه أكثر لعموم رسالته واستمرار معجزته إلى قيام
الساعة ، فالعرب هم أفصح الناس وأعلمهم بالبلاغة والقريض ،
ولكن جاءهم ما لا قبل لهم به من الكلام البليغ المحتوي على
العلوم النافعة والأخبار الصادقة والغيوب الماضية والآتية
والأحكام العادلة المحكمة ، كما قال تعالى :

(وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

حدثنا هدبة بن خالد أبو خالد ، ثنا همام ، ثنا قتادة ،
ثنا أنس بن مالك ، عن أبي موسى رضي الله عنهما ، عن
النبي ، ﷺ :

« مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا . »

وهكذا رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طريق قتادة به ، ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجوداً وعدماً فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر . ثم قال : ثنا مسدد ، ثنا يحيى ، عن سفيان حدثني عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

« إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَّمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ ، وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَالًا فَقَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ ، فَقَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى . ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بِقِيرَاطَيْنِ . قِيرَاطَيْنِ ، قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ

عَمَلًا وَأَقْلُ عَطَاءً قَالَ هَلْ ظَلَمْتُمْكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا ؟ قَالُوا :
لَا ، قَالَ : فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ شِئْتُ .

حدثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب عن الزهري ، حدثني سالم
ابن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ،
ﷺ ، يقول :

« لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ
آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » .

حدثنا حجاج بن منهال ، ثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد ،
سمعت سعد بن عبادة ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عثمان بن
عفان رضي الله عنه ، عن النبي ، ﷺ ، قال :

« خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ، وَعَرِضَتْ عَلَيْهِ
ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَكْبَرَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ
أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا » .

قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وذاكرت
به البخاري فاستغربه .

وحكى الوالى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أنه أنكر
سماع المطلب من أنس بن مالك ، قلت : وقد رواه محمد بن
يزيد الأدمي ، عن أبي داود ، عن ابن جريج ، عن الزهري ،
عن أنس ، عن النبي ، ﷺ به ، فالله أعلم .

وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبُّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ؟
قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى .)

وهذا الذي قاله هذا وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه ،
فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان من عدم
الاعتناء .

وقال عليه الصلاة والسلام : « تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ » وفي لفظ
« اسْتَذْكُرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ
النَّعْمِ » .

التفصي : التخلص ، يقال : تفصى فلان من البلية إذا
تخلص منها ، ومنه تفصى النوي من التمرة إذا تخلص منها

أَيُّ أَنْ الْقُرْآنَ أَشَدَّ تَفْلَتًا مِنَ الصَّدُورِ مِنَ النِّعَمِ إِذَا أُرْسِلَتْ
مِنْ غَيْرِ عِقَالٍ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ أَبُو مَعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ :
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ - إِنِّي لَا أَمِنْتُ الْقَارِئُ أَنْ أَرَاهُ
سَمِينًا نَاسِيًا لِلْقُرْآنِ .

وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ ،
قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ بْنَ مَزَاحِمٍ يَقُولُ : مَا مِنْ أَحَدٍ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ
فَنَسِيَهُ إِلَّا بَدَنِبَ يَحْدُثُهُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :
(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) .

وَإِنْ نَسِيَانِ الْقُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ ، وَلِهَذَا قَالَ إِسْحَاقُ
ابْنَ رَاهُوِيَةَ وَغَيْرُهُ : يَكْرَهُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا لَا يَقْرَأَ
فِيهَا الْقُرْآنَ ، كَمَا أَنَّهُ يَكْرَهُ لَهُ أَنْ يَقْرَأَهُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ،
كَمَا سَيَأْتِي هَذَا حَيْثُ يَذْكُرُهُ الْبُخَارِيُّ بَعْدَ هَذَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قُلُوبِنَا وَنُورَ أَبْصَارِنَا وَجِلَاءَ
حُزْنِنَا وَاجْعَلْنَا مَنْ يَقْرُؤُهُ فَيُرْقِي وَأَغْفِرَ لَنَا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

تفسير القرآن بالرأي

الحمد لله الذي نزل القرآن تبياناً لكل شي وهُدًى ورحمة
وبشرى للمسلمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث
رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فهذا سؤال ورد إلى من بعض طلاب العلم الشريف يسأل عن
حكم التفسير بالرأي ، قال : وهل من ذلك بيان أسرارهِ البلاغية
ووجوب إعرابه وغير ذلك ؟ فلبيت مطلوبه استجابة لواجب
أمانة العلم سائلاً من الله السداد فأقول : إن تفسير القرآن
بالرأي حرام منهي عنه ، لأنه جرأة على رب العالمين أنه قصد
بهذا اللفظ هذا المعنى . وهذا لا يصار إلا بنقل وتوقيف ،
ولذا حذر السلف الصالح من تفسير القرآن بالرأي قال ، **رَبِّهِ** :

« مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ » .

قال الألويسي : والذي ينبغي أن يعول عليه أن من كان

متبحراً في علوم اللسان ، مترقياً منها إلى ذروة العرفان ، وله في رياض العلوم الدينية أوفى مرتع ، وفي حياضها أصفي مكرع ، يدرك إعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد ، وقد غدا ذهنه لما علق من دقائق التحقيق إقليداً فذلك يجوز أن يرتقي من التفسير ذروته ويمتطي منه سهوته .

فظهر أن محل النهي في الأحاديث عن التفسير بالرأي إنما هو في المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله فيمن كان غير متحصل على العلوم التي ينبغي حصولها للمفسر وفيمن يجعل مذهبه أصلاً ويرد القرآن بالحمل البعيد والتفسير الضعيف إليه ، كما هو شأن أهل الأهواء ، أما ما يرجع إلى معنى التراكيب ومدلولات المفردات فلا يتوقف على نقل كما ذكره الألويسي ، وهنا لا بأس أن نفيض القول في هذا المقام لتحذير القاصر عن التفسير أن يدخل في شيء منه قبل أن يتحقق بشروط المفسرين فنقول لا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل يرجع إليه في ذلك ، قال تعالى :

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ » .

وقال تعالى :

« وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » .

وقد أسند الله تعالى وظيفة بيان القرآن إلى جناب الرسول ،

ﷺ ، فقال تعالى :

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » .

فمن طلب البيان من غير طريق السنة النبوية فقد تنكب عن الصواب وضل سواء السبيل ولذا قال عليه الصلاة والسلام .

« مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ » .

أخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقال « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » أخرجه أبو داود وقال ابن عطية : ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته والنحويون نحوه والفقهاء معانيه . ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه ، قال العلامة القرطبي « هذا

صحيح وهو الذي اختاره غير واحد من العلماء فإن من قال بما سنع في وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح ، وأما قصر التفسير على السماع مطلقاً على ترك الاستنباط فهذا ليس بمراد لأن الصحابة رضي الله عنهم قد قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ، ﷺ ، فإن النبي ، ﷺ ، دعا لابن عباس رضي الله عنه وقال : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وهذا بين لا إشكال فيه إنما النهي عن التفسير بالرأي محمول على أحد وجهين ، أحدهما أن يكون له في الشيء وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح رأيه ولو لم يكن ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى ، وهذا النوع يكون تارة مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد بالآية ليس ذلك ولكن مقصوده أن يلبس على خصمه ، وتارة مع الجهل وذلك إذا كانت الآية

محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه أي أن رؤية حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه .

وتارة يكون له غرض صحيح . فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه لم يرد به بل يبعد حمله عليه . ثانيهما أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والاختصار والإضمار والتأخير والحذف ، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهمه العربية كثر غلظه ودخل في زمرة من فسر القرآن برأيه والنقل والسماع لا بد له منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ، والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ألا ترى قوله تعالى :

« وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً » .

معناه آية مبصرة ، فان ناظراً إلى ظاهر العربية يظن أن الناقاة كانت مبصرة مع أنه من باب الحذف والإضمار ، وأمثال هذه في القرآن كثير ؛ وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي إليه والله أعلم » وقال العلامة محمد حسنين العدوي : « ثم إن تفسير القرآن ثلاثة أقسام : الأول ما لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه وهو ما استأثر الله به من علوم كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه .

والثاني : ما أطلع الله سبحانه وتعالى نبيه عليه من أسرار الكتاب واختصه به ، فلا يجوز الكلام فيه إلا له عليه الصلاة والسلام أو لمن أذن له ، وقيل وأوائل السور من هذا القسم وقيل من الأول والثالث علوم علمها الله تعالى نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية وأمره بتعليمها وهذا ينقسم إلى قسمين : منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات واللغات وقصص الأمم وأخبار ما هو كائن ، ومنه ما يوصف بطريق النظر والاستنباط من الألفاظ كاستنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية لأن مبناها

على الأقيسة ، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإشارة لا يمتنع استنباطها منه لمن له أهلية ذلك ، وما عدا هذه الأمور هو التفسير بالرأي الذي نهى عنه وفيه خمسة أنواع : الأول التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير ، الثاني تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى : الثالث التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً له فيرد إليه بأي طريق أمكن وإن كان ضعيفاً ؛ الرابع التفسير بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل ، الخامس التفسير بالاستحسان والهوى .

وقال الزمخشري : من حق مفسر القرآن أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليماً من القوادح ، وأما الذين تأيدت فطرتهم النفسية بالمشاهدات الكشفية فهم القدوة في هذه المسالك ولا يمنعون أصلاً من التوغل في ذلك ، ومراده أن مراد الله سبحانه وتعالى من القرآن لا ينحصر في هذا القدر لما ثبت في الأحاديث أن لكل آية ظهراً وبطناً وذلك المراد الآخر لم يطلع عليه كل أحد بل من أعطي علماً وفهماً من لدنه تعالى ، وهو علم الموهبة المشار إليه بآية :

نفعات الاسلام - ١٤

« وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ » .

وحديث « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » يكون الضابط في صحته أن لا يرفع ظاهر المعاني المأخوذة من الألفاظ بالقوانين العربية وأن لا يخالف القواعد الشرعية وأن لا يباين إعجاز القرآن ولا يناقض النصوص الواقعة فيه فإن وجدت فيه هذه الشرائط فلا يطعن فيه وإلا فهو بمعزل من القبول ، وبهذا تعلم الفرق بين تفسير أرباب الإشارات والباطنية والبهائية حيث إنهم يصرفون الآية عن معناها المنقول والمعقول ، إلى ما يوافق بغيتهم ويزعمون أنه مراد الله تعالى بخلاف أصحاب الإشارات فإنهم يستفيدون من وراء تلك المعاني الظاهرة معاني فيها مواضع وذكرى على طريق الاعتبار ، على أنهم نوزعوا في ذلك .

قال أبو بكر بن العربي مؤيداً لهم في كتاب القواصم والعواصم : « جاءوا بالألفاظ الشريعة من بابها وأقروها على نصابها لكنهم زعموا أن وراءها معان خاصة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ فعبروا إليها بالفكر واعتبروا منها في سبيل الذكر » هـ .

وقال تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن : اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله سبحانه وتعالى ، وكلام رسوله ، ﷺ ، بالمعاني الغريبة ليست إحالة الظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت له ودلت عليه في عرف اللسان ، وأما فهم الباطن من الآية والحديث فيكون لمن فتح الله قلبه .

وقد جاء في الحديث : « لكل آية ظهر وبطن ولكل حد مطلع » ، فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل هذا إحالة كلام الله تعالى وكلام رسوله ، ﷺ ، فليس ذلك بإحالة ، وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم لا يقولون ذلك ، بل يفسرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها .

واعلم أن العلماء ذكروا شرائط لمن يتعاطي التفسير ، وذلك بأن يعرف اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات وأصول الدين والفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ ، والفقه والأحاديث المبينة لتفسير المجمل وعلم الموهبة ، وهو علم يورثه الله سبحانه وتعالى لمن عمل بما علم ، وهذه العلوم التي لا مندوحة للمفسر منها ،

وإلا فعلم التفسير لا بد له من التبخر في كل العلوم .
والحاصل أنه ينبغي لمن تصدى لتفسير القرآن الكريم
وما فيه من حكم وأحكام أن يراعي ما يأتي :
أولاً : اللغة العربية مفرداتها ومركباتها وأساليبها وما اشتملت
عليه من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد وإجمال وبيان
واشتراك وترادف وحقيقة ومجاز وكتابة ، وما يتعلق بكل هذه
الأنواع الثابتة بالأدلة الصحيحة كحمل المطلق على المقيد
وتخصيص العام وحمل المشترك على جميع معانيه أو بعضها
عند القرينة ، وحمل الظاهر على ما يفيدُه إلا للدليل يقتضي
تأويله وحمل الصارف على حقيقته إلا لصارف يصرفه عنها ،
وكما تجب مراعاة ذلك تجب أيضاً مراعاة ما تقتضيه متانة
الأسلوب وجزالة المعنى بحيث يكون النظم الكريم مرتبطاً بعضه
ببعض متجاوب الأطراف ، وعلى العموم تجب مراعاة ما تمس
الحاجة إليه من علوم اللغة العربية على اختلافها كعلم متن اللغة
والنحو والصرف وغيرهما مما يتوقف عليه فهم المعنى فهما
ينتنظم مع ما للقرآن من علو الأسلوب ومتانة التركيب وكونه
قانوناً سماوياً يرجع إليه في الاعتقاد والعمل ، والدليل على ذلك

أن القرآن نزل بلغة العرب :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) .

بلسان عربي مبين وهو أيضاً معجزة للخلق عن معارضته
والإتيان بمثله .

(قُلْ لَعْنُ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) .

فإعجازه على التحقيق بلفظه ومعناه فهو في أعلى طبقات
الفصاحة والبلاغة ، وإذا ما اتضح أن القرآن نزل بلغة العرب
وأنه في أعلى طبقات الفصاحة ، يجب أن يراعى في تفسيره
ما يتناسب مع ذلك مما عهد في أساليب العرب ، وما عليه أوضاع
اللغة العربية واستعمالها على التفصيل المدون في علوم اللغة
كما قدمناه .

ثانياً : أسباب النزول من الوقائع والحوادث التاريخية التي
نزل فيها القرآن ، فإنه ليس من المعقول أن تكون الآية قد
نزلت في حادثة معينة ثم تفسر بما ينبو عن هذه الحادثة ،
فإن هذا لا يليق بكلام العقلاء فضلاً عن كلام رب العزة الذي

هو أصح كلام وأعلاه ، وليس مثل ذلك إلا مثل من سأل عن أمر عجيب بما ليس له أدنى صلة بالسؤال ، ومثله لا يعهد عن غير العقلاء . ولسنا نعني من مراعاة أسباب النزول تقييد القرآن بها وقصره عليها ، وإنما نعني أن سبب النزول يجب أن يكون من متناول اللفظ ، ولا نعني كل سبب قيل مهما كان سنده ، وإنما نعني الأسباب الثابتة بالأسانيد الصحيحة .

ثالثاً : مراعاة العقائد الثابتة بالأدلة القطعية ، فإن أول ما يدعو إليه القرآن الإيمان بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، فيستحيل أن يكون في القرآن ما ينفي شيئاً من ذلك ويناقضه .

رابعاً : مراعاة السنة النبوية من قوله ، ﷺ ، وفعله وتقريره ، فإنه مبلغ عن الله ولا يأتي بما يناقض كتاب الله ، فالسنة النبوية على اختلاف أنواعها مبينة للقرآن الكريم بشهادة قوله تعالى :
(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) .

ونحن مأمورون باتباع بيانه لقوله تعالى :

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) .

وبهذا تعلم أن مراعاة السنة في البيان القرآني واجبة ،
والشواهد على ذلك كثيرة ، فالصلاة لم تعلم كيفيتها إلا
بقوله ، صَلَّى :

« صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » .

وكذلك الحج ، احتاج بيانه إلى حجة الوداع لتقرر
أحكامه ، وإليه الإشارة بقوله ، صَلَّى :
« خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ » .

وكذلك الزكاة ، احتاجت في بيان مقدارها وتفصيل أحكامها
إلى ذلك ، وليست مراعاة هذه الأمور في تفسير القرآن من
تحكيم الأوضاع والاصطلاحات في القرآن ، أو إخراجها
عن وضعه وجعله موافقاً لآراء قوم مخصوصين لم ينزل الله
بها من سلطان ، مع أن القرآن فوق هذه الآراء والمصطلحات ،
لا لا ، إنما ذلك رجوع للغة العربية التي نزل بها القرآن ، إذ
لا يعقل أن يفسر كلام متكلم بغير لغته ، فإذا فسر اللفظ
بلازم معناه فهذا يكون لقرينة عليه ، واللغة لا تمنعه بل توجهه
متى لم يصلح المعنى الحقيقي .

والمفسرون لا يحتاجون لهذا إلا في مقام يقتضيه ورد لما يقتضيه قانون التخاطب بارتباط المنزل بالحوادث والوقائع التي نزل فيها ، كما في مراعاة النزول وصون للقرآن من التناقض المنفي عنه بنفس القرآن ، كما في مراعاة العقائد وتصديق للقرآن الذي يخبر بأن السنة مبينة له ، وبأن الرسول عليه الصلاة والسلام واجب الطاعة على الأمة ، كما في مراعاة السنة النبوية .

هذا ، وإن نظرة بسيطة في القوانين الوضعية واللوائح ، وما يوضع لها من مذكرات تفسيرية تبين أغراضها ومراميها ، وشروح تحدد مقصود الواضع ، ويرجع إليها القضاء في تطبيق الحوادث ، من ألقى أقل نظرة على ذلك أمكنه أن يحكم بأنه لا يصح تفسير القرآن مع إغفال اللغة العربية ، أو أسباب نزوله ، أو السنة النبوية التي يعلم صاحبها عليه الصلاة والسلام من القرآن ما لا يعلمه أحد سواه من الأمة .

نعم ، كان المتصدون لتفسير القرآن الكريم في الصدر الأول كحبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في غنية عن هذه العلوم المدونة لأنهم كانوا عرباً بطبعهم وسليقتهم ،

عالين باللغة ومفرداتها وأساليبها وما يتوقف عليه فهم الكتاب العزيز من هذه الناحية ، ومع ذلك كانوا يستعينون بأساليب من تقدمهم ، ومن جهة أخرى كانوا عالين بأسباب نزول القرآن ، بل ربما شاهدوها ، وعالين بالله تعالى وما يجب له ولأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل عليهم وغير ذلك ، كما أنهم يعلمون أيضاً السنة النبوية على تفصيلها ، بل هم رواتها وحملتها .

وعلى الجملة ، فعلم القرآن حاضرة لديهم وعنهم أخذت ، لذلك لم يكن هناك تدوين لهذه الفنون ولا حاجة إلى مراجعة المدونات ، والله در القائل حيث قال :

إِنَّ الْعُلُومَ وَإِنْ جَلَّتْ مُحَاسِنُهَا فَتَاجُهَا مَا بِهِ الْإِيمَانُ قَدْ وَجَبَا
هُوَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ اللَّهُ يَحْفَظُهُ وَبَعْدَ ذَلِكَ عِلْمٌ فَرَجَ الْكُرْبَا

فَذَاكَ فَاَعْلَمَ حَدِيثُ الْمُصْطَفَى فِيهِ
نُورُ النُّبُوَّةِ سَنَ الشَّرْعِ وَالْأَدْبَا

وَبَعْدَ هَذَا عُلُومٌ لَا انْتِهَاءَ لَهَا
فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا مَنْ آثَرَ الطَّلْبَا

وَالْعِلْمُ كَنْزٌ تَجِدُهُ فِي مَعَادِنِهِ
 يَا أَيُّهَا الطَّالِبُ ابْحَثْ وَاَنْظُرْ الْكُتُبَا
 وَاتْلُ بِفَهْمٍ كِتَابَ اللَّهِ فِيهِ أَتَتْ
 كُلُّ الْعُلُومِ تَدَبَّرُهُ تَسْرَى الْعَجَبَا
 وَاقْرَأْ هُدَيْتَ حَدِيثَ الْمُصْطَفَى فَرِحَا
 وَسَلْ إِلَهَكَ كَيْ يَقْضِيَ لَكَ الْأَرْبَا
 مَنْ ذَاقَ طَعْمًا لِعِلْمِ الدِّينِ سُرَّ بِهِ
 إِذَا تَزَيَّدَ مِنْهُ قَالَ وَآ طَرَبَا

وما دعائي إلى الإطالة في هذا المقام إلا جراءة بعض المتنطعين
 على تفسير كتاب الله وحمله على ما يلائم الفهوم الحديثة
 العصرية المتقلبة ، ولو كان في ذلك خروج عن تفسير السلف
 وأصل المعنى ومقتضيات الأصول والقواعد ، وإنا لنغار على
 حمى الكتاب العزيز أن يستبيحه كل جهول لا يميز بين الفاعل
 والمفعول ولا يدري ما فسر به الأثبات والفحول ، اللهم إنا نبرأ
 إليك من جرأة هؤلاء على كتابك العزيز ، ونسألك أن توفقنا
 لتفسيره الذي ترضى به عنا ، إنك سميع الدعاء ، والله در القائل

مَا الْعِلْمُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ أَثَرُ يَهْدِي بِنُورِ سَنَاهُ كُلِّ مُلْتَمِسٍ
نُورٌ لِمُلْتَمِسٍ ... هَذَا لِمُقْتَبِسٍ

حِمَى لِمُحْتَرَسٍ ... نُعْمَى لِمُبْتَسِسٍ

فَاعْكُفْ بِبَابَيْهِمَا عَلَى طِلَابَيْهِمَا

تَجَلَّوْا الْعَمَى بِهِمَا عَنْ كُلِّ مُلْتَمِسٍ

وَرِدْ بِقَلْبِكَ عَذْبًا مِنْ حِيَاضِهِمَا

تَغْسِلْ بِمَاءِ الْهُدَى مَا فِيهِ مِنْ دَنْسٍ

وَاقْفُ النَّبِيَّ وَاتَّبِعْ النَّبِيَّ وَكُنْ

مِنْ نُورِ هَدْيِهِمْو تَدْنُو إِلَى قَبَسٍ

وَالزَّمْ مُجَالِسَهُمْ وَاحْفَظْ مُجَالِسَهُمْ

وَأَنْدُبْ مَدَارِسَهُمْ فِي الْأَرْبَعِ الدُّرُسِ

وَأَسْأَلْكَ طَرِيقَهُمْو وَاتَّبِعْ فَرِيقَهُمْو

تَكُنْ رَفِيقَهُمْو فِي حَضْرَةِ الْقُدُسِ

تِلْكَ السَّعَادَةُ إِنْ تَلِمْتَ بِسَاحَتِهَا

فَتِلْكَ ثَمَّتْ قَدْ عُوْفِيَتْ مِنْ تَعَسٍ

هذه كلمة عجلى حول تفسير القرآن بالرأى هي نفثة

محزون فاض بها القلب ، فامتأَّت الجوارح ، وقام القلم
العاجز بدوره على منبر الوعظ والإرشاد منتصباً لحمى الكتاب
المبين ، عسى أن ينتفع بها جاهل ويتذكر بها عاقل ، فإن
الذكرى تنفع المؤمنين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

* * *

ترجمة القرآن الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أنزل القرآن بلسان عربي فصيح جمع البلاغة الباهرة حتى أعجز كل مخلوق أن يأتي بسورة من مثله وصلى الله وسلم وبارك على سيد الفصحاء وعلى آله وأصحابه الأتقياء .

وبعد ... فحديثنا اليوم يدور حول « ترجمة القرآن الشريف »

إعلم أن الترجمة لغة النقل ، وعرفاً قسمان : ترجمة معنوية تفسيرية ، وهي عبارة عن بيان معنى الكلام وشرحه بلغة أخرى من غير تقييد بحرفية النظم ، ومراعاة أسلوب الأصل وترتيبه ، وترجمة حرفية : وهي إبدال ألفاظ الأصل بألفاظ أخرى مرادفة لها من لغة بلغة أخرى ، فليس فيها تصرف في المعنى الأصلي ، وإنما التصرف في نظمه بمحاولة إبدال لغته بلغة أخرى ، فهو خلع ثوب وإبداله بثوب آخر مع كون اللابس واحداً ، فترجمة القرآن ترجمة حرفية بالمثل غير معقولة ولا مقدورة . والعلماء متفقون على عدم إمكانها فضلاً عن وقوعها ، وإنما موضع الخلاف هي الترجمة الحرفية بدون المثل بأن تكون

باعتبار ما يدل عليه النظم من المعاني الأولية والخصائص
البلاغية التي تدخل تحت مقدور اللغة المترجم إليها ، والمترجم
نفسه ، وذلك متفاوت قطعاً . وهذا النوع ممتنع أيضاً لما فيها
من الركافة والتبديل لنظم الكتاب والتعدد والاختلاف في
مدلولاته ، وإنك إذا نظرت إلى المترجمين حينما يحاولون
ترجمة كتاب من وضع البشر يمكن الوصول إلى قراره ومعرفة
أسراره ، تجد تراجمهم مختلفة في الألفاظ والأساليب ، وتحديد
غرض المؤلف والإحاطة بمراده ، حتي إنك لتكاد تحكم أنها لم
تصدر عن مورد واحد ، وذلك كله يرجع لأسباب منها : قصور
الفهم ، ومنها فقد اللغة المترجم إليها خصائص اللغة المترجم
منها ، ومنها قصور الترجمة لخيانة المترجم أو نحوه ، وإذا
كان هذا في ترجمة كتاب البشر ، فكيف في ترجمة كلام
واهب القوي والقدرة ؟ ومن حقق النظر في آية الوصية وهي
قوله تعالى :

(فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) .

علم أنها تجر بذيلها على المتعرضين لترجمة القرآن جراً
أولياً ، لأن الوصية في المال دون الوصية في الدين ، وقوام

أساسه المتين ، وقد أوصانا الله بحفظ كتابه وصيانيته من التغيير والتبديل ، وذب علماء الكتاب المحرفين ، فقال تعالى :
(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ
الْكِتَابِ) .

فهذه الآية لا يبعد أن تسحب حكمها على ليّ الألسن بترجمة القرآن ترجمة حرفية لأن ذلك مظنة لعبث الأيدي به والاستغناء عنه بغيره ، وذريعة لتقلص ظله وانتهاك حرمة . فهي ضرب من التغيير والتبديل فيما تولى الله ورسوله حفظه وأمرنا بالمحافظة عليه ، فلو وقع ذلك اشتغل الناس عنه وانكبوا على تراجمه .

وإن لنا في قصة الفاروق رضي الله عنه لعبرة وذكرى ، حينما امتنع من كتابة السنن خشية أن تلتبس بالقرآن فقال : « إني ذكرتُ قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأنكبوا عليها وتركوا كتابَ الله تعالى » ، فانظر إلى جهة سد الذريعة في هذه النازلة مع أنها دون نازلة الترجمة فيما لها من المساس بكتاب الله تعالى وقرآنه المجيد .

على أن علماء تحليل اللغات اتفقوا على أن المقومات والعناصر

في اللغة العربية أتم وأكمل من أي لغة أخرى . ذلك لأنها غنية بوفرة مفرداتها وتفوق أساليبها وصلاحتها لكل ما يراد منها من دين ودنيا وأخلاق وأدب واجتماع مع فصاحة في ألفاظها وتفنن في طريق تأدية المعنى الواحد ، ولذا لم تتحمل أي لغة كانت من اللغات بلاغة القرآن المجيد إلا هذه اللغة الشريفة .

فترجمة القرآن العربي ترجمة حرفية لا تقع صحيحة وافيه ، ولا تكون عن الأصل كافية ، بل هي له عند التأمل منافية ، ولا يظن الجاهل أن الترجمة الحرفية ضرورية لتبليغ الدعوة الإسلامية لأنها لو كانت كذلك لنص القرآن على طلبها ، أو بينت بقية الأدلة الشرعية طلبها حتما ، أو قام قام بها العلماء في الصدر الأول حينما كان غضاً طرياً والدعوة إليه وإلى أحكامه نافذة في جميع الجهات ؛ بل بلغ المسلمون من عصر النبوة إلى الآن ، والإسلام ينمو ويتسع بدون حاجة إلى الترجمة المذكورة .

كان المسلمون فيما سلف يقتحمون للسيادة كل وعر ، ويركبون لإظهار دين الله كل خطر ، ويلبسون من برود البطولة

والعدل وكرم الأخلاق ما يملأ عيون مخالفيهم مهابة وإكباراً ،
وكانت اللغة العربية تجر رداءها أينما رفعوا رايتهم ، وتنتشر
في كل واد وطئته أقدامهم ، فلم يشعروا من دعوتهم إلى الإسلام
بالحاجة إلى نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية .

وربما كان عدم نقلها إلى غير العربية وهم في تلك العزة
والسلطان من أسباب إقبال غير العرب على معرفة لسان العرب
حتى صارت أوطان أعجمية تفيض نطقاً بالعربية تتقلب في
البلاد ، والقرآن يدرس باللسان الذي نزل به في كل واد ،
قد سكنت منذ حين ريحه وتقطعت أسبابه ، غشيت المسلمين
فتن وناموا عن واجب الدعوة إلى سبيل ربهم فخرسوا مظاهر
عزمهم ، وفقدوا الوسائل التي تسعد اللغة العربية ، فتنطلق بها
ألسنة المخالفين ، ويدخلون منها إلى الإطلاع على ما في القرآن
من بلاغة وحكمة .

ولا أدري من أي ناحية يريدون ترجمة كتابنا العزيز :

أم من ناحية أسلوبه وعباراته ؟

أم من ناحية دلالاته وإشارته ؟

فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين . والأصولي البارع يعلم أن قاعدة درء المفسد تقضي بمنع الترجمة منعاً باتاً إذ لا تفيد أهلها ، ولا تحفظ شكلها بل تبعد الأعاجم عن اعتقاد روعة القرآن وجلاله المهيب ، حيث يرون معانيه محقرة في ثوب لغتهم الأعجمية ، وقد جمع سيدنا عثمان رضي الله عنه الناس في القرآن على وجه واحد خشية التفرق والتنازع الناشئ من التعدد ، فكيف بالترجمة المتعددة المسببة للاختلاف في المدلولات ، فالعجب من مسلم يؤيد موضوع الترجمة الحرفية وهو يعلم أن ذلك يؤدي إلى انتهاك حرمة هذا الحمى ، والتطاول على الكتاب العزيز ، إن ذلك ليس من النصيحة لكتاب الله تعالى في شيء ، لأن القرآن عربي في جميع أوضاعه ومراتب وجوده ، فقد أظهره الله تعالى في اللوح المحفوظ عربياً ، وعلى السنة الملائكة الكرام عربياً ، وعلى لسان نبينا ﷺ ، عربياً ، وأجمع المسلمون على كتابته وقراءته بالعربية ، ونوه بعربيته في كثير من الآيات فقال :

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) وقال : (أَلْأَعْجُمِي وَعَرَبِيٌّ) .

فمن أراد ترجمته بالحرف فإنما أراد تغيير إعجازه ، وتبديل

مقاصده وتحويل قبلته وهدم عربيته ، وحل الرابطة الإسلامية العربية ، وتفكيك الوحدة الشاملة .

وإذا كان جل العلماء كرهوا كتابته بالرسم الإملائي ، وحثوا على كتابته بالرسم العثماني ، فترجمته الحرفية التي فيها التعدد رسماً ولغة ومدلولاً أحق بالمنع وأجدر ، وقد أخرج الثلاثة وأبو داود ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ، نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، واستثنوا من ذلك نحو الآية والآيتين .

وفي كتب المالكية : حرم إرسال مصحف أو جزئه ما عدا آية أو آيتين لكافر خشية إهانته وإصابته بنجاسة ، أو نحو ذلك ، فالخير الآن كله في الانصراف عن ترجمته إلى ترجمة أحكامه الشرعية ، مع التعظيم للقرآن والتوقير للسنة ، أما الترجمة التفسيرية المعنوية لأحكامه ، فجائزة اتفاقاً بشرط التثبت في النقل والتحري لأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السنة ، فيكون تفسيراً موجزاً صحيحاً كافياً على قدر المستطاع ، ويعتبر بياناً لا قرآناً وتبليغاً لأحكامه لا معجزاً وتبياناً وينبغي أن يكون ذلك مقروناً ببيان حكم التشريع ومقاصده ، حتى

تتجلى للأعجمي محاسن الدين الحنيف ، وأسرار الشرع الشريف ، وبذلك تم حاجته ، وتمكن دعوته ، فإذا عرف المحاسن سمت نفسه لتعلم لغة القرآن ليتعبد بتلاوته ، هذا هو السبيل المشروع في الدعوة إلى الإسلام والصراط المستقيم لمن يبتغي الوصول لدار السلام ، وإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي سيدنا محمد ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » .

أما ما نسب للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه من جواز القراءة بالفارسية للعاجز عن العربية في الصلاة ، فقد ثبت عن أبي بكر الرازي وجماعة من الأصحاب رجوع الإمام عن ذلك إلى قول الصاحبين ، وعليه الاعتماد ، والمجتهد إذا رجع عن قول لا يعد ذلك القول المرجوع عنه قولاً ، لأنه لم يرجع عنه إلا بعد أن ظهر له أنه ليس بصواب .

وخلاصة البحث أن الخلاف في القراءة في الصلاة بغير العربية يرجع إلى مذهبين أولهما : أن ذلك محظور ، والصلاة بهذه القراءة غير صحيحة وهو مذهب الجمهور من أئمة الدين ، وثانيهما جواز القراءة بالأعجمية عند العجز عن النطق بالعربية

وهو مذهب الإمامين أبي يوسف ، ومحمد بن الحسن رحمهما
الله تعالى ، ولا يعد بجانب هذين الإمامين ما يعزى للإمام أبي
حنيفة من صحة القراءة بالفارسية ولو للقادر على العربية ،
لما عرفت من صحة رجوع الإمام عنه حكى هذا الرجوع
عبد العزيز في شرح البزدوي .

قال صاحب البحر المحيط : والذين لم يطلعوا على الرجوع
من أصحابه قالوا أراد به عند الضرورة والعجز عن القرآن ، فإذا
لم يكن كذلك امتنع ، وحكم بزندقة فاعله . وليس الإلحاد ممن
قدر أن يقرأ في الصلاة بالعربية فعدل عنها إلى الأعجمية ببعيد .
قال القاضي أبو بكر بن العربي ، وهو من فقهاء المالكية ،
في تفسير قوله تعالى :

(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ،
أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ؟) :

قال علماؤنا : هذا يبطل قول أبي حنيفة رضي الله عنه أن
ترجمة القرآن بإبدال اللغة العربية بالفارسية جائز لأن الله
تعالى قال :

(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ،
أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ؟) .

نفي أن يكون للعجمة إليه طريق فكيف يصرف إلى ما نفى
الله عنه ! ثم قال : إن التبيان والإعجاز إنما يكون بلغة العرب ،
فلو قلب إلى غير هذا لما كان قرآنًا ولا بيانًا ولا اقتضى إعجازاً .
وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : إن كان القارئ
قادراً على تلاوته باللسان العربي فلا يجوز له العدول عنه
ولا تجزي صلاته ، أي بقراءة ترجمته ، وإن كان عاجزاً .
ثم ذكر أن الشارع قد جعل للعاجز عن القراءة بالعربية بدلا
وهو الذكر .

وقال الشيخ ابن تيمية ، وهو من فقهاء الحنابلة في الرسالة
الملقبة بالسبعينية : وأما الإتيان بلفظ يبين المعنى كبيان لفظ
القرآن فهذا غير ممكن أصلاً ، وعلى هذا كان أئمة الدين ، على
أنه لا يجوز أن يقرأ بغير العربية لا مع القدرة عليها ولا مع
العجز عنها لأن ذلك يخرج عن أن يكون هو القرآن المنزل اهـ .
أما ترجمة الحديث النبوي فمسألة من فروع روايته بالمعنى

فما اتفق على منع روايته بالمعنى كالمشكل والمشارك والمجمل والمتشابه وجوامع الكلم أو المصنفات المسموعة ، كما نص على ذلك النووي في شرح مسلم فيمتنع ترجمته ، وما عدا ذلك فالأصح جواز روايته بالمعنى لعارف بما لا يحيل المعاني ، فتصح ترجمته بناءً على ذلك .

وإنما أطلنا الكلام في هذا المقام لأنه ظهرت في هذه الأزمان الأخيرة فتنة عمياء ومصيبة دهياء ، أصابت المسلمين في صميم الدين ، وذلك بالدعوة إلى ترجمة الكتاب المبين ، فقد أذاع راديو طهران إذاعة القرآن من ترجمة امرأة أمريكية تدعى كوك ، فغضب لهذا الخبر المشؤم علماء الدين ، واستنكر الأزهر الشريف ذلك ، وهذا تلاعب بالدين واستهتار بالقرآن ، فكان ذلك مقدمة لرفعه المذكور في الأخبار فمن مصوب جاهل ومن ناقد فاضل ومن ساكت متساهل والأمر لله منزل الكتاب . وللشاطبي في هذا المقام كلام نفيس ، فراجع إن شئت ، وفقنا الله لحفظ كتابنا العزيز ، إنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه والحمد لله رب العالمين .

عوداً إلى القرآن والسنة

الحمد لله رب العالمين ، الحكم العدل المعين ، أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي بعثه الله بالسنة النبوية النيرة العادلة التي هي لكل سعادة وخير شاملة ، وعلى آله الأطهار ، وصحابته الأخيار ، والتابعين لهم بإحسان إلى دار القرار .

أما بعد ، فإنَّ سرَّ نجاح المسلمين في وحدتهم وتضامنهم وتمسكهم بدينهم ، ورجوعهم إلى العمل بالكتاب والسنة ، فبذلك يُمكن الله لهم في الأرض ، ويستخلفهم ، ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، فقد قال الله تعالى في محكم كتابه المبين : (وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) . بهذا نصر الله الصحابة والسلف والصالحين ، وأيد الغزاة الفاتحين ، فنشروا الدين والأخلاق والفضيلة ، وهدموا الشرك والبدع والرذيلة ، وأنقذ الله بهم الإنسانية من كبوتها ،

وأيقظ النفوس بعد غفلتها ، وفتح بهم أعيناً عمياً ، وآذاناً صمّاً ، وقلوباً غلفاً ، وكانوا هداة مهتدين ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، رضي الله عنهم وأرضاهم . فالمسلمون اليوم يحتاجون إلى توعية عامة وثقافة دينية ، ليهتدي الضال ، ويتنبه الغافل ، ويعم السلام ، ويسود الإسلام ، وتستريح البشرية من العناء الذي أحاط بها ، وتحمد النفوس السرى عندما ترى بشائر الآمال تتحقق بفضل الاتّباع لهذا الدين المتين .

إن لدينا معشر المسلمين أصليين عظيمين ؛ هما مصدران كريمان للأحكام الشرعية ، الأول منهما : كتاب الله العظيم ، وصراطه المستقيم ، وحُجَّتُه البالغة ، وآيته الدامغة ، ومنهله العذب الراوي من ظمأ الجهالة ، والثاني : السنة النبوية المنيرة الشاملة لكل خير وسعادة للبشر في دينهم ودنياهم ، قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) .

هنا أقف بحضرة القارئ لهذه الآية الكريمة وقفة لطيفة عند قوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ) فإن لفظة (شيء) نكرة في

سياق الشرط وهو قوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ) فتفيد العموم .
فما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله
عز وجل وسنة رسوله ، ﷺ ، نصاً ظاهراً ، أو استنباطاً ، علم
ذلك من علمه ، وجهله من جهله ، ذلك لأن الشريعة المحمدية
أنزلها الله تعالى الذي خلق الزمان والمكان ، وعلم تطور الأحوال
والحوادث ، فراعى سبحانه وتعالى في تشريعها الأصول المرعية
والمصالح البشرية ، وهو العليم الحكيم .

وقد جعل الله تعالى الرجوع عند التنازع في أي أمر إلى كتابه
وإلى سنة رسوله ، ﷺ ، شرطاً في الإيمان ، فقال : (إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) .

ثم قرر الحق عز وجل خيرية الشرع فقال : (ذَلِكَ خَيْرٌ)
فهو كله خير محض لا شر فيه أبداً ، وبين حسن عاقبته
فقال : (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) يعني عاقبة في الدنيا والآخرة . فكل
من رد حكماً عند التنازع إلى غير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ،
ﷺ ، فليس بمؤمن بالله واليوم الآخر ، وذلك شر محض وأسوأ
عاقبة في الدنيا والآخرة .

فيا عباد الله ، لنرجع إلى كتاب الله ربنا وسنة نبينا ﷺ ،
فإن الله عز وجل قد نفى الإيمان عمَّن لم يحكم بكتاب الله تعالى
وسنة رسوله عند التشاجر في أي أمر ، فقال تعالى : (فَلَا
وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) .
وقد أكد تعالى هذا بتكرار أداة النفي والقسم فقال : (فَلَا
وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) . ثم شرط تعالى في هذا التحكيم أن يتقبلوه
بسعة صدرٍ وطيب خاطر من غير قلق أو اضطراب ، فإن
حصول الحرج والضيق عند ذلك من النفاق فقال عز وجل :
(ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ) . وقد أمر الله تعالى
بالانقياد انقياداً لا تردد فيه أبداً فقال : (وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) .

فهذه الآية الكريمة دليل على صلاحية الشريعة المطهرة لكل
زمان ومكان ، لأن منزلها هو الله الذي هو بكل شي عليم ؛ عليم
بمصالح عباده ، فشرع لهم ما فيه سعادتهم وصلاحهم ديناً
ودنيا ، ولذا قال تعالى : (حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)
و (ما) هنا موصولية ، وَصَلَتْهَا (شَجَرَ بَيْنَهُمْ) وذلك من
صِيَغِ العموم .

فمن قال : إن الشريعة أحكامها عتيقة ولا تصلح لكل زمان
ومكان ، ويحق استعاضتها بقوانين وَضَعِيَّةٍ ؛ مَنْ قَالَ ذَلِكَ فَهُوَ
كَاْفِرٌ قَانُونِي مَلْحِدٌ مُرْتَدٌ ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، قَدْ أَسَاءَ ظَنُّهُ
بِخَالِقِهِ الَّذِي أَنْزَلَ الشَّرِيْعَةَ عَلَى نَبِيِّهِ ، ﷺ ، وَابْتَغَى أَحْكَامَ
الْجَاهِلِيَّةِ مُعْرِضاً عَنِ أَحْكَامِ الرَّبِّ عِزًّا وَجَلًّا .

وقد أنكر الله سبحانه على هذا الصنف من الناس فقال تعالى :
(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ) . فقد وضحت هذه الآية الكريمة أنه لا حكم أحسن
من حكم الله تعالى ، ودلت هذه الآية أيضاً على أن قسمة الحكم
ثنائية ، فهو إما حكم الله العادل الواضح ، أو حكم الجاهلية
الجائر الفاضح ، فمن أعرض عن حكم الله تعالى وقع في أحكام
الجاهلية : شَاءَ أَمْ أَبَى ، وهذا من ضلال الشيطان ، وأعمال
النفاق ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : (أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ
قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ
يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيداً) .

فيا أهل القرآن ويا أمة محمد ، ﷺ ، ويا إخوتنا في الله ،

لا يجتمع الإيمان بالله ورسوله والتحاكم إلى غير القرآن والسنة
في قلب إنسان أصلاً ، لما بينهما من المنافاة ونهاية التضاد
(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

وانظروا وفقنا الله وإياكم إلى القوانين الوضعية كيف يحار
فيها واضعوها كل عام ، ويبدلون ويضعون اللوائح التفسيرية
تخصيصاً وتقييداً وتعقيباً وتذييلاً خشية التناقض . وصدق الله
تعالى إذ يقول : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اِخْتِلَافًا كَثِيرًا) . ولقد سجل الله على الحاكمين بغير ما أنزل
الله تعالى ، سجل عليهم الكفر والظلم والفسوق ، فقال تعالى :
(وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) .
وقال تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ) . وقال تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) .

فكل مَنْ حَكَمَ بغير ما أنزل الله فهو كافر وفساق وظالم .
وقد أمر الله تعالى نبيه الكريم بأن يحكم بما أنزل عليه ،

مُعْرِضاً عَنْ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ ، فَقَالَ تَعَالَى : (وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) . وَقَالَ
تَعَالَى : (وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) .

وقال تعالى مخيراً نبيه ، ﷺ ، بين الحكم بين اليهود
والإعراض عنهم : (فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ
وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمَ
بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) .

فيا معشر العقلاء ويا أيها القادة والرؤساء ، كيف ترضون
أن تجري عليكم أحكام وضعية بشرية خاطئة ممن يكون خطأهم
أكثر من صوابهم ؟ فهل تقبلون تحكُّمهم فيكم بمجرد
أهوائهم وآرائهم في دمائكم وأموالكم وأعراضكم وسائر حقوقكم
نقضاً وإبراماً ، وتتركون حكم الله الذي أنزله على رسوله الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد ؟ فكما لا يسجد الخلق إلا لله ولا يعبدون إلا إياه ،
ولا تجوز عبادة المخلوق ولا السجود له ، فكذلك لا يجوز

الانقياد لحكمه وهو ظلوم جهول ، أهلكته الشكوك والشبهات
واستولت عليه الغفلة ، واقرأوا قول الله تبارك وتعالى في وصف
المنافقين : (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى
فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ، وَإِذَا دُعُوا
إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ، وَإِنْ
يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ، أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ
ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ) .

الله أكبر ، ما أصدق هذه الآيات ، كأنها أنزلت اليوم ،
إذ تُصَوِّرُ أمراض المجتمع البشري ، وتصف عداء الملحدین
للأحكام الربانية ، وعدولهم عن الرسالة المحمدية .

وقد وصف القرآن الكريم حال المؤمنين المنقادين لأوامر الله
ورسوله ، المذعنين للأحكام الشرعية ، فقال تعالى : (إِنَّمَا
كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ يُطِعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) .

ولله در من قال في وصف القرآن الكريم :

تَاللّٰهِ لَوْ أَخَذَ الْأَنَامُ بِحِكْمِهِ
وَلَمَّا رَأَيْتَ مِنَ الْمَلَأِجِمِ مُرَّهَا
وَلَمَّا تَبَرَّجَتِ النَّسَاءُ لِفِتْنَةٍ
وَلَمَّا رَأَيْتَ مُذْكَرًا كَمُؤَنَّثٍ
وَلَمَّا فَشَّتْ فِي الْقَائِمِينَ وَسَاطَةٌ
هُمْ أَخْرَوْا رَبَّ الْحَقُوقِ وَقَدَّمُوا
وَإِذَا الْأُمُورُ لِغَيْرِ كُفٍّ وَسُدَّتْ
وَهُنَاكَ تَضْطَرُّبُ الْبِلَادُ وَتُحْدِثُ

لَسَمَوْا وَجَازُوا فِي الْمَدَى الْأَفْلَاكَ
وَمِنَ الْمَفَاسِدِ مَا تَرَاهُ دِرَاكَا
تَسْتَامُ فِي أَعْرَاضِهَا الْهَتَاكَ
وَمُؤَنَّثًا لِمَذْكَرٍ قَدْ حَاكَى
وَرَشَى أَرَأَيْتَ سَهْمَهَا الْفَتَاكَ
بِهِمَا عَلَيْهِ الْمُجْرِمَ الْأَفَاكَ
لَمْ تَلَفَ مِنْ إِشْكَالِهَا فَكَّاكَ
الْفَوْضَى وَيُعْقِبُ كُلُّ ذَاكَ هَلَكَ

اللهم انصر الشرع المبين ، وأيد الحكم بالكتاب والسنة
بين المسلمين ، وامحق الظلم والقوانين ، يارب العالمين ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

العناية بالقرآن المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على أفضل من اصطفى وعلى آله وأصحابه أهل الصدق والوفى وبعد جهد البحث يدور حديثنا على العناية بالقرآن المجيد .

قامت كل طائفة بفن من فنونه ، فاعتنى قوم بضبط لغاته ، وتحريير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه ، وعدد كلماته وآياته وسوره وأجزائه وأنصافه وأرباعه ، وعدد سجدياته ، والتعليم عند كل عشر آيات إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهات والآيات المتماثلات من غير تعرض لمعانيه ولا تدبير لما أودع فيه ، فسموا القراء .

واعتنى النحاة بالمعرب منه ، والمبني من الأسماء والأفعال ، والحروف العاملة وغيرها ، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها ، وضروب الأفعال ، واللازم والمتعدي ، ورسوم خط الكلمات ، وجميع ما يتعلق به ، حتى إن بعضهم أعرب مشكله ، وبعضهم أعربه كله .

واعتنى المفسرون بألفاظه ، فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى

واحد ، ولفظاً يدل على معنيين ، ولفظاً يدل على أكثر ، فأجروا
الأول على حكمه وأوضحوا معنى الخفي منه ، وخاضوا في
ترجيح أحد احتمالات ذي المعنيين والمعاني وأعمل كل فكرة .
وقال بما اقتضاه نظره .

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة والشواهد الأصلية
والنظرية مثل قوله تعالى :

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، فاستنبطوا منه أدلة على
وحدانية الله تعالى ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه
عما لا يليق به ، وسموا هذا العلم بأصول الدين .

وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي
العموم ، ومنها ما يقتضي الخصوص ، إلى غير ذلك ، فاستنبطوا
منه أحكام اللغات من الحقيقة والمجاز ، وتكلموا في التخصيص
والإضمار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر
والنهي والنسخ ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب
الحال والاستقراء ، وسموا هذا الفن أصول الفقه .

وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من
الحلال والحرام وسائر الأحكام فأثبتوا أصوله وفرعه ، وبسطوا
القول في ذلك بسطاً حسناً ، وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضاً .

وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السابقة والأمم
الخالية ، ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا
مبدأ الدنيا وأول الأشياء حتى سمو ذلك بالتاريخ والقصص .

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي
ترقق قلوب الرجال وتكاد تدك شوامخ الجبال ، فاستنبطوا مما
فيه من الوعد والوعيد ، والتحذير والتبشير ، وذكر الموت
والمعاد ، والنشر والحشر ، والحساب والعقاب ، والجنة والنار
فصولاً من المواعظ وأصولاً من الزواجر ، فسموا بذلك الخطباء
والموعظ .

واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ما ورد في قضية
يوسف في البقرات السمان ، وفي منامي صاحبي السجن ، وفي
رؤياه الشمس والقمر والنجوم وسموه تعبير الرؤيا ، واستنبطوا
تفسير كل رؤيا من الكتاب ، فإن عز عليهم إخراجها منه

فمن السنة التي هي شارحة للكتاب فإن عسر فمن الحكم والأمثال
ثم نظروا إلى إصلاح العوام في مخاطبتهم وعرف عاداتهم الذي
أشار إليه القرآن بقوله : (وَأُمِّرَ بِالْعُرْفِ) .

وأخذ قوم مما في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير
ذلك ، وسموه علم الفرائض ، واستنبطوا منها من ذكر النصف
والثلث والرابع والسدس والثلث حساب الفرائض ، ومسائل
العول واستخرجوا منها أحكام الوصايا .

ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة
في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج
وغير ذلك ، واستخرجوا منه علم المواقيت .

ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع
النظم وحسن السياق والمبادي والمقاطع والمخالص والتلوين في
الخطاب والإطناب والإيجاز وغير ذلك ، فاستنبطوا منه المعاني
والبيان والبديع .

ونظر فيه أرباب الإشارة وأصحاب الحقيقة فلاح لهم
من ألفاظه معان ورقائق جعلوا لها أعلاماً اصطلاحوا عليها من

الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والأنس والوحشة
والقبض والبسط ، وما أشبه ذلك .

هذه الفنون التي أخذتها الملة الإسلامية منه ، وقد احتوى
على علوم أخرى . والله در القائل في وصفه :

أَلَا إِنَّهُ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ وَغَيْرُهُ

مِنَ الْكُتُبِ أَنَّهُارٌ تَمُدُّ مِنَ الْبَحْرِ

* * *

من آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فضل رسوله على جميع خلقه وأدبه بآداب القرآن والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه .

وبعد ... فالقول هنا « من آداب تلاوة القرآن »

يحرم إتخاذ القرآن حرفة يسأل به عرض الحياة الدنيا فترى كثيراً ممن يحفظون القرآن يقرؤونه عند أبواب المساجد ، وفي الطرقات أو على أبواب البيوت أو في المقابر . يستعطفون الناس بالقرآن ، وهذه بدعة قبيحة يجب فيها بذل النصيحة ، وأمر ينشق له الصدر ، يضيع منزلة القارئ ، ويهين كتاب الله إهانة يخشى على فاعلها الخطر ، وفي الحديث الشريف كما في الترمذي ، عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه مر على قارئ يقرأ ، ثم سأل فاسترجع ، ثم قال : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول :

« مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَيْسَ سَأَلَ اللَّهَ بِهِ ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ » .

وقد روى الديلمي عن علي كرم الله وجهه أنه قال : من اقترب الساعة إذا تعلم علماؤكم ليجلبوا به دنائيركم ودراهمكم واتخذتم القرآن تجارة . وروى أبو نعيم والحاكم أن رسول الله ﷺ ، قال :

« يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِبَادٌ جُهَالٌ وَقُرَاءٌ فَسَقَةٌ » .

وروى أبو نعيم أيضاً عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ ، قال :

« سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دِيدَانُ الْقُرَاءِ ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُمْ » .

ويحرم أيضاً إخراج القرآن مخرج الغناء بحيث لا تفرق بين المغني على العود والقارئ فتراه يحرك حاجبيه وأهداب عينيه ، ويخرج الصوت من الأنف ويتكلف في القرآن تكلفاً حتى يخرجته عن ميزان العدل إلى رتبة الغناء والهزل ، إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل ، فالمطلوب من كل قارئ أن يقرأ القرآن كما قرأه رسول الله ﷺ ، وأصحابه بلحون العرب التي يعرفها علماء القرآن لا كما يقرؤه المتشبهون بأهل الكتاب ، روى الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان

عن حذيفة أن رسول الله ﷺ ، قال :

« اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الكتاب وأهل الفسق ، فإنه سيجيء بعدي قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم » .

والقرآن له أحكام تجويدية مشروعة نص عليها القراء كما روي السلف عن النبي ﷺ ، ومخالفها فاسق ، قال ابن الجزري :

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لآزِمٌ مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ آثِمٌ
لِأَنَّهُ مِنَ الْإِلَهِ أَنْزَلَ وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا

ويحرم أيضاً قراءة القرآن بحضرة من يشرب الدخان أو يستنشق تبغاً وفاعل ذلك ممقوت عند الله وعند المؤمنين . وبالجملة فيجب على القارئ أن يحافظ على منزلة القرآن ومكانته العظيمة كما يجب ذلك على السامع والله أعلم .

هذا ما فتح الله به وألهم ، وتفضل وأكرم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

من قصص القرآن

امتاز القرآن الكريم بأحسن القصص ، قال الله تعالى :
(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
هَذَا الْقُرْآنَ) .

وقد فاق القصص القرآني بنبل مقاصده وسمو غياته ودقة
مغزاه مما يدلنا على الخلق الكريم والعلم النافع والإيمان الصحيح
بأحسن بيان وأقوم سبيل ، أن القارئ المتدبر يمتلئ عظمة وإعتباراً
ويستعرض تاريخ الماضي فيعجب لما يمر به من مواكب المجد
والإصلاح للمصلحين ومواقف الخزي والنكال للمفسدين
فيزداد فؤاده ثباتاً ويقيناً .

قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام :

(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) .

لذلك كان لزاماً علينا معشر المؤمنين أن نتدبر قصص القرآن
ونتفهم أسرارها لأن الله تعالى نزل القرآن على عباده ليديروا
آياته وليتذكر أولو الألباب — ولما كان من وظائف يوم

الجمعة قراءة سورة الكهف لقوله ﷺ .

(مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ النُّورُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى) .

رأينا تفصيل بعض أسرار هذه القصة العجيبة التي تدل
على كمال قدرة الله ووحدانيته وعلى عظيم رعاية الله لأحبابه
واعتنائه بهم ، قال الله تعالى :

(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا
عَجَبًا) .

فهم فتية مؤمنون من أهل بلدة « افسوس » بقرب « طرسوس »
وقد زادهم الله هدى ، نظروا في ملكوت السموات والأرض ،
جالوا في رحاب الكون كله ببصائرهم السليمة ، حتى ضاعت
نفوسهم بنور التوحيد « وهدوا إلى الله منشىء الخلق واطمئنوا
إلى هذا الدين فقالوا :

رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ
قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ، هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً) .

اتخذوا الأصنام أرباباً يتقربون لها ويحتفلون بأعيادها

ليس لديهم برهان على صحة معتقدهم لقد جحدوا الحق بعدما تبين وافتروا الكذب على الله تعالى ثم اتفق الفتية على أن يكتموا الإيمان بين جوانحهم لأن الملك كان وثنياً ظهيراً للمشركين فذلك قوله تعالى .

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى^(١) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا^(٢) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا^(٣)) .

وكان أصحاب الكهف ابتداءً ستة نفر اجتمعوا على غير ميعاد ، تعارفت أرواحهم وتوافقت آراؤهم وألف بينهم صفاء العقيدة والإخلاص والإيمان وإن لم يكن بينهم نسب جامع . والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف ، فاتجهوا إلى الله عابدين منزهين قائلين أعود إلى الكفر بعد إذ هدانا الله وفي كل شيء آية تدل على وجوده وشاهد على عظمته ودليل على قدرته ، فربط الله على قلوبهم ، وثبتهم على الإيمان وكانوا من أشراف قومهم فشاع خبرهم وبلغ

الملك فهاج هائج وانتزعهم من بيوتهم فلما انتظم عقدهم بين يديه هددهم وأوعدهم ثم أمهلهم إلى الغد ليفكروا فخرجوا من عنده وذهبوا فارين بدينهم معتزلين بقومهم وما يعبدون من دون الله فوجدوا راعي أغنام ومعه كلبه فعرضوا على الراعي دينهم فأضاء له النور فأتبعهم وتفرقت الأغنام وطردها الكلب فأبى إلا اتباعهم فأووا إلى كهف ليستريحوا فيه من تعب المسير قائلين :

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) .

ورأوا ذلك الكهف الضيق أفسح مجالا وارحب صدرا من أرضهم الواسعة التي ضاقت عليهم بما رحبت في الجهر بعبادتهم والقيام بدعوتهم فضرب الله على آذانهم فأنامهم مدة ثلثمائة وبضع سنين ، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد الذي هو باب الغار وأعينهم مفتحة لئلا يذوب شحمها من طول الاطباق - ويد القدرة تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكلهم الأرض ، وتعاقبت الأعوام وهم راقدون لا تزعجهم زمجرة الرياح ولا يوقظهم قصف الرعود ، وتطلع عليهم الشمس فتزاور عن كهفهم ذات اليمين وتغرب فتميل ذات الشمال وهم

في فجوة منه ، ذلك من آيات الله تعالى فالشمس تعطيمهم
ضوءها وإشراقها ولكن أشعتها لا تصل إليهم لئلا تحرقهم
بحرارته وألقى الله عليهم الرعب ، فلو اطلعت عليهم لوليت
منهم فراراً وملكنت منهم رعباً .

فذلك قوله تعالى .

(وَإِذْ اَعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ اِلَّا اللّٰهُ فَاَوُوا اِلَى الْكُهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّ لَكُمْ مِنْ اَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ۝۱۱
وَتَرَى الشَّمْسَ اِذَا طَلَعَتْ تَزَاوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَاِذَا
غَرَبَتْ تَقْرِبُضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ
آيَاتِ اللّٰهِ مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
وَلِيًّا مُرْشِدًا ۝۱۲) وَتَحْسَبُهُمْ اَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْبُهُمْ
ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ
اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَكَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلَّمْتَهُمْ رُعْبًا ۝۱۳) .

وكان ابتداء مدتهم قبل مبعث المسيح عليه السلام ، ثم بعثه
الله ورفعته إليه وبذل الكفر بالإيمان ، وبعثهم الله من نومهم
آخر النهار ، وكان دخولهم فيه أول النهار فجلسوا كهيئتهم

يوم دخلوه لا ينكرون من ألوانهم تغيراً ظانين أن الزمان لم
يمض بهم وأن عجلة الزمان واقفة عند كهفهم فقال بعضهم
لبعض : كم لبثتم ، فأجابه الآخر : لبثنا يوماً أو بعض يوم :
وقال الثاني : دعوا هذا ربكم أعلم بما لبثتم ! قد آلمنا الجوع
وأحسسنا بالتعب فابعثوا أحدكم بدراهمكم ليشتري لنا طعاماً
زكياً من هذه المدينة وليكن هذا الرسول فطنا حذراً لئلا يطلع
على خبرنا أحد ، فإنهم إن اطعوا علينا وعرفوا مكاننا يفتنونا
عن ديننا أو يرجموننا ولن نفلح بعد ذلك أبداً فدخل رسولهم
المدينة ومأ راعه إلا تغير معالمها ، خرائب أمست قصوراً
وقصور صارت أطلالا ووجوه لم يعرفها ، كثرت لفتاته
وتأملاته ، ودفع لبائع الطعام دراهمه فنقدها متعجبا ودعا
الناس فاجتمعوا حوله متعجبين متحيرين ؟ نقود ضربت قبل
ثلثمائة عام هذا غريب فحسبوا أنه عشر على كنز فطالبوه به
وهم بالهرب فأخذوه إلى الملك فقال له : والله ما أدري ما أقول
لكم وما شأني ؟ هذه مدينتي ووطني وبها أهلي ولم أجد كنزاً
ولكنها دراهمنا ... فتعجبوا من أمره إذ علموا أنه أحد الفتية
الأشراف الذين فقدوا قبل ثلثمائة عام وذهب الملك والناس

إلى كهفهم للقائم فرأوا قوماً تشرق بالحياة وجوههم فعانقوهم وكان ذلك يوماً مشهوداً وموقفاً عظيماً ودعاهم الملك إلى قصره فقالوا وما نبغي بالحياة ؟ قد فقد الأهل والولد وخلت الديار وتوجهوا إلى الله طالبين اختيارهم لجواره تعالى . وعلم القوم أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ثم تنازعوا ، ما الذي يصنعونه بهم بعد أن أماتهم الله فمنهم من رأى أن يبني عليهم بنيان ، ومنهم من رأى أن يسد عليهم كهفهم ويجعل بجانبهم مسجد ، دلالة على إيمانهم ؛ فغلب أهل هذا الرأي الأخير ، فذلك قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا . إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ، فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا .

وفي هذه القصة الجليلة فوائد وأسرار منها أن التفكير في ملكوت الكون يرشد إلى وحدانية صانعه وهو الله عز وجل ، ومنها أن من قدر على سلب الشعور من النائم في منامه ثم رده إليه بعد يقظته قادر على إعادة الأجساد ورد أرواحها إليها .

وصدق الله وحده :

(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) .

وذلك على الله يسير ، ومنها ، قوة الإيمان بالقضاء والقدر .
فانظر - رعاك الله - كيف قدر الله لأهل الكهف الهداية
وأحاطها باللطف والرعاية ، فسبقت لهم السعادة والعناية ،
في زمن لا نبي فيه ولا كتاب ؟ وكيف قضى على ابليس بالغواية
كونه مقدماً في الملاء الأعلى ! ؟ .

(ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ
فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) .

ومنها وجوب الهجرة لمن خاف الفتنة في دينه فالله تعالى
إذا أراد اجتناء عبد عامله بالفضل وأوصله لمقام الأبرار في
ساعة من نهار ، فإن أصحاب الكهف آمنوا وزادهم الله هدى
فحازوا مقام الإيمان ثم اعتزلوا قومهم فحازوا مقام الهجرة
ثم أووا إلى الكهف ففازوا بمقام التوكل فمن انقطع إلى الله
آواه ، ومن فوض إليه أمره كفاه ومن توكل عليه تولاه ،
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .
فاز كلب بحب أصحاب كهف كيف أشقى بحب دين النبي .

هذه قصة أصحاب الكهف أجل دليل وأسطع برهان على
عناية الله بأحبابه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

* * *

الهجرة

من الدروس النبوية

أيها المسلمون الكرام : سجل التاريخ منذ أربعة عشر قرناً
حادثاً عظيماً جليل الخطر عظيم الأثر انتصاراً لدين الله وإحتفاظاً
بالحق أن يضيع بين قوم لم يقيموه ، لأن التقليد غطى على
عقولهم ، وقد مضت سنة الله في عباده، أن الانقلابات العظيمة
سبقت دائماً بهجرة أبطالها من أوطانهم إلى أرض أخرى ،
فهذا الخليل عليه السلام هاجر إلى مصر وها هو عليه السلام
خرج من مصر إلى مدين ثم خرج بقومه من مصر إلى فلسطين ،
وكذا المسيح عليه السلام ترك وطنه الناصرة وجال في أنحاء
فلسطين مصلاً ومرشداً ومن قبله يوسف عليه السلام فارق
وطنه ونزل مصر عزيزاً مكرماً ونبيّاً من الصالحين ، نشأ الدين
الإسلامي بين قوم من عبدة الأوثان فحاربوه وقاوموا الداعي
إليه مقاومة جبارة ، فاتجه الإسلام إلى بلد آخر يكون أوفر
أمناً وأعظم راحة ، فاستقبله الأنصار ولبوا دعاءه فصارت
المدينة دار الإيمان ، وهاجر المسلمون زرافات ووحدانا إلى
المدينة إلا المستضعفين الذين حيل بينهم وبين الهجرة ،

فكانت الهجرة فاتحة خير على العرب والإسلام ، وقد أصبحت المدينة معقل الدين وملجأ المسلمين وعمل الرسول فيها على إقامة شعائر الإسلام فبنى مسجده الشريف وآخى بين المهاجرين والأنصار وبلغ أحكام الإسلام وصار المسلمون كالبنيان المرصوص أيها السادة : كانت الهجرة النبوية مظهراً رائعاً من مظاهر الجهاد والتضحية ، لذا اتخذ المسلمون من الهجرة تاريخاً يؤرخون به الحوادث لأنها فاتحة عصر جديد في الحياة الإسلامية عامة وفي الحياة العربية خاصة ، فقد دبر الأعداء قتل النبي ﷺ ، ولكن الله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق هو خير الماكرين ، فقد أبطل تدبيرهم وخيب تقديرهم ، وعصم الله الإنسانية بخير نفس حياة وأغلاها ، وأكرم نفس وأتقاها من أشنع جريمة عرفها التاريخ فأوحى الله إلى نبيه الكريم الخطة التي بيتوها ، وأمره بالهجرة إلى البلد الذي ينمو فيه غرسه ويشرف أفاقه ، - الله أكبر - ما أضعف حيلة الإنسان أمام بأس الجبار القوي المتين :

« وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا » .

فقد استطاع النبي ﷺ ، في حماية الله ورقابته اختراق
سور السيوف المصلثة ، والرماح المشرعة الذي ضرب به شباب
قريش الأقبياء حول بيته ، وأن ينفذ إلى الصديق وخلصا إلى
غار ثور ، وهنا تقف الدنيا خاشعة وترقبه واجفة منتظرة نهاية
هذا الصراع بين الحق والباطل ، ويتساءل ضمير هذا الكون
أفينصر الحق ويعلو الدين ؟ ويسمو التوحيد فتحل عبادة الله
مكان عبادة الأوثان وتقوم الحرية والعدالة ، مكان العبودية
والطغيان ، أم تكون الأخرى يفضل الضمير الإنساني ويسود
البلاء والفتن ويرد القدر الجواب الحاسم ، لقد كتب الله
للإسلام أن ينصر وللشرك أن يندحر في هذا الغار الضيق في
ذلك الجبل الأجرد في تلك الليلة الخالدة ، في تلك اللحظة
الرهيبة يتقرر مصير الإسلام ويهيئ الله للإنسانية أن تنال
كرامتها وترد عزتها ويقضي الله للعقل الإنساني أن يكسر أغلاله .
ويودع خسارته ووباله ، ويستقبل سعيه ومجده ، وهذا أسد
التوحيد سالماً يدخل المدينة فتهتز لقدمه طرباً وتم هجرته
المباركة .

أَشْهَدُتَ أَحْمَدَ يَوْمَ هَاجَرَ أَحْمَدُ يَطْوِي الضَّلَالَ وَيَنْشُرُ الْإِسْلَامَا

إِذْ جَاءَ يَحْمِلُ بِالْيَمِينِ هِدَايَةً لِلْعَالَمِينَ وَفِي الشَّمَالِ حُسَامًا
فَغَزَا بِشِرْعَتِهِ الضَّمَائِرَ قَبْلَمَا يَغْزُو بِحَدِّ حُسَامِهِ الْأَجْسَامَا
كَانَتْ مَبَادِئُهُ الْقَوِيمَةُ فَيَلْقَا يَغْزُو بِهِ الْأَفْكَارَ وَالْأَوْهَامَا
فَإِذَا بَتَّيْجَانِ الْمُلُوكِ وَإِنْ عَلَتْ أَقْدَارُهُمْ مِنْ حَوْلِهِ تَتْرَامِي

« في شهر رجب » :

الإسراء والمعراج

كلما أهل علينا شهر رجب الحرام نتذكر فضل الله العظيم
على نبينا محمد خاتم النبيين وواسطة عقد المرسلين إذ خصه
الله بنعمتي الإسراء والمعراج وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل
الله عليه عظيماً .

الإسراء - رحلة قدسية أرضية بدايتها المسجد الحرام ونهايتها
المسجد الأقصى ، وهما مسجدان مقدسان مهبطان للوحي ومعهدان
للنبوة التي كانت ولا تزال مصدر سعادة الكون وهدايته وهنائه .
المعراج رحلة سماوية قدسية بدايتها المسجد الأقصى إلى
السموات العلى ومنها إلى سدرة المنتهى ، للمستوى الأعلى حيث

دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى « فسمع صرير الأقلام
وناجاه الرب العظيم وفرض عليه الصلوات وأمهه بالأنوار
والنفحات .

وتتلخص رحلة الإسراء في سرى النبي ، ﷺ ، ليلاً من
المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على البراق وكان معه جبريل
وميكائيل فأخذوا سمت الطريق إلى المدينة إلى مدين إلى طور
سيناء حيث كلم الله موسى بن عمران عليه السلام إلى بيت لحم ،
حيث ولد المسيح عليه السلام ثم انتهوا إلى بيت المقدس وقد
أطلعهم الله أثناء ذلك السرى على أمثلة من عالم الأسرار والمثال
ضربت لأنواع شتى من الحكم والحقائق التي ينتهى إليها بما
يجري في عالم الظاهر من شئون العباد ، وكان عليه السلام
يسأل جبريل عن مغازيها فيكشف له سرها ، ولما وصل
النبي ، ﷺ ، إلى بيت المقدس ازدهر بمقدمه الميمون حفل
الأنبياء والمرسلين فصلى بهم إماماً ، وفي ذلك يقول أمير الشعراء :

أَسْرَى بِكَ اللهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكُهُ

وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ

لَمَّا خَطَرَتْ بِهِ التَّفَوُّا بِسَيِّدِهِمْ
كَالشُّهُبِ بِالْبَدْرِ أَوْ كَالجُّنْدِ بِالْعَلَمِ
صَلَّى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي خَطَرٍ
وَمَنْ يَفُزْ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِمَمَ

وتتلخص رحلة المعراج في صعوده عليه الصلاة والسلام إلى السموات السبع يدخلها واحدة واحدة حتى بلغ السابعة وفي كل سماء يلقى واحداً أو اثنين من أعلام الأنبياء والمرسلين ، فلقي في الأولى آدم وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة إدريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة موسى وفي السابعة إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ، ثم إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام ثم قربه الله وأدناه وناجاه ، وفرض عليه خمسين صلاة ، ثم أشار عليه موسى بمراجعة ربه وسؤاله التخفيف ، ويحط الله تعالى عنه منها حتى بلغت خمساً في العدد ولكنها خمسون في الأجر والثواب فأمضى أمر ربه ورضي وسلم ، وفي ذلك يقول أمير الشعراء :
جُبَّتِ السَّمَاوَاتِ أَوْ مَا فَوْقَهُنَّ بِهِمْ عَلَى مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللَّجْمِ

مَشِيئَةُ الْخَالِقِ الْبَارِي وَصَنَعَتُهُ وَقُدْرَةُ اللَّهِ فَوْقَ الشَّكِّ وَالتُّهْمِ
حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُ لَهَا عَلَى جَنَاحٍ وَلَا يَسْعَى عَلَى قَدَمٍ
وَقِيلَ كُلُّ رَسُولٍ عِنْدَ رُتْبَتِهِ وَيَا مُحَمَّدُ هَذَا الْعَرْشُ فَاسْتَلِمِ

* * *

ولقد أخبرنا النبي ، ﷺ ، بنبأ إسرائه ومعراجہ ، فبين أنه
لم يبلغ ذلك بقوته ولكنه أضاف ذلك إلى الرب القاهر الذي
هو على كل شيء قدير . ومعلوم أن قدرة المخلوق مهما عظمت
فهي محدودة ، وأما قدرة الخالق فهي مطلقة عظيمة لا يعجزها
أحد لأنه أقام سنن الوجود على سنن الحق فلا يمازجها باطل
أو كذب ، وهو العزيز الحكيم المنزه عن العيب والإهمال في
شئون الوجود ، فلا يدع الكاذب يفترى ويظهر مظهر الصادق
المبعوث منه حقاً بل لا بد أن يكشف تلبيس المفترى حتى تكون
عاقبته الفشل وليكون عبرة وتبصرة ، كما قال تعالى :

(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) .

على هذا مضت سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد
لسنة الله تحويلاً .

وقد نزه الله سبحانه نفسه عن العجز فيما يريد تنفيذه من
شؤون الكون فقال :

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) .

وبين حكمة الإسراء فقال :

(لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) .

وهي إطلاع الرسول على عجائب القدس وآيات الملكوت ،
ثم تواعد تعالى الجاحدين الذين لم يعطوا شأن الرسول حقه من
الإنصاف والتأمل فأنذرهم بأنه يسمع ويرى محصياً عليهم
ما يصدر منهم من المعارضة والعناد فقال :

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

فقد بينت الآية الكريمة الإسراء الذي هو عنوان الحوادث
تلك الليلة العظيمة واعتبر المعراج نهاية لتلك الحوادث
الكبرى فطوى ذكره هنا ليذكره بخصوصه مفصلاً في فاتحة
سورة (النجم) وفي الأحاديث الصحيحة الثابتة لأن الإسراء
والمعراج وقعا متصلين معاً في ليلة واحدة يقظة بروحه وجسده ،

ﷺ ، وذلك لأن الله تعالى يقول :

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) والعبد اسم لمجموع الجسد

والروح .

وقال تعالى : (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) .

وقال تعالى : (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) .

وقال تعالى (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) .

وقال تعالى : (أَفْتُمَّا رُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) .

وقال تعالى : (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) .

فانظر متأملاً كيف وقع التعبير في هذه الآيات بالرؤية وعدم
طغيان البصر والتدلى مما يدل على أن الإسراء والمعراج حقيقتان
ثابتتان في اليقظة لا في المنام ، ولو كانا منامين ما كان فيهما
عجب ولا غرابة ، ولا كان هناك مجال للتكذيب ، ولما افتتن
بهما ناس من ضعفاء الإيمان ، فارتدوا على أعقابهم كافرين ،
ولذا قال تعالى :

(وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) .

وما روي عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مما

يوهم إنكار ذلك فقد أجيب عنه بأن في الأسناد انقطاعاً ،
 وبأنه ، عليه السلام ، لم يدخل بها إلا بعد الإسراء والمعراج فكان
 قولها اجتهاداً ، وبأن غيرها مثبت مقدم على النافي ، وبأن
 رواية الجمع مقدمة على رواية الفرد ، وكذا ما روي في حديث
 شريك « فقد أجاب عنه المحدثون بأن شريكا وهم فيه مع
 مخالفته لسائر الروايات الثابتة .

وختاماً فهذه قصيدتي : (تحية للإسراء والمعراج) .

قَبَسُ مِنْ ضَوْءِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ	شَعَّ فِي أَفْقِ الْهُدَى لِلنَّاظِرِينَ
فَاسْتَبَانَ الْحَقَّ أَرْبَابُ النَّهْيِ	وَبِهِ صَارُوا هُدَاةً مُهْتَدِينَ
مَلَوْوا الْآفَاقَ عِلْمًا وَهُدًى	وَمَضَوْا فِيهَا غُرَاةً فَاتِحِينَ
وَعَدَا الظُّلْمُ صَرِيحًا خَاسِيًا	عِنْدَمَا أَشْرَقَ عَدْلُ الرَّاشِدِينَ
رَوْضَةُ الْقُرْآنِ صَافٍ ظِلُّهَا	وَجَنَاهَا قَدْ دَنَا لِلْقَاطِفِينَ
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا زَاهِيَةً	فَادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ
يَا بَنِي الْإِسْلَامِ سَعِيًّا نَجِّنِي	حِكْمَةَ الدِّينِ وَإِشْرَاقَ الْيَقِينِ
نَدْرُسُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ مِنْ	هُدْيِ نَوْرِ الْكَوْنِ يَسِ الْأَمِينِ
جَلَّ مَنْ أَسْرَى بِهِ سُبْحَانَهُ	مِنْ حِمَى الْبَيْتِ مَعَ الرُّوحِ الْأَمِينِ

شَهْدَ الْأَسْرَارِ فِي ذَاكَ السَّرَى
 فَسَلِ الْمِحْرَابَ عَنْهُ سَاجِداً
 وَسَلِ الْمِعْرَاجَ عَنْهُ رَاقِياً
 قَدْ سَمَا لِلْمُسْتَوَى الْأَعْلَى إِلَى
 خَاطَبِ اللَّهِ وَأَدْنَاهُ فَكُمْ
 هَذِهِ الْآيَاتُ يَسْمُو سِرُّهَا
 مُعْجِزَاتُ خَالِدَاتٍ نُورُهَا
 أَعْرَضَ الْجُهَالُ عَنْهَا فَعَمُوا
 لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوْا أَنَّ السَّنَا
 وَأَتَى الْأَقْصَى فَأَمَّ الْمُرْسَلِينَ
 فِي حِصَاً يَغِيْطُهُ الدُّرُّ الثَّمِينُ
 فَوْقَ هَامِ الْمَجْدِ وَضَاءَ الْجَبِينِ
 قَابِ قَوْسَيْنِ بَعِزْمٍ لَا يَلِينُ
 نَالَ مِنْ فَضْلٍ وَتَأْيِيدِ مَكِينُ
 تَنْشُرُ الْحِكْمَةَ مِنْ أَسْمَحِ دِينُ
 تَشْرَفُ الدُّنْيَا بِهِ فِي كُلِّ حِينُ
 وَيَحْتَهُ لَمَّا تَوَلَّوْا مُعْرِضِينَ
 قَدْ فَرَى الظُّلْمَاءُ بِالنُّورِ الْمُبِينُ

* * *

يَا بَنِي الْإِسْلَامِ سَعِيًّا لِلْعَلَى
 فَانْهَضُوا لِلْمَجْدِ حَقًّا وَخُذُوا
 قَوْمُوا الْأَخْلَاقَ وَارْزَعُوا حَقَّهَا
 وَأَقْبِلُوا مِنِّي ثَنَاءً عَاطِراً
 وَدُعَاءً كَلَّمَا رَتَلْتُهُ
 وَصَلَاةً اللَّهُ تَغْشَى الْمُصْطَفَى
 إِنَّكُمْ جُنْدُ إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ
 رَايَةَ الْعِلْمِ بِدَاراً بِالْيَمِينِ
 وَانصُرُوا الدِّينَ وَحَيَّوْا الْمُصْلِحِينَ
 كَأَرِيحِ الزَّهْرِ أَوْ كَالْيَاسِمِينَ
 قَالَتْ الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا : آمِينَ
 وَعَلَى الْآلِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

ساعة الجمعة وآداب الدعاء

أيها السادة : قد وردت في فضل هذه الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة أحاديث كثيرة صحيحة ، واختلف في تعيينها العلماء اختلافا كثيرا ، قال الإمام المنذري رحمه الله تعالى : روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : هي من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ومن بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس وقال الحسن البصري وأبو العالية : هي عند زوال الشمس ، وثم قول ثالث وهو أنه إذا أذن لصلاة الجمعة ، روي ذلك عن عائشة رضي الله عنها ، وروي عن الحسن البصري أنه قال هي إذا قعد الإمام على المنبر حتى يفرغ ، وقال أبو بردة : هي الساعة اختار فيها الصلاة ، وقال أبو السوار العدوي : كانوا يرون الدعاء مستجابا ما بين أن تزول الشمس إلى أن يدخل في الصلاة ، وقول سابع وهو أنها ما بين العصر إلى أن تغرب الشمس كذا قال أبو هريرة وبه قال طاوس وعبد الله بن سلام رضي الله عنهم ، ورأي بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ، وغيرهم أن الساعة التي ترجى بعد العصر إلى أن

تغرب الشمس وبه يقول الإمام أحمد وإسحق ، وقال أحمد
أكثر الحديث في الساعة التي ترجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد
صلاة العصر قال وترجى بعد الزوال ثم روى حديث عمر بن
عوف وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله ، ﷺ ، ذكر يوم الجمعة فقال :

(فِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ
اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا) .

وروى مسلم وأبو داود عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه قال : قال لي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
أسمعت أباك يحدث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول :

(هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ)

وإلى هذا القول ذهب طوائف من أهل العلم ، وعن عمرو بن
عوف المزني رضي الله عنه عن النبي ، ﷺ ، قال :

« إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يَسْأَلُ اللَّهُ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ »
قال يا رسول الله أية ساعة هي قال :

(هِيَ مِنْ حِينَ تَقَامُ الصَّلَاةُ إِلَى الْانْصِرَافِ مِنْهَا)

وروى أبو داود والنسائي عن جابر رضي الله عنه عن النبي
عليه الصلاة والسلام قال :

(يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً ، لَا يُوجَدُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ
الْعَصْرِ) .

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله
في كتاب الله تعالى في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن
يصلي يسأل الله فيها شيئاً إلا قضى الله حاجته ؟ قال عبد الله
فأشار إلى رسول الله ، ﷺ ، أو بعض ساعة فقلت صدقت
أو بعض ساعة قلت أي ساعة هي ؟ قال آخر ساعات النهار
قلت إنها ليست ساعة صلاة قال بلى إن العبد إذا صلى ثم
جلس لم يجلسه إلا الصلاة فهو في صلاة رواه ابن ماجه وإسناده
على شرط الصحيح ، فعليك يا أخي أن تتنبه لأوقات هذا اليوم
المبارك صباحا وعند جلوس الإمام على المنبر إلى أن تقضى
الصلاة ، وبعد العصر إلى المغرب وتكثر فيها من الدعاء والذكر
وطلب المغفرة والرضوان .

أيها المسلمون : قال النبي ، ﷺ :

« سَلُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ » .
وأفضل العبادة انتظار الفرج ، فعلىنا أن ندعو ربنا مبتهلين
إليه مترصدين أوقات الإجابة كيوم عرفة وشهر رمضان من
الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات
الليل . قال تعالى :

(وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) .

كما ينبغي مراعاة الأحوال الشريفة كما عند زحف الصفوف
في سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات
المكتوبة وبين الأذان والإقامة وحالة السجود ، وينبغي للداعي
أن يكون مستقبل القبلة متفرغاً خاشعاً راهباً قال تعالى :

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) .

ومن آداب الدعاء أن يلح الداعي في الدعاء ويكرره ثلاثاً
وأن لا يستبطئ الأجابة وأن يفتح الدعاء بذكر الله تعالى
وأن يجزم بالدعاء ويوقن بالإجابة فقد قال ﷺ :

« لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَعَا ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ،
اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ ، فَإِنَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ » .

ومن الأدب الباطن للدعاء وهو الأصل في الإجابة التوبة ورد

المظالم والاقبال على الله عز وجل بتوجيه الهمة فذلك هو السبب

القريب في الإجابة :

يَا رَبُّ هَبْنِي لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ الْعُظْمَى لَنَا سَدًّا

وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا فَالْعَبْدُ يَعْجِزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا

أَنْتَ الْعَلِيمُ وَقَدْ وَجَّهْتُ مِنْ أَمَلِي إِلَى رَجَائِكَ وَجْهًا سَائِلًا وَيَدَا

قدوم رمضان المبارك

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

نحن المسلمون أهل الشريعة المحمدية نعتنق والحمد لله أشرف دين ونتبع أسمي كتاب سماوي مقدس ونؤمن بأفضل نبي ورسول ، نستقبل الآن شهر رمضان المبارك سيد الشهور وموسم الخيرات ونبتدي بتوفيق الله صيامنا الواجب علينا الله تعالى عز وجل خاشعين خاضعين متبتلين إليه تعالى بقهر النفس البشرية التي طغت وبغت وكادت من كبرها تنسى أصلها حتى قلبت العالم رأساً على عقب ، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون للناس من بين سائر الشهور شهر مبارك يقضون بياض نهاره في عبادة الصيام ويضيئون سواد ليله بقربة القيام واختار تعالى أن يكون شهر رمضان هو هذا الشهر المبارك الذي تؤدي فيه هذه العبادات ذات الحكمة السامية والثواب العظيم ولما يترتب على الصيام من إصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق ، جعل فريضة في القواعد التي يقوم عليها الإسلام ، فشهر رمضان

مشرق شمس القرآن الذي هو منار الهداية ، ومنبع السعادة .
« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ
مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ » .

ألا وإن شهر رمضان أنزل فيه كتاب كريم يملاً العقول حكمة
والقلوب طهارة ، لذو طلعة مباركة ، ومقدم كريم ، ومن
مزايا هذا الشهر أنه الزمان الذي أنزل فيه القرآن إلى سماء
الدنيا جملة واحدة أولاً ليلة القدر ثم تنزل نجومها مفرقاً على
حسب مقتضيات الأحوال والمناسبات والوقائع ، ومن مزايا
هذا الشهر المبارك أنه كانت فيه غزوة الفتح الأعظم وبهذه
الغزوة الشريفة علت كلمة الإسلام في البلاد ، وعلى أساسه
قامت الفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب ، فرض الله صيام
رمضان في السنة الثانية من الهجرة في المدينة لعشر خلون من
شعبان بعد أن تدرج الشارع الحكيم في فروض الإسلام من
الصلاة إلى الزكاة إلى الصيام لأن الصوم أشق التكاليف على
النفوس فهو المانع لها عن الشهوات والفاطم لها عن المأوفات
فلما توطنت النفوس على التوحيد وألفت الصلوات في الجماعات
ودانت لله تعالى بالزكوات والصدقات ، شرع تعالى لها الصيام

تصفية لها ، وقمعاً لشهواتها ، فالصيام يربي في الصائم ملكة الصبر وقوة الإرادة والوفاء بالعهد ، كما أنه ينمي فيه عاطفة الرحمة ، فإن من ذاق ألم الجوع والظماً في بعض الأوقات ذكر إخوانه الفقراء والمساكين الذين حالهم الفقر والاضطرار في عموم الأوقات ، فعطف عليهم بسرعة وواساهم بما أمكنه من المساعدة وبهذا الشعور السامي يكون الصائم قد صام رمضان إيماناً واحتساباً فيغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولا يتحقق الصيام الكامل بمجرد الجوع والعطش بل لابد من الإمساك عن الشهوات ظاهرة وباطنة بغض البصر عن كل منظر محرّم وبحفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والفحش والخصومة وكف السمع عن الإصغاء للمحارم وكف القلب عن كل ما يشغل عن الله تعالى وكف بقية الجوارح عن الآثام وكف النفس عن النهم في الطعام محاطاً جميع ذلك برجاء الله تعالى في قبول العبادة لعله يتقبل صيامه فيجزيه الجزاء الأوفى فالصيام رياضة للنفس وتصفية للقلب من الكدر وإعداد للتقوى التي هي المقصد الأسمى ولذا قال تعالى :

« لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

فمن راض نفسه على ترك الشهوات المحببة إليه طبعاً امتثالاً
 لله وخضوعاً لسلطانه راغباً عن أحب الأشياء إليه مع أنه حر
 في نفسه ليس عليه رقيب إلا مولاه الذي لا يعزب عنه شيء ،
 من راض نفسه على ذلك تنمو عنده ملاحظة العليم الخبير
 ومراقبة الرقيب البصير ، فتكون المراقبة له ملكة في العبادات
 فتؤمله تلك الملكة لكل أعمال الخير وتبعده عن أعمال الشر
 فلا يهضم لأحد حقاً ولا يقول إلا صدقاً فلا ينم ولا يفسد ،
 ولا يرائي ولا يكذب فيسعى جهده لكل الفضائل ويتخلق
 بأخلاق صاحب الرسالة ، ﷺ ، ويهتدي بهديه الشريف .
 والصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله ، ﷺ :

(الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ وَالصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ)

واختص الصيام بباب في الجنة يقال له باب الريان ، يدخل
 منه الصائمون فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد ، وميز الله
 الصيام بنسبته إليه فقد جاء في الحديث القدسي :

(الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي)

فالصائم يعطي أجره أضعافاً ويكال له الثواب جزافاً .

« إِنَّمَا يُوفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

وهذا شأن العطاء الإلهي إذا اضيف إلى الوهاب الكريم لا يحد ولا يحصر فالصيام مرقاة نورانية ومشكاة روحانية لمن أراد أن يستنير في عالم الملكوت وإنارة للنفس البشرية يتلقى الفيوضات القدسية واصلاح للصحة وازهاب للفضلات المعدية وإراحة للآلات الجسمانية والصائم الكامل فرد من المجتمع المؤلف من الأفراد وإذا كانوا فضلاء كان المجتمع فاضلاً وتلك غاية الغايات قال الشاعر يغفر الله له .

جَزَاءُ الصَّوْمِ لِلصَّوَامِ جَنَّةٌ وَتَصْفِيْدُ لُمْرَادٍ وَجَنَّةٌ
وَإِنَّ نَبِيَّنَا قَدْ قَالَ فِيهِ أَلَا صُومُوا فَإِنَّ الصَّوْمَ جَنَّةٌ

هذا وقد أظننا شهر عظيم مبارك فيه ليلة القدر خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم ومن تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضته كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزداد فيه الرزق من فطر فيه صائماً كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره

شيءٌ ومن خفف عن مملوكه أو خادمه فيه غفر الله له وأعتقه وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، تفتح فيه أبواب الجنات وتغلق فيه أبواب النيران وتغل فيه الشياطين ينادي فيه مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ، وفيه يستجاب الدعاء وتتنزل الرحمات وتحط الخطايا وينظر الله فيه إلى تنافس الصائمين فيباهي بهم الملائكة فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقي من حرم رحمة الله فيه : قال عبد العزيز بن مروان : كان المسلمون يقولون عند حضرة شهر رمضان « اللهم قد اظلنا شهر رمضان وحضر فسلمه لنا وسلمنا له وارزقنا صيامه وقيامه وارزقنا فيه الجهد والاجتهاد والقوة والنشاط ، وأعدنا فيه من الفتن ما ظهر منها وما بطن والحمد لله رب العالمين .

رمضان مدرسة الهداية والتقى

الحمد لله الذي خصنا معشر الأمة المحمدية بصيام شهر رمضان وأكرمنا فيه بإنزال القرآن والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان وعلى آله وصحبه وسلم ومن تبعهم بإحسان أما بعد فهذا شهر عظيم مبارك قد أقبل علينا باليمن والسعادة ، شهر الصيام والقيام ؛ شهر القرآن والإحسان شهر العتق والفوز ، فأهلاً به ومرحباً ؛ حياه الله من موسم كبير يجب أن نستقبله بتوبة صادقة ونيات صالحة وأعمال خالصة تائبين من ذنوبنا مقلعين عن المعاصي عازمين على اصلاح القلوب والأعمال والأحوال لنحظى ببركاته ونفحاته ونسعد بأسراره وأنواره .

رَمَضَانُ أَقْبَلَ مَرْحَبًا بِقُدُومِهِ طُوبَى لِمَنْ فِيهِ يَفُوزُ وَيَرْغَبُ
رَمَضَانُ مَدْرَسَةُ الْهَدَايَةِ وَالتَّقَى وَالْمَكْرَمَاتِ وَكُلِّ خَيْرٍ يُطَلَبُ

فالصيام عبادة تهذيبية يراد بها تربية الروح وتقويمها وطبعتها على الصبر والجلد والبر والعطف ومن أجل هذا كان عبادة مشتركة في الأديان السماوية قال الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ

عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ .

وذلك لأن الأديان ترمي إلى تهذيب النفوس وكبح شهواتها وتقويم عاداتها والصيام من أقوى الوسائل لبلوغ هذه الغاية النبيلة غير أنه تختلف أوضاعه وطرقه على حسب تفاوت النفوس في توجيهاتها الخلقية مراعى في ذلك تطبيق المصالح في كل زمان ومكان كما تقتضيه حكمة اللطيف الخبير ، الله أكبر ما أعظم شهر الصيام يحتفل الله به في السموات إظهاراً لفضله وإشادة بجزيل ثوابه ، فتفتح لقدمه أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران وتصفد فيه الشياطين وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ، ما أعظم هذا الاحتفال الرباني بهذا الشهر المبارك ، إنه لموسم القرب والرضا ، إنه متنزل المغفرة والرحمة ، فيه تتجلى المجاهدة للنفس ؛ وتتحقق المراقبة لله السميع البصير ، حيث يمك الصائم عن ملاذه ويفطم نفسه عن شهواته خوفاً من الله الذي يعلم به ويراه في سره ونجواه ولذا جاء في الحديث القدسي :

« يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي . »

ولعل هذا هو سر الجزاء الأوفى الذي جعله الله له ، وسر إضافته إليه لقد فرض الله صيام رمضان على عباده فخيرهم بادئ ذي بدء بين الصيام والإطعام على سنة التدرج في التكليف الشرعية فقال :

« وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ » .

فلما ألفتة النفوس وتهيات للالتزام به وأشرقت لها أسرار تشريفه حتم سبحانه الصيام عليهم قادرين مقيمين فقال تعالى :

« فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » .

وعذر المريض والمسافر والحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما فرخص لهن في تركه مع إيجاب القضاء تحقيقاً لسماحة هذا الدين الحنيف ويسره الملموس فقال تعالى .

« فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » .

الصيام درس روحي مفيد يتلقاه الصائم تطبيقاً طيلة شهر كامل ثم يتأثر به فيستمر وعيه محافظاً على الصبر والمراقبة سائر العام وبذلك يتدرج في مدارج السعداء الذين رضي الله

عنهم ورضوا عنه فكم من فوائد خلقية للصيام وصحية بالنسبة للأفراد والجماعات يحتاج شرحها إلى تفصيل طويل فياله من فضل سابغ ومنة ضافية وفيض دفاق يتناسب مع عظمة الباري الذي شرع الصيام ويتكافأ مع إيمان الصائم وصدق عزمته وقوة إرادته فيستدر سحب الرحمات وتتنزل عليه النفحات والبركات ، وذاك هو الصيام الحقيقي الذي يحفظ فيه الرأس وما وعى والبطن وما حوى ويذكر الموت والبلى ويؤثر الآخرة على الدنيا فذاك هو الصائم الحقيقي والاتجاه المحمود والروحانية الزاخرة التي يحدث فيها للصائم أجر القلب ونعيم الضمير ذاك هو العمل المبرور الذي يؤتي أكله وتثمر ثمرته أما إذا كان الصيام مجرد إمساك عن الطعام والمشرب والشهوة مع ارتكاب المحارم وانتهاك الجرائم وإطلاق اللسان في السباب والغيبة وإرسال الطرف ناظراً حيث شاء فذاك صيام ظاهري صوري وإن كان مجزئاً في اسقاط الواجب عند السادة الفقهاء ، غير أنه لا يترتب عليه أسراره من رفع الدرجات وتكفير السيئات والفوز بعظيم الهبات بل هو تعذيب للنفس ولا يكون حجاباً من النار ولا وقاية من الشهوات بل يكون وبالاً على صاحبه

وحسرة وندامة إلى يوم القيامة ولذا قال ﷺ .

« مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْكَذِبِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » . وروى عنه أيضاً « رَبِّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » .

ولذا قيل :

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصَاوُنٌ

وَفِي بَصَرِي غَضٌّ وَفِي مَنْطِقِي صَمْتُ

فَحَظِّي إِذَا مِنْ صَوْمِي الْجُوعُ وَالظَّمَا

وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمِي فَمَا صُمْتُ

وقال الآخر :

لَا تَجْعَلَنَّ رَمَضَانَ شَهْرَ فُكَاهَةٍ حَتَّى تُقْضَى بِالْجَمِيلِ فُنُونُهُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَنْ تَفْغُوزَ بِأَجْرِهِ حَتَّى تَكُونَ تَصُومُهُ وَتَصُونُهُ

نضرع إلى الله أن يوفقنا لصيامه وقيامه على الوجه الذي به

يرضى عنا والحمد لله رب العالمين .

السواك للصائم

قال الإمام أبو عبد الله البخاري تعليقاً ويذكر عن عامر بن ربيعة قال : رأيت النبي ﷺ ، يستاك وهو صائم ما لا أحصي أو أعد . وقال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

(لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ)
ويروى عن جابرٍ وزيدِ بنِ خالدٍ عنِ النبي ﷺ ، وَلَمْ يَحْصُ الصَّائِمَ عَنْ غَيْرِهِ وَقَالَتْ عَائِشَةُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : (السَّوَاكُ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ) .

وقال عطاء وقتادة يبتلع ريقه والقول بمشروعية السواك برطب أو يابس لصائم أو غيره في كل حال هو قول الجمهور وكرهه الشافعي بعد الزوال للصائم من أجل الحديث في خلوف الصائم .

المضمضة والاختسال للصائم من الحر

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال عمر رضي الله عنه هَشَشْتُ يَوْمًا فَقَبِلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ فَأَتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ ،

فَقُلْتُ صَنَعْتُ الْيَوْمَ أَمْرًا عَظِيمًا قَبَلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

(أَرَأَيْتَ لَوْ تَمَضَّمْتِ مِنَ الْمَاءِ وَأَنْتَ صَائِمٌ ؟ قُلْتُ
لَا بَأْسَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ ، ﷺ فِيهِ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَعَنْ
أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ :
(رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ وَهُوَ
صَائِمٌ مِنَ الْعَطَشِ وَمِنَ الْحَرِّ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

ويكره للصائم أن يبالغ في المضمضة والاستنشاق لحديث
لقيط بن صبره الذي رواه أصحاب السنن وهو قوله ، ﷺ :
(وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً) .

إذا أصبح صائماً وهو جنب

أجمع العلماء على أن من أصبح جنباً من وطئ كان فيه قبل
طلوع الفجر وقد بيت نية الصوم أن صومه مجزي . صحيح
فعن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال يا رسول الله : تدركني
الصلاة وأنا جنب أفأصوم ؟ فقال رسول الله ، ﷺ :
(وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنْبٌ فَأُصُومُ) .

فقال الرجل : لست مثلنا يا رسول الله لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ﷺ :

(وَاللَّهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي) .

رواه مسلم وأبو داود وعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما :

(أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ جِمَاعٍ غَيْرِ اخْتِلَامٍ ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ) .

متفق عليه وزاد مسلم في حديث أم سلمة ولا يقضى .

ما جاء فيمن فطر صائماً

وفضل الصائم الذي يؤكل عنده ...

عن زيد بن خالد رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال :

(مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ

أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ) رواه الترمذي . وقال حديث حسن صحيح .

وعن أم عمارة بنت كعب الأنصارية رضي الله عنهما أن

النبي ﷺ ، دخل عليها فقدمت إليه طعاماً فقال : كلي فقالت :

إني صائمة فقال رسول الله ﷺ :

(إِنَّ الصَّائِمَ تَصَلَّى عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّى
يَفْرُغُوا وَرُبَّمَا قَالَ حَتَّى يَشْبَعُوا) .

رواه الترمذي وقال حديث حسن .

دعاء الآكل للمأكول عنده

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، جاء إلى سعد بن
عبادة رضي الله عنه فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبي ﷺ :
(أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلَّتْ
عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ) .

رواه الترمذي وأبو داود بإسناد صحيح .

السحور من الليل

عن أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما قال : تسحرنا
مع رسول الله ﷺ ، ثم قام إلى الصلاة قلت : كم كان بين
الأذان والسحور قال : قدر خمسين آية رواه الشيخان . وعن
أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً) . رواه الشيخان .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رجل من أصحاب رسول
الله ﷺ، قال دخلت على النبي ﷺ، وهو يتسحر فقال :
(إِنَّهُ بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمْ اللهُ إِيَّاهَا فَلَا تَدْعُوهَا) رواه النسائي .
وعن علي رضي الله عنه قال دعاني رسول الله ﷺ، إلى
السحور في رمضان فقال .

(هَلُمَّ إِلَى الْغِذَاءِ الْمُبَارَكِ) . رواه أبو داود والنسائي .

* * *

« حديث الصيام »

« لاول العشر الأواخر في رمضان »

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله واسع الفضل والإحسان ومضاعف الحسنات لذوي الإيمان ، الكريم الذي تَأْذَنُ بالمزيد لذوي الشكران ، والصلاة والسلام على أفضل أنواع الإنسان وعلى آله وأصحابه .

أَيُّهَا السَّادَّةُ : نحن الآن في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك وهذه العشر أفضل أيام رمضان وهي التي أقسم الله عز وجلَّ بها فقال : (وليال عشر) وفيها ليلة القدر خير من ألف شهر وهي حقيقة ادخرها الله تعالى لهذه الأمة المحمّدية وقد كانت له ، ﷺ ، في العشر الأواخر من رمضان وظائف خاصة . فمنها أنه كان عليه الصلاة والسلام يشد مئزره ويدع أهله تجرداً للعبادة وإقبالاً على الطاعة واغتناماً لفرصة هذا الوقت العظيم فهو يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره ومن وظائف العشر أيضاً إحياء الليل كله ، وقد كان ، ﷺ ، يخلط العشرين من رمضان بصلاة ونوم ، فإذا كان العشر الأواخر

شمر وشد المئزر ، ولم يذق غضاً ، ومن وظائفه في العشر الأواخر أنه كان يوقظ أهله للصلاة ، ولم يدع أحداً من أهله يطيق القيام للصلاة ، إلا أمرهم بالقيام . وكان يغتسل كل ليلة من العشرين ، ومن وظائف العشر أنه ، ﷺ ، كان يتطيب بأحسن طيب ، لديه ، ويلبس أحسن ثيابه ، استعداداً لمناجاة ربه عز وجل ، تهيؤاً للقيام بين يديه .

أما ليلة القدر فهي ليلة عظيمة القدر ، من نال بركتها فقد فاز ، ومن حرم خيرها فهو المحروم ، وينبغي أن يكون اجتهاد الصائم في نهارها كاجتهاده في ليلها ، ومن أعلى مراتب إحيائها أن يحيي الليل كله في صلاة وقرآن وطواف وصلاة وسلام على النبي ، ﷺ ، ويكثر الدعاء بطلب العفو والعافية ، فيقول : اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني ، وروى البيهقي في سننه أن النبي ، ﷺ ، ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر ، قال : فعجب المسلمون من ذلك ، قال : فأنزل الله تعالى ، إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر أي التي لبس فيها ذلك الرجل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله

ألف شهر . وعن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه سمع من يثق به من أهل العلم أن رسول الله ، ﷺ ، أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر ، رواه في الموطأ ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من أصحاب النبي ، ﷺ ، رأوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر . فقال رسول ، ﷺ : أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحرياً فليتحرها في السبع الأواخر ، متفق عليه . ومعنى قوله فليتحرها فليطلبها ، أي فليكثر فيها من العمل الصالح ، واعلم أن من أمارة ليلة القدر أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها ، اللهم اكرمنا بإدراك ليلة القدر وأعظم لنا فيها المثوبة والأجر . واجعلنا من السعداء الفائزين والصائمين والفعالين إيماناً واحتساباً واجعلنا من المقبولين - أشهد أن لا إله إلا الله - استغفر الله وأسألك اللهم الجنة وأعوذ بك من النار . والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

خطبة عيد الفطر

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ
وَلِلَّهِ الْحَمْدُ . اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ
بِكْرَةً وَأَصِيلًا ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ
عَبْدَهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ .
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ،
اللَّهُ أَكْبَرُ . اللَّهُ أَكْبَرُ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ . اللَّهُ أَكْبَرُ
اللَّهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

أيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ الصِّيَامَ وَغَفَرَ لَنَا جَمِيعًا
مَا اجْتَرَحْنَاهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ ، وَجَعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْعَائِدِينَ
الْفَائِزِينَ بِالْقَبُولِ ، وَغَسَلَ ذُنُوبَنَا كَغَسَلِ الثُّوبِ بِمَاءِ الْقَطْرِ ،
فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ ، إِذْ أَتَمَّ عَلَيْنَا شَهْرَ الصَّوْمِ وَأَنَالَنَا عِيدَ الْفِطْرِ ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَلِتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ وَلِتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، فَلِكِ الْحَمْدُ يَا رَبَّنَا وَيَا مَوْلَانَا وَلِكَ الشُّنَاءِ
الْجَمِيلِ الْحَسَنِ ، إِذْ هَدَيْتَنَا لِلْعِبَادَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَرَزَقْتَنَا فِيهِ

القوة على الصيام والقيام ، فلك الحمد كما تحب وترضى يا أرحم
الراحمين .

أيُّها المؤمنون ليس العيد لمن لبس الجديد ، إنما العيد لمن آمن
بيوم الوعيد ، وليس الفرح لمن لبس الثياب الفاخرة ، إنما
الفرح لمن فاز برضاء مولاه في الدار الآخرة ، وما أحسن ما قيل:
ليس عيد المحب قصدُ المصلى وانتظار الأمير والسلطان
إنما العيد أن تكونَ لدى الله كريمةً مقرباً في أمان
ومما ينبغي أن يُعلم أن من الواجب المبادرة بإخراج زكاة
الفطر ، قبل الخروج إلى الصلاة ، فإن لم يستطع فليبادر
بإخراجها قبل غروب شمس هذا اليوم^(١) ، وزكاة الفطر ، صاع
من حب أو شعير أو تمر ، أو من زبيب أو إقط ، على كل حر
أو عبد ذكر أو أنثى صغير أو كبير من المسلمين .

ومن السنة صيام ست من شوال ، فقد جاء عن النبي ، ﷺ ،
أنه قال: من صام رمضان وأتبعه بست من شوال خرج من ذنوبه
كيوم ولدته أمه ، رواه الطبراني .

وروى مسلم بسنده عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله

١ - لا يجوز تأخير زكاة الفطر إلا لعذر مقبول أو لعدم وجودها فادرك العذر أو
وجد الفاضل أخرجه .

ﷺ ، قال : من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال كان كمن صام الدهر ، وللنسائي ، الحسنه بعشر أمثالها ، فشهـر بعشرة أشهر . وصيام ستة أيام بعد الفطر تمام السنه .

إخواني - يوم العيد يوم سعيد طوبى لمن قبلت فيه أعماله والويل لمن عمله عليه مردود ، فهو يوم يهنأ فيه المقبول ويعزى فيه المطرود . فاجتنبوا رحمكم الله فيه قبيح الأفعال والأقوال - واتقوا الله في شوال كما كنتم تتقونه في رمضان ، فرب الشهرين واحد ، وهو على الأعمال مطلع وشاهد ، وليحذر الذكور البالغون في هذا العيد وفي غيره من لبس الحرير والذهب ، فقد قال النبي ، ﷺ ، وقد أخذ حريراً فجعله باليمين وذهباً فجعله في شماله ثم قال : إن هذين حرام على ذكور أمتي حلّ لإناثها ، وقال ، ﷺ : من لبس الحرير في الدنيا من الرجال لم يلبسه في الآخرة ، ورأى رجلاً وفي يده خاتم من ذهب ، فنزعه وطرحه وقال له : يعمد أحدكم إلى جمرة من النار ، فيضعها في يده ، فقيـل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ، ﷺ ، خذ خاتمك وانتفع به ، قال : لا والله آخذه ، وقد طرحه رسول الله ، ﷺ . ؟

واحدروا رحمكم الله من إلقاء الحبل على الغارب للأطفال

والأولاد ، في العيد خشية أن تنهار أخلاقهم ، ولئلا يهدم ما بني من رعايتهم في البيوت والمدارس ، وذلك بسبب اختلاطهم بأهل الفساد والضلال ، كما أنه ينبغي على المسلم أن لا يضيق على من يعول في العيدين ، حسب إمكانه ، واستطاعته ، على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، بدون إسراف ولا تقتير ، واستوصوا رحمكم الله بالنساء والخدم خيراً وأجبروا خواطرمهم وأدّوا حقوقهم . وقد ورد أنه مر بعض الصالحين على شباب يلعبون يوم عيد الفطر بصورة غير لائقة فقال لهم : يا قوم إن كان صومكم قد قبل - فما هذا فعل الشاكرين ، وإن كان صومكم لم يقبل ، فما هذا فعل المحزونين ، فاتعظوا بكلامه ، وتركوا لهوهم وصاروا من الصالحين . اللهم كما بلغتنا شهر رمضان فاجعل اللهم عامه علينا من أبرك الأعوام ، وخلصنا من المظالم والآثام ، وبلغنا حج بيتك الحرام ، وانصر الإسلام والمسلمين وأصلح قاداتهم واجمع كلمتهم على الحق - وهيبى ، لنا من أمرنا رشداً - اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ . اللَّهُ أَكْبَرُ . وَلِلَّهِ الْحَمْدُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه .

حقوق الجار

أيها السادة ...

الجوار حقه عظيم والإحسان إلى الجيران من أجل أعمال الإيمان ، فلا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه وكان السلف الصالح رضي الله عنهم يعلمون صلاح الرجل وأهله بحسن جوارهم لمن حولهم ، ويسأل عن الرجل جيرانه فإن اثنوا خيراً كان ذلك دليلاً على أنه من أهل الخير المتبعين للسنن المتمسكين بالخلق الحسن ولا خير فيمن يبغضه جيرانه ، ومن سعادة المرء المسلم السكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني ولذا وصي الرسول ، ﷺ ، النساء خصوصاً بالإهداء إلى الجيران فقال :
(يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِحَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسِنَ شَاةً)

وقد كان من دعاء النبي ، ﷺ :

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمَقَامِ ، فَإِنْ جَارَ الدُّنْيَا يَتَحَوَّلُ) وقال الشاعر :
يَلُومُونَنِي أَنْ بَعْتُ بِالرُّخْصِ مَنْزِلِي
وَلَمْ يَعْلَمُوا جَاراً هُنَاكَ يُنْعَصُ

فَقُلْتُ لَهُمْ كُفُّوا الْمَلَامَ فَإِنَّمَا

بِجِيرَانِهَا تَغْلُوا الدِّيَارُ وَتَرْخُصُ

والجار الكافر له حق الجوار والجار المسلم له حقان حق

الإسلام وحق الجوار والجار المسلم القريب حقوقه ثلاثة حق

الإسلام وحق الجوار وحق القرابة . وإليكم من السنة التعليمات

النبوية المتعلقة بحقوق الجوار .

(الوصاة بالجار) حدثنا اسماعيل عن أبي أويس قال

حدثني مالك عن يحيى بن سعيد قال أخبرني أبو بكر بن محمد

عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ، قال :

(مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ) .

حدثنا صدقه قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن نافع بن

جبير عن ابن شريح الخزاعي عن النبي ﷺ ، قال :

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ .

وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ . وَمَنْ كَانَ

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) .

(حق الجار) حدثنا أحمد بن حميد قال حدثنا محمد بن فضيل عن محمد بن سعد قال سمعت أبا ظبية الكلاعي قال سمعت المقداد بن الأسود يقول سأل رسول الله ، ﷺ ، أصحابه عن الزنا قالوا حرام حرمه الله ورسوله فقال :

(لَأَنَّ يَزْنِيَّ الرَّجُلُ بَعْشَرَ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَّ بِأَمْرَأَةٍ جَارِهِ) .

وسألهم عن السرقة قالوا حرام حرمه الله عز وجل ورسوله فقال :

(لَأَنَّ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ آبِيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ) .

(الاهداء إلى الجار) حدثنا محمد بن سفال قال حدثنا يزيد بن زريع قال : حدثنا عمر بن محمد عن أبيه عن ابن عمر قال قال رسول الله ، ﷺ ، مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ، حدثنا محمد بن سلام قال أخبرنا سفيان ابن عيينة عن داود ابن شابور وابن اسماعيل عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو أنه ذبحت له شاة فجعل يقول لغلامه أهديت

لجارنا اليهودي سمعت رسول الله ﷺ ، يقول :
(مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ) .
حدثنا محمد بن سلام أخبرنا عن عبد الوهاب الثقفي قال :
سمعت يحيى بن سعيد يقول حدثني أبو بكر أن عمرة حدثته
أنها سمعت عائشة رضي الله عنها تقول سمعت رسول الله ،
يقول ﷺ ، يقول :

(مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتَ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ) .
(يَهْدِي إِلَى أَقْرَبِهِمْ أَبَا) حدثنا حجاج ابن منهال قال حدثنا
شعبة قال أخبرني أبو عمران قال سمعت طلحة عن عائشة قالت :
قلت يا رسول الله لي جاران فإلى أيهما أهدي ؟
(قَالَ : إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ أَبَا)

حدثنا محمد ابن بشار قال حدثنا محمد بن جعفر قال
حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني عن طلحة بن عبد الله رجل
من بني تميم بن مرة عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول
الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي ؟ قال إلى أقربهما منك بابا .
(الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى مِنَ الْعِيرَانِ) حدثنا الحسين بن حريث

قال حدثنا الفضل بن موسى عن الوليد بن دينار عن الحسن أنه سئل عن الجار فقال أربعين داراً أمامه وأربعين عن يمينه وأربعين عن يساره ، حدثنا بن محمد قال أخبرنا عكرمة بن عمار قال حدثنا علقمة بن بجاله بن زيد قال سمعت أبا هريرة قال ولا يبدأ بجاره الأقصى قبل الأدنى ولكن يبدأ بالأدنى قبل الأقصى .

(من أغلق الباب على الجار) حدثنا مالك بن اسماعيل قال حدثنا عبد السلام عن ليث عن نافع عن ابن عمر قال لقد أتى علينا زمان أو قال حين وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم سمعت النبي ﷺ ، يقول :
« كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . يَقُولُ يَا رَبِّ هَذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي فَمَنْعَ مَعْرُوفَهُ » .

(لا يشبع دون جاره) حدثنا محمد ابن كثير قال أخبرنا سيفان عن عبد الملك بن أبي بشير عن عبد الله بن المساور قال سمعت ابن عباس يخبر ابن الزبير يقول سمعت النبي ﷺ ، يقول :

« لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ . وَجَارُهُ جَائِعٌ » .

(يكثر ماء المرق فيقسم في الجيران) حدثنا بشر الصامت عن أبي ذر قال أوصاني خليلي ، ﷺ ، بثلاثة أسمع وأطع ولو لعبد مجدع الأطراف ، وإذا صنعت مرقة فأكثرها ، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف وصل الصلاة لوقتها ، فإن وجدت الإمام قد صلى فقد أحرزت صلاتك وإلا فهي نافلة . حدثنا الحميدي قال حدثنا أبو عبد الصمد القمي قال حدثنا أبو عمران عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال قال النبي ، ﷺ :

« يا أبا ذر إذا طبخت مرقة . فأكثر ماء المرقة . وتعاهد جيرانك . أو أقسم في جيرانك »

التحذير من الغش والتطيف

الحمد لله على أفضاله والشكر له على نواله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والسالكين على منواله . قال الله تبارك وتعالى :

« وَيَلُّ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ .

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

أخرج الإمام النسائي والبيهقي في شعب الإيمان أنه لما قدم
النبي ﷺ ، المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة وله صاعان
يكيّل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله تعالى :
« وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ » .

فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، وقال السعدي قدم النبي ﷺ ،
المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة وله صاعان يكيّل بإحدهما
ويكتال بالآخر فأنزل الله تعالى :

« وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » .

والتطفيف معناه تقليل الكيل أو الميزان ، والشئ الطفيف
يعني اليسير وهو من الكبائر الموجبة للعذاب واللعن ، يروى
أن أهل المدينة كانوا تجاراً يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة
والملامسة والمخاطرة فنزل قول الله تعالى فخرج رسول الله ﷺ ،
فقرأها عليهم وقال :

(خَمْسٌ بِخَمْسٍ) .

قيل يا رسول الله ما خمس بخمس ؟

(قَالَ مَا نَقُضَ قَوْمُ الْعَهْدِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ .
وَمَا حَاكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ . وَمَا
ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْمَوْتُ . وَلَا طَفَّفُوا الْكَيْلَ
إِلَّا مَنَعُوا النَّبَاتَ . وَأَخَذُوا بِالسِّنِينَ . وَلَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا
حُبِسَ عَنْهُمْ الْقَطْرُ . وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا) .

أخرجه البيهقي وأخرجه سعيد بن منصور عن سلمان رضي الله
تعالى عنه قال : إنما الصلاة المكيال فمن أوفى وفي له ومن طفف
فقد سمعتم ما قاله الله تعالى في المطففين فالواجب عليك أيها
الأخ المسلم أن تستعمل العدل في معاملتك لإخوانك ؛ فلا تغش
أحداً ولا تستعمل مكيالاً غير مضبوط ولا موازين مغشوشة ،
ولا شك أن البيع والشراء من ضروريات الحياة ولا يمكن الاستغناء
عنها ولما هاجر رسول الله ﷺ ، إلى المدينة وأشرقت أنواره
زال الجهل وعم العدل وحسن الفعل فأرشد أهل المدينة وأصلح
الله أحوالهم به فاستقامت المكيال والموازين وصلح أمر الدين ،
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ :

(إِنَّكُمْ قَدْ وُلِّيتُمْ أَمْرًا فِيهِ هَلَكَتِ الْأُمَّةُ السَّابِقَةُ قَبْلَكُمْ)
رواه الترمذي ، والحاكم .

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال (القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة ثم قال يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله فيقال أد أمانتك فيقول أي ربي كيف وقد ذهبت الدنيا قال فيقال انطلقوا به إلى الهاوية فينطلق به إلى الهاوية وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها فيهوي في أثرها حتى يركبها فتحمل على منكبيه حتى إذا أنظر ظن أنه خارج زكت على منكبه فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين ثم قال الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأشياء عدها وأشد ذلك الودائع قال يعني زادان فأتيت البراء بن عازب فقلت ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود قال كذا قال كذا قال : صدق أما سمعت الله يقول :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) .

رواه البيهقي موقوفاً ورواه غيره مرفوعاً والموقوف أشبه .

ففي هذا الحديث طلب رد الأشياء المودعة في الذمة كما هي

كاملة مستوفاة كالمحافظة على تأدية الصلوات في أوقاتها وإعطاء
الأمانات إلى أربابها وقول الحق بلا خوف ولا وجل وأداء
الشهادة كما رأى وتحقق بلا تحريف ولا تغيير وفي احترام
الملك العام كالشوارع ولا يتعذر عليها وفي أداء الرسالة
كما كلف بإيصالها إلى وجهها بلا زيادة ولا نقصان وحسن
المعاملة وفي التجارة بنصح التاجر وإظهار عيوب السلعة وتوفية
الكيل والميزان وفي الصناعة بصدق الصانع في ميعاده واتقان
صنعتة ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ، ﷺ ، مر
على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال :

(مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ . قَالَ : أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ ، مَنْ
غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)

رواه مسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول
الله ، ﷺ :

(مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا . وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ فِي النَّارِ) .

رواه الطبراني بإسناد جيد وعن صفوان بن سليم أن أبا هريرة

رضي الله عنه مر بناحية الحي فإذا إنسان يحمل لبناً يبيعه فنظر إليه أبو هريرة فإذا هو قد خلطه بالماء فقال له أبو هريرة كيف بك إذا قيل خلص الماء من اللبن رواه البيهقي ، وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال بايعت رسول الله ، ﷺ ، على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم رواه الشيخان ، وروي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ، ﷺ ، قال :

قال الله عز وجل (أَحَبُّ مَا تَعَبَّدَنِي بِهِ عَبْدِي النَّصْحُ لِي) .

رواه أحمد يعني امثال أوامره عز وجل ، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ، ﷺ :

(مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ . فَلَيْسَ مِنْهُمْ . وَمَنْ لَمْ يُضْبِحْ وَيُمْسِ نَاصِحاً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَإِمَامِهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ) رواه الطبراني .

التحذير من التشاؤم بشهر صفر

أيها السادة : ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي ، ﷺ ، أنه قال :

(لَا عَدْوَى . وَلَا هَامَةٌ . وَلَا صَفَرَ)

ومراد النبي عليه الصلاة والسلام نفي ما كان أهل الجاهلية
عليه من تشاؤمهم بشهر صفر فكانوا يتشاءمون به فلا يزوجون
فيه أحداً ولا يتشاركون فيه أبداً ولا يسافرون فيه أيضاً فأبطل
النبي ، ﷺ ، ذلك كله ، ذلك لأن التشاؤم من الطيرة التي
نهى الشارع عنها وعدّها من أعمال الشرك ومن عوائد المشركين
وقواعد الجاهلية ، وقد حكاها الله تعالى عنهم فقال :

« قالوا اطيرنا بك وبمن معك . قال : طائرُكم عند الله بل
أنتم قوم تفتنون »

وحكاها أيضاً عن قوم فرعون فقال :

« وإن نصبهم سيئة يطيروا بمُرْسَى ومن معه ، ألا إنما
طائرهم عند الله . »

فليس للزمان والمكان فعل ولا تأثير بل الله الفاعل المختار
 ويفعل ما يشاء ويختار وما الأزمنة والأمكنة إلا ظروف ،
 وقوالب فمن ملاًها بالعمل الصالح فاز ونجا ، ومن ملاًها
 بالسيئات خاب وخسر فهذه الساعات تمر بك سراعاً وهي لك
 خزائن تختم على ما فيها من خير وشر فاحرص على أن تكون
 خزائنك إذا فتحت يوم القيامة على رؤوس الأشهاد مملوءة
 بالصالحات ، واحذر أن تخزي يومئذ قال الله تعالى :

« يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ . لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ . »

وقال أبو عبد الله مالك بن أنس رحمه الله : الأيام أيام الله
 لا تعادوا الأيام فتعاديكم .

« فَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ . لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ
 وَهُمْ يُسْأَلُونَ . (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ . وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا
 وَاحِدَةٌ كَلَمَحٍ بِالْبَصْرِ) . (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) .
 « قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
 حَدِيثًا ؟ » .

وقد كان من عادة العرب في الجاهلية نسبة الأعمال للدهر

فيمدحونه تارة ويذمونه تارة أخرى ، وقد نهى الشارع عن نسبة شيء إلى الدهر وبين أن الدهر مخلوق مسخر ، بيد الخلاق العليم ، إنما ينسب ابن آدم الأعمال للدهر من جهله وعناده فقد جاء عن النبي ، ﷺ ، أنه قال :

يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ وَآنَا الدَّهْرُ)

ولله در القائل :

نَعِيبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وَمَا لِي زَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا
وَنَهَجُو فِي الزَّمَانِ بِكُلِّ عَيْبٍ وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ إِذَا هَجَانَا

وكثير من الجهال يتشاءمون بالأيام كيوم الأربعاء ، وقد روي أنه يوم نحس مستمر في حديث لا يصح . عن جابر رضي الله عنه أن النبي ، ﷺ ، دعا على الأحزاب يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر قال جابر فما نزل بي من أمرهم غائظ ، إلا توخيت ذلك الوقت فدعوت الله فرأيت الإجابة ، وكثير من العوام يتشاءمون بشهري صفر وشوال فلا يملون فيه عقد نكاح ولا يقيمون فيه زفافاً وهذا أيضاً من عوائد الجهل وقد ورد

الشرع بإبطاله قالت عائشة رضي الله عنها : تزوجت رسول الله ،
 ﷺ ، في شوال وبني بي في شوال فأبي نساءه كانت أحظى عنده
 منها وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال .
 وتزوج النبي ، ﷺ ، أم سلمة في شوال ومجمل القول أنه كان
 من هدي النبي ، ﷺ ، أنه يكره التشاؤم وينهى عنه وكان
 يحب الفأل الحسن ، وفي مراسيل أبي داود أن النبي ، ﷺ ، قال :

« لَيْسَ عَبْدٌ إِلَّا سَيَدْخُلُ قَلْبُهُ طَيْرُهُ . فَإِذَا أَحْسَسَ بِذَلِكَ
 فَلْيَقُلْ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ
 إِلَّا اللَّهُ . وَلَا يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ . ثُمَّ يَمْضِي بِوَجْهِهِ » .

وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه عن عبد الله بن عمر
 رضي الله عنهما عن النبي ، ﷺ ، قال :

(مِنْ رَجَعْتُهُ الطَّيْرَةَ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَكَفَّارَةٌ ذَلِكَ
 أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ . وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ .
 وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ) .

أيها السادة : الله هو الفاعل لما يشاء ولكنه جعل أسباباً للعذاب

وأَسباباً للرحمة ، فأَسباب العذاب يخوف الله بها عباده ليتوبوا إليه ويتضرعوا إليه مثل كسوف الشمس والقمر والزلازل والفيضانات والحروب والأعاصير وغير ذلك ، وقد جاء في حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً « لا تسبوا الليل والنهار ولا الشمس ولا القمر ولا الريح ، فإنها رحمة لقوم وعذاب لآخرين » ، فمن اتقى الضرر بعد انعقاده بحصول الأسباب المنهي عنها فإنه لا ينفعه ذلك غالباً كمن ردت الطيرة عن حاجته خشية أن يغيبه ما تطير به فإنه كثيراً ما يصاب بما خشي منه كمن اتقى الطاعون الواقع في بلده بالفرار منه فإنه قل أن ينجيه ذلك .

قال الشاعر :

مَا نِلْتُ خَيْرًا مَا بَقَيْتُ وَلَا عَدَانِي الدَّهْرَ شَرُّهُ
 إِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّهُ

إرشاد وتوجيه

نحن الآن في مستهل العام الجديد والطالع السعيد تفتح
مدارسنا أبوابها وتستقبل طلابها ويبدأ موسم الدراسة العلمي
فمرحباً بأبنائنا أفلاد أكبادنا وأهلاً بطلاب العلم الشريف ،
إن الأمة تعلق عليكم الأمل فأنتم أبناء اليوم وأبطال المستقبل .

أَبْنَاءَ الْمَدَارِسِ إِنَّ نَفْسِي تُوَمِّلُ فِيكُمْ الْأَمَلَ الْكَبِيرَا
فَسَقِيَا لِلْمَدَارِسِ مِنْ رِيَاضٍ لَنَا قَدْ أَنْبَتَتْ مِنْكُمْ زُهُورَا

أيها السادة : إن الواجب العلمي يقضي علينا أن نعنى بتعديل
مناهجنا وإصلاح كياننا الثقافي وتوجيه النشء إلى ما فيه
صلاحهم وفلاحهم ديناً ودنياً والاهتمام بأمر الأخلاق والأخلاق
هي أهم الواجبات ، فالعلم تاجه الخلق الحسن ولا ثمرة في ثقافة
مجردة عن الأخلاق بل ولا تعد في الحقيقة ثقافة ، ولا خير
في متعلم لا خلق له وليست الأخلاق أرقاماً مجردة عن المعنى
في شهادات وأوراق ولكنها حسن المعاملة وتحمل الأذى وحسن
الجانب وتوقير الكبير وإنصاف الزميل والرحمة بالصغير
ومراعاة قوانين الآداب إن طالب العلم لا يبارك الله في علمه

ولا يبلغه أمله إلا إذا تآدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ، ومع
 أساتذته الذين هم خلفاء الرسول ﷺ. والنية الصالحة أساس
 كل خير وملاك السعادة ولا بد من الاجتهاد والمذاكرة فقد أقبل
 موسم الدراسة الجديد يظهر فيه العامل ويفوز فيه المجد ويسعد
 فيه الأديب فعلينا أن نتأهب مستعدين بحفظ المتون وسهر
 الليالي في طلب العلم والفوائد وإدراك الفنون واقتناص
 الشوارد والإخلاص في الطاعة والبعد عن الآثام فقد قال الإمام
 الشافعي رضي الله عنه :

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
 وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي

فالعلم خشية ووقار ومعرفة واعتبار إنما يخشى الله من عباده
 العلماء .

قال حافظ رحمه الله :

لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ مَا لَمْ يُتَوَجَّ رَبُّهُ بِخَلْقِ
 فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا جَاهٌ وَذَلِكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ

فعلى المدرسين والمديرين والرؤساء والأولياء أن يهتموا في

تربية النفس بغرس الأخلاق فإنه الدرس النافع المفرد الذي يكفل لنا نجاح العلم ورفي الشعب وصلاح المستقبل ، إن أعظم شهادة عالية يحملها الطالب هي الوسام الذهبي الخالد والكفاءة العلمية العملية عند دخوله ميدان الحياة والعمل ، تلك الشهادة الحقيقية التي يحملها هي الأخلاق . والواقع يؤيد ذلك فكم من حامل شهادة ليس لديه من الكفاءة ما يثبت تصديقها وتحقيقها فكان خطراً على المجتمع وفتنة لنفسه وكم من طالب تراه كسولاً لاعباً فإذا ما أُطل عليه الاختبار جد واجتهد ليتحصل على الشهادة ويفوز بالنتيجة ثم بعد الاختبار يعود للعبه وكسله ولو واصل الاجتهاد لكان قرة عين المدرسة ومطمح آمال الشعب ورجل العلم والعمل وعنوان المجد والأمل .

قال الشاعر :

صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَتَقْوَمُ النَّفْسُ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِيمُ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِيمِ

المساجد بيوت الله

إن المساجد بيوت الله تعالى فمن عظم جلال الله في قلبه كان مصلحاً لها خاشعاً إذا دخلها ، أما من ضعفت في قلبه عظمة الله فإنه يتجراً على بيوته تعالى فلا يطهرها ولا يعتني بعمارتها وإقامة الذكر فيها قال تعالى :

(وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) وقال تعالى :
« إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَأَقَامَ الصَّلَاةَ . وَآتَى الزَّكَاةَ . وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ . فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ » .

وأخرج الترمذي وحسنه عن النبي ، ﷺ ، قال :
« إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ » .
قال الله عز وجل :

« إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » .
وروي الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله ، ﷺ ، قال :
« مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ . ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ

فَهُوَ زَائِرُ اللَّهِ وَحَقُّ الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ .

وفي الصحيحين عن رسول الله ، ﷺ :

« مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزْلًا فِي الْجَنَّةِ ،
كَلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ . وَالنُّزْلُ مَا يُهَيَّأُ لِلضَّيْفِ مِنْ طَعَامٍ وَنَحْوِهِ .
فَمَنْ أَتَى أَحَدًا فِي بَيْتِهِ قَدَّمَ لَهُ نُزْلًا كَمَا هِيَ عَادَةُ الْكِرَامِ مِنْ
النَّاسِ . وَالْمَسْجِدُ بَيْتُ اللَّهِ تَعَالَى فَمَنْ جَاءَهُ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ عَنْ كُلِّ مَجِيٍّ جَاءَهُ نُزْلًا يَلِيْسُقُ
بِكْرَمِهِ . »

وفي الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ، ﷺ ، قال :

« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ . الْإِمَامُ
الْعَادِلُ . وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ
بِالْمَسَاجِدِ . وَرَجُلَانِ تَحَابَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ .
وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ . فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ
اللَّهَ . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ
مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ . وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ . »

وعند الطبراني عن النبي ، ﷺ ، قال :

« مَنْ أَلِفَ الْمَسْجِدَ أَلِفَهُ اللهُ تَعَالَى » .

وعن البزار بإسناد حسن عن النبي ﷺ ، قال :
« الْمَسْجِدُ بَيْتٌ كُلُّ تَقِيٍّ . وَتَكْفَلَ اللهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ
بَيْتَهُ » .

وعن ابن ماجه من حديثها أيضاً قالت إذا دخل النبي ﷺ ،
قال :

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلِّمْ » .

وإذا دخل المسجد صلى ركعتي التحية قبل أن يجلس وأخرج
مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه دخل المسجد فوجد النبي ﷺ ،
جالساً بين أصحابه فجلس معهم فقال له ما منعك أن
تركع قال : رأيتك جالساً والناس جلوس فقال رسول الله ﷺ :

« فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ »

وعن ابن أبي شيبه عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ :

« أَعْطُوا الْمَسَاجِدَ حَقَّهَا » .

قيل له وما حقها ؟ قال :

« رَكَعَتَانِ قَبْلَ أَنْ تَجْلِسُوا » .

وهذا الأمر بالتحية عام والنهي عن الصلاة في بعض الأوقات عام أيضاً وذهب الجمهور إلى تخصيص الأمر وتعميم النهي فلا يصلى الركعتين عندهم من دخل المسجد عند طلوع الشمس أو غروبها أو بعد زوالها أو بعد صلاتي الفجر والعصر وجرى الإمام الشافعي على تخصيص النهي وتعميم الأمر لعموم سببها فتصلى التحية عنده في الأوقات السابقة .

وقد جاء في تنظيف المساجد حديث بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة وفي صحيح ابن خزيمة عن النبي ، ﷺ ، قال :

« لَا يَتَوَضَّأُ أَحَدُكُمْ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهُ . ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ إِلَّا يَتَبَشَّشُ اللَّهُ إِلَيْهِ . كَمَا يَتَبَشَّشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِطَلْعَتِهِ » .

وأخرج مسلم وغيره عن النبي ، ﷺ ، قال :

« أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ . قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ،

وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ،
فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ . فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ) . وَيَنْبَغِي
لِدَاخِلِ الْمَسْجِدِ أَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَيُسَمِّي
وَيَحْمَدُ اللَّهَ وَيُصَلِّي وَيُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أَخْرَجَ ابْنُ السَّيْنِيِّ مِنْ حَدِيثِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ حَمَدَ اللَّهَ وَقَالَ :

« اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَقَالَ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي
أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ » .

وَإِذَا خَرَجَ قَالَ مِثْلَهَا إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ أَبْوَابَ فَضْلِكَ وَفِي
الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءُ كَانَتْ
تَقُمُ الْمَسْجِدَ فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَسَأَلَ عَنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ
فَقِيلَ لَهَا أَنَّهَا مَاتَتْ قَالَ :

(فَهَلَّا آذَنْتُمُونِي ! فَآتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا)

وَقَالَ تَعَالَى :

(وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) .
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فضل صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين قال الله تعالى :

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ

دَرَجَةً » متفق عليه .

أيها السادة الكرام . الصلاة هي الركن الثاني من أركان
الإسلام وهي معراج الروح يسمو إلى أفق المستوى الأعلى وتتحلى
بحلوية التقوى ، ولا غرو فهي عماد الدين من أقامها فقد أقام
الدين ومن تركها فقد هدم الدين ، وهي أول ما ينظر فيه من
عمل العبد في يوم القيامة فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر
عمله ، نظامها الركوع والسجود وأقوالها القراءة والتسبيح
والتسميع والابتهاال وتحريمها التكبير وسرها إظهار العبودية
والاستكانة لعظمة الربوبية ، ولبابها الخشوع فرضها الله تبارك
وتعالى في السماء على نبيه ﷺ ، تشريفاً لها وإشادة بفضلها

وجعلها خمساً في العدد ولكنها خمسون في الأجر والثواب
تفضلاً ومنأً ، وشرع له سبحانه وتعالى الجماعة وأمر لأجلها
ببناء المساجد وتشيد الجوامع ، وسن الأذان لها والإقامة إعلاما
بدخول مواقيتها وحث سبحانه وتعالى على المحافظة عليها وعلى
تكميل أدائها والسعي إليها بالسكينة والوقار ، فأى عبادة
أشرف منها ، وأى قربة تغني عنها ؟

فالعبد إذا تقرب إلى الله بالصلاة فرضها ونفلها أحبه الله
تعالى فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سأل الله تعالى
ليعطينه ولئن استعاذ به ليعيذنه فالصلاة قرّة أعين العابدين
وموسم مواقف القانتين ، منها تشرق الأنوار وتكشف الأغوار
وتلوح التجليات الربانية وتسطع البوارق الصمدانية التي تلمع
من حضرة القدرة وعالم الأنس فالمصلي يناجي ربه عز وجل ،
فحضرة الصلاة أسمى الحضرات ولذا كانت الراحة منها
للعارفين من أكدار الدنيا فرحم الله تعالى عبداً مسلماً حافظ على
مواقيتها وفرضها وسننها .

(وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مَلَأُوا

رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) .

وقد شرع النبي ، ﷺ ، أداء الصلاة جماعة في المسجد لحكم بالغة ومزايا جمّة ، ذلك أن القيام بها تأليف بين المسلمين ، وجمع لقلوبهم في أكبر عبادة مهذبة للنفوس مرقية للشعور ومذكرة بالواجب معلقة بالأمل بالكبير المتعال ، وفيها يقف الأمير بجانب الصغير والغني بجانب الفقير متساوي الرؤوس كما تساوت الأقدام في الصفوف وأن ذلك ينسي مظاهر الترف التي كثيراً ما فتنّت الناس وفيها يتعلمون من الإمام الدين بطريق عملي ونظري بما يزودهم به من النصائح عقب الصلوات ، وفيها معنى الوحدة الإسلامية والتمارين على الأعمال المشتركة ، والتدريب على مواقف الحروب تحت أمر قائد واحد ، وفي صلاة الجماعة أيضاً حركة بالسعي إلى المساجد فيزول الكسل ويحل العمل وفيها سهولة للإمام الناس بالأمر العامة والحوادث المهمة ، إلى ذلك من مزاياها ، فلما كانت بهذه المثابة أكد الرسول ، ﷺ ، طلبها وحتم على الرجل حضورها ، فاحرص أخي على صلاة الجماعة ولا تدعها إلا لعذر قوي ولا يشغلك عنها لعبة أو أكلة ، ولا تتساهل في حق الله ولا تقصر في حق نفسك

وكن لبيت الله معمرًا ولمصالح إخوانك ساعياً كما راعى رسول الله ﷺ ، مصلحة أصحابه وحملهم على القيام بالواجب ولو ناداك رجل عظيم لبيت نداءه وهرولت نحوه لتنفيذ إشارته فالله سبحانه وتعالى يناديك (حي على الصلاة حي على الفلاح) ويثني لك النداء فلا تجيب نداءه ، ألا فبادر إلى الجماعة وسارع للشرف بلقاء مولاك وخالك ورازقك ، والتذمناجاته فالناس في أمر الصلاة على طبقات طبقة لم يقبلوها رأساً وهم الجاحدون لها ومصيرهم سقر ، قال تعالى :

(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ، قَالُوا : لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)

وطبقة قبلوها ولم يؤدوها وجزاؤهم الغي قيل هو الشر والخسران ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم ، قال تعالى :

(فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ . فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) .

أي لا ينقصون من ثواب أعمالهم بمقابلة تفريطهم ، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له كما في الحديث . وطبقة

لم يهتموا بها ولم يبالوا أدوها في وقتها أو أخروها ، كالمنهمكين في الدنيا بحيث يخرج وقت الصلاة ولا يشعرون وتكرر ذلك لهم فيصلونها بعد خروج الوقت غير مباليين ولا نادمين وكمن دأبهم سهر الليل بحيث لا يصلون الصبح غالباً إلا بعد طلوع الشمس ، فهؤلاء وأمثالهم غير مهتمين بأمر الصلاة ولا مباليين بها فلهم الويل على ما رواه الحاكم والبيهقي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سألت النبي ، ﷺ ، عن قوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) (قال) : رسول الله : هُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا .

وصحح البيهقي وقفه ، والويل واد في جهنم ، وطبقة قبلوها وهم يرعونها في مواقيتها بشرائطها وخشوعها وآدابها وهم المؤمنون المنوه بهم بقوله عز شأنه : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) .

وقد ذكر الله تعالى مصيرهم برعايتهم هذه مع ما اتصفوا به من الصفات الجليلة المذكورة في الآية فقال : (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) . وهو أرفع موضع في الجنة وأبهاه ينال المؤمن فيه مناه .

رسالة والد لولده وتوجيهه للخير

من إنشاء الوالد ، لطالب هجر التعليم وذهب إلى جدة
لوظيفة ، فما كان جوابها إلا رجوع الطالب لدراسته ، وهو
الآن معلم ومدرس بالمسجد الحرام .
ابني الأعز : فتح الله عليه وملاً من الخير يديه .
أهديك سلاماً عاطراً وشوقاً وافراً ، وأسأل عن صحتك
الغالية وأتمني لك السعادة والنبوغ والتوفيق ، وبعد : فقد
وصلني خطابك الذي شرحت فيه عنايتك في مراحل التعليم
وعزمتك على الالتحاق بعمل في ثغر جدة قبل تتميم دراستك
ونيلك الشهادة من مدرستك الزاهرة مدرسة الفلاح ، فاعلم
يا بني أنك قد أخطأت في رأيك خطأ ظاهراً بعد ما بذلت
من الجهد والصبر ووصلت إلى القسم الثانوي ، فكان الواجب
يقضي بان تواصل اجتهادك لتدرك مرادك ، فمن صبر ظفر ،
ومن جد وجد ، ومن سار على الدرب وصل ، ومن طلب العلا
سهر الليالي لنيل المعالي ، واقرأ سير العلماء العاملين والزعماء
المصلحين كيف صبروا فنالوا المقام الأعلى والذكر الجميل ،

فعليك بالتأسّي بهم واقتفاء آثارهم ، فإنهم أسوة حسنة وقدوة صالحة ، وإياك والمثل ، واخلع عنك ثوب الكسل لتفوز بالأمل .

يا بني : العلم أشرف مقتنى وأعز مكتسب ، وأعلى مطلب وأعلى تجارة ، به ينال رضا الله تعالى ، ويتحصل على سعادة الدنيا والآخرة ، وكفى بالجهل مهانة إن الجاهلين يأنفون من الانتساب إليه ، وما من بلاء وفتنة إلا وسبب ذلك الجهل ، فالعلم نور يهتدي به الحائر ، وتستنير به البصائر ، وترقى به الأمم ، ويسعد المجتمع .

وَهَلْ مِنْ أُمَّةٍ بَلَغَتْ مُنَاهَا بِغَيْرِ الْعِلْمِ أَوْ حَدِّ الْيَمَانِي

يا بني : هل تنجح الأعمال الدنيوية بغير العلم ؟ ، لا والله . .

إن التجار وأرباب الأعمال يحتاجون في حساباتهم وترتيب أعمالهم ونجاح نتائجهم إلى العلم ، فمن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالعلم ، فالناس موتى وأهل العلم أحياء ، والجاهلون لأهل العلم أعداء ، ولا غرو ، فمن جهل شيئاً عاداه ، (وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) .

اليوم الذي لا تستفيد فيه علماً يقربك إلى الله تعالى فلا بورك

لك في طلوع شمس ذلك اليوم ، ما أخسر صفقة الجاهلين ،
لقد جهلوا لذة العلم الروحية ، ذلك هو الملك الخالد والمتعة
النفسية ، والعز التليد ، قال الشاعر :

وَكَنْزٍ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِيَصَّأَ خَفِيفِ الْحَمَلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا
يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ إِنْ جَهَلْتَ وَإِنْ بَخِلْتَا
لَشَنْ رَكِبَ الْغَنِيِّ عَلَى الْحَشَايَا لَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْرَ كِبْتَا
وَإِنْ يَكُ فَضٌّ أَبْكَارِ الْغَوَانِي فَكَمْ بِكْرٍ مِنْ الْحِكْمِ افْتَضُّصْتَا

يا بني : أتوثر الوظيفة المادية على وظيفتك العلمية الروحية ،
إننا الآن في عصر طغى فيه ظلام الماديات على نور الروحانيات ،
حتى صار غالب الناس يقدسون المادة ويؤثرونها على ما فيه
صلاحهم وفلاحهم في الآخرة الأولى ، ولا يؤمنون إلا بالمحسوس
حتى كأنهم صاروا لا يؤمنون بالغيب ، وهذا من الإنصراف
عن علوم الدين وإهمال المرشدين وكثرة الدجالين والافتتان
بنظريات الغربيين ، لكن القلوب المنيرة والنفوس الشريفة
لا تزال مستعدة لتلقي الخير من الملاء الأعلى مقتدية بالشرع
الشريف متمسكة بالأدب المحمدي والتعاليم الإسلامية ، وإن

كانت في أخرج الأزمنة وأظلم العصور ، فهي تجادل عن الحق لا يضرها من خالفها ، حتي يأتي أمر الله تعالى . فارجع إلى الأفق المبارك ، وتمتع بروض الفلاح الزاهر لتنهل من معينها الفياض ، واجلس بين يدي أساتذتك لإصلاح قلبك وإرضاء ربك ، وعليك بتقوى مولاك في شرك ونجواك ، فقد فاز المتقون ، ولا تكن ممن اتبع الهوى فضل عن سبيل سعاده ، فإن طريق الهدى واضح ، واتباع الجهل فاضح ، هذا واستمع إلى نصيحتي الشعرية أيها الابن العزيز :

أَهْدَيْتَ مِنْ دُرِّ الْبَيَانِ خِطَابَا	وَطَفِقْتَ فِيهِ تُمَثُّلُ الْآدَابَا
وَتَحْوِكَ نَسْجَ لَطَائِفِ وَمَعَارِفِ	وَتَزُفُ فِيهِ كَوَاعِبَا أَتْرَابَا
وَتَبْتُ فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْغُرَّ مَا	يَشْفِي النَّفُوسَ وَيَسْحَرُ الْأَلْبَابَا
أَبْصَرْتُ فِي سُودِ السُّطُورِ لَالِيَا	تَسْتَوْجِبُ التَّقْدِيرَ وَالْإِعْجَابَا
وَشَهِدْتُ فَضْلَكَ فِي سُّطُورِكَ ظَاهِرَا	لَمَّا تَلَوْتُ خِطَابَكَ الْخَلَابَا
فَلَا نَشَرَنَّ قَلَائِدَا وَلَا نَنْظِمَنَّ	فَرَائِدَا تُهْدِي إِلَيْكَ جَوَابَا
أَبْنِيَّ إِنَّ الْعِلْمَ نَوْراً يَهْتَدِي	بِضِيَائِهِ مَنْ ذَاقَ فِيهِ عَذَابَا
مَنْ جَدَّ فِيهِ يَنَالُ مَطْلَبَهُ وَيَحُ	ذَلِيَ بِالْمُنَى وَيُسَبِّغُ مِنْهُ شَرَابَا

أَبْنِيَّ إِنَّ الْعِلْمَ يَبْعَثُ فِي النُّفُوسِ
أَرْغَبْتَ عَنْهُ وَكُنْتَ مِنْ أَرْبَابِهِ
فَانْهَضْ إِلَى الْعَلِيَّاءِ وَشَمِّرْ طَالِباً
وَاعْمَلْ بِنُصْحِي إِنَّنِي لَكَ مُرْشِدٌ
يَا هَاجِراً رَوْضِ الْفَلَاحِ وَأَهْلِهِ
سَ حَيَاتِهَا وَيُفْتَحُ الْأَبْوَابَا
هَلَّا اجْتَهَدْتَ وَحُزْتُ فِيهِ ثَوَابَا
حَتَّى تَنَالَ مِنَ الْعُلُومِ لِبَابَا
وَكَفَاكَ قَوْلِي يَا لَبِيبُ عِتَابَا
مَا كَانَ هَجْرُكَ لِلْفَلَاحِ صَوَابَا

وختاماً أسأل الله أن ينيلنا رضاه ، ودم في هناء .

* * *

رسالة من مربي إلى طالب

إلى طالب رحل إلى مصر لطلب العلم فيها بالبعثة السعودية
ولدي الماجد النبيل ... دام في عز وهناء ...

أهديك تحية عاطرة ، وأضرع إلى الله تعالى أن يكلل
أعمالك بالتوفيق والنجاح ، وبعد : فإن وطنك العزيز المقدس
الذي رحلت عنه لتنهل مناهل العرفان في أرض الكنانة ينتظرك
بفارغ الصبر لتؤدي واجبه عليك ، وتؤدي دينه لديك ، إن
الحياة يا بني دقائق وثوان ، وترك الفرصة غصة ، فمتى
يخفق لواء سعادتك ، وتفوز بنيل شهادتك ؟ فتضيف إلى
سلسلة أمجاد قومك حلقات جديدة في سبيل النبوغ والرقى ،
إنك رائدنا والرائد لا يكذب أهله ، فحقق ما بعثت إليه ،
واحذر التواني والكسل ، فمن سار على الدرب وصل ، إن لنا
في ذكائك الأسمى ومواهبك الفطرية ، ونبوغك المعهود
واجتهادك أعظم أمل وأجل شفيح ، فقيّد أو ابد الفوائد ،
واسهر الليالي في طلب المعالي ، واملاً قوالب أوقاتك بمبدعات
منسوجاتك ، وتحمل الآلام في سبيل العلم مدرعا بالصبر والجد ،

فما خاب صبور ولا نجح كسول ، عليك باللباب ، واترك
 القشور ، وتمسك بالآداب فمن تركه حرم الوصول وباء
 بالخسران ، إن العلم لا ينفع ما لم يتوج طالبه بالأخلاق الفاضلة .
 وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانُ قَوْمٍ إِذَا أَخْلَقُهُمْ كَانَتْ خَرَابًا
 ما أقوى تيار المدنية الضالة ، وما أبهر زخارفها ، وما أشد
 بلاءها ، كم فتنن رجالا وأتلفت أموالا ، وهتكت عرضاً ،
 واقترفت إفكاً ، وأفسدت نسكا ، وضيعت مالا ، وفزلت
 مجتمعا . انظر إلى هذه الروايات الغرامية التي لا يستفيد الشاب
 من قراءتها إلا رقة وميوعة وتعلقاً ، وغراماً وتفكيراً وسقاماً ،
 وكم ضيعت على الطالب وقتاً حتى طلق الفضيلة واتبع الرذيلة ،
 وهذه الصور التي تجلب الفكر ، وتترك أسوأ الأثر في خيال
 العاقل فضلاً عن الجاهل ، ما أكثر الملهيات والعقبات في طريق
 طالب العلم المسكين الغريب ، رحماك اللهم رحماك وتوفيقك ،
 وعصمتك ووقايتك بهذا الطالب البعيد عن الأهل والوطن .
 أجل ... إذا عظم المطلوب قل المساعد ، ولكن استعن بالله
 واصبر يا بني ، فالعاقبة لمن اتقى وخاف مقام ربه ونهى النفس

عن الهوى ، والجحيم لمن طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، واعلم أن
سيل الزندقة والإلحاد قد عم وانتشر ، ولا عاصم اليوم من أمر الله
إلا من رحم ، فهذه صور الخلاعة والمجون ، والصور تنشر باسم
الثقافة ، وتلك كتب عصرية ومجلات ومقالات تغزو عقائد
الدين ، وتطعن في أسرار التشريع الإسلامي بدعوى البحث
والتقريب والتحقيق ، وباسم التحليل للدين ، والدين منها
براء وكلها ضلال وأغراض وأهواء ، ما أحوجنا إلى رقابة
شديدة لحماية الدين ومناصرة الأخلاق الفاضلة ، وحفظ كيان
الأسر والنساء والأبناء ، فعليك بقراءة السيرة النبوية فإنها سفر
الخلود ، وسر العظمة ، ومشرق النور ، ما أعظم دروسها الشيقة
النيرة ، إنها مملوءة بالصبر ، ومنيرة للفكر ، وليس العيان
كالخبر ، وعليك بقراءة تاريخ الخلفاء الراشدين والأئمة
المجتهدين ، والعباقرة القواد الفاتحين ، إنك لتمر بك مواكب
النور والإصلاح سراعاً ، فتترنم بنشيد العزة والخلود في
عصر العدل والنور والإيمان .

إن التاريخ الإسلامي الوضاء مع ما فيه من أسرار بالغة
وفتوحات عظيمة ودروس نافعة قد وجد من أبناء الإسلام من

يصرف عنه إلى تاريخ أجنبي وشخصيات مجهولة وروايات
ملفقة ، إلا أن من العار أن نجهل سيرة نبينا وتاريخ أسلافنا ،
فلنعمر مجالسنا ودروسنا ونوادينا بذكر عظماء الإسلام وعلمائه
وقواده ، وليتعلم أبناؤنا سيرة آبائهم وتاريخ دينهم العظيم ،
هذا وقد أقبل دور الاختبار فشمروا واجتهدوا وإياك والاعتزاز ،
فأحياء العلم مذاكرته ، فمتى ينشر اسمك في سجل الفائزين ،
فثم الفرحة الكبرى لشعبك وأهلك .

* * *

من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

وُلِدِ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ وَقَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءٌ
يقف التاريخ شاخصاً إلى الماضي البعيد في إجلال وتوقير
ملتماً من نبل الذكرى المحمدية وجمالها . عبرة للحاضر
وذخيرة للمستقبل .

أي ذكرى عظيمة تلك التي يحملها شهر ربيع الأول ؟ فإن
غرته لا تكاد تنبثق في أفق الدنيا حتى تستشعر النفوس في
أعماقها خشوعاً وهيبة وتحس القلوب في قراراتها إجلالاً
ورهة فتغمرها نفحات قدسية من سمو العقيدة وطهارة الدين
وقبس الإيمان !

أي ذكرى تلك التي تطهر الخلق وتعصم النفس من زيغ
الهوى وفتنة الشيطان وتحصن الروح بأفضل العبر وأجمل
المواعظ ؟ ! . إنها ذكرى ميلاد الرسول ﷺ ، محرر الفكر
ومنقذ الإنسانية من ظلمات الجهل والشرك والظلم والإباحية ،
فهو أمين الله على وحيه ، وهو حكيم العلماء ، وسيد السادة ،
ومعلم القواد ، والمجاهد في سبيل ربه وإعلاء دينه بنفسه وماله ،

ثابتاً صابراً محتسباً .

لقد تأذن الله للنور الجديد أن يشرق على الأرواح ، فيستل الأضغان ويحكم وشائج الألفة وأواصر التآخي حتى كان المؤمنون أخوة وصار المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

ودعت الدنيا عصر الجاهلية والفوضى والفساد واستقبلت عهداً نبوياً يغمره نور الهداية وتشرق عليه روح التسامي فانقضت الغمة وزالت الظلمة وانهزم جيش الباطل وجاء الحق وتنسمت الإنسانية فيه نسيم الهدى واستنشقت عبير الإيمان واستروحت نفحات الألوهية الواحدة .

وجاء النبي الكريم فنشأ نشأة صلاح ووقار ، لا يعرف الله ولا يألّف المنكر ؛ يتأمل في خلق الله الذي أحسن كل شيء خلقه ، ويتفكر في آثار القدرة وجمال الصنعة ، يرضي ربه فتطمئن نفسه للإيمان .

ومع ذلك كله فقد كان سمح الخلق طاهر النفس عظيم العفة قدسي العاطفة حتى لقبوه بالأمين وكيف لا وقد نشأ من مهد

الطفولة سليماً من شوائب الغل ونوازع الحسد وبوادر الغضب ،
فحمل الرسالة الربانية متحصناً بالأمانة مدرعاً بالصبر محاطاً
بالرعاية الإلهية .

رباه ربه فأحسن تأديبه فهو ذو الخلق العظيم ما ينطق عن
الهُوى إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . . قام بأعباء الرسالة خير قيام . .
مضى في دعوته لا يخلد إلى راحة ولا يطمئن إلى استقرار . .
دعاهم إلى الحق وسمو الإيمان ولقي من المشركين كل أذى . .
حاربه القريب وعاداه ، وآذاه البعيد وأفحش في الإيذاء . . ولكن
هل يضعف الحق تعذيب أو بغض من جماله اضطهاد ؟ ! . . .
هذه الدعوة الصادقة المججلة جمعت تحت لوائها أشتاتاً متنافرة
ونفوساً متناكرة حتى أحس الجميع أنهم أسرة واحدة وجاءتهم
الدنيا خاضعة تضع بين أيديهم ملك كسرى بما حوى وصولجان
قيصر بما جمع .

أليس نجاح الدعوة الإسلامية وظهورها مديناً لما أوتي الرسول
ﷺ ، من قوة جبارة وعزيمة صادقة وإخلاص ويقين ؟ ! . . دعا
أولا عشيرته الأقربين باللطف والسياسة وكان موفقاً في دعوته ،
يصيب موضع الإقناع ويؤثر أقوى تأثير ، فمنهم من استجاب

لدعوته ومنهم من أبى وأنكر وكفر وجحد .. ودعا ثانياً الناس كافة فاستنكروا دعوته وفزعوا لسلطان الآلهة الباطلة ، وحاولت رده والوقوف في وجهه ، ولكنهم فشلوا في صداهم لأن الحق لا يخضع لقراية ولا يتأثر لرحم ، فللباطل جولة ويزول ، وللحق وقفة ويصوب ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

تمالؤوا على قتله وجلسوا عند بابه وأجمعوا أمرهم على محاصرته ولكنه سلم مهاجراً إلى الله : وآمنه الله من كيدهم وعصمه من مكرهم وتمت هجرته الشريفة وأحاطت به عناية الله ودخل مكة فاتحاً ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فإذا هو يفيض حنانا وحباً للذين آذوه وأخرجوه .. نفس عالية تفيض عفواً وإصلاحاً لا تحمل حقداً ولا تريد انتقاماً ولا تطلب ثأراً ، ولكنها تعلي دين الله وتقول : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .. ما أجملها كلمة مدوية ترن في مسمع الدهر وتسمو فوق اعتبارات التفكير .

فنحن معشر المسلمين اليوم في مقام الذكرى النبوية الخالدة نتمجد في شخصية الرسول عليه السلام البطولة النادرة ، كما نمتلئ إعجاباً وإجلالاً لتعاليمه المحمدية وإرشاداته السامية

التي غزت القلوب فخالطت منها اللحم والدم ، ثم سرت في الدنيا إلى الشباب والشيب والنجود والوهاد فملاّتها نوراً وضياءً .. إن هذه لذكرى لمن كان له قلب وبلاغ لمن اعتبر وتدبر ، وهي تدعوننا للوثام والألتثام وتحذرنا من مغبة التنازع والفشل ، وتخوفنا سوء المنقلب إن حدنا عن كتاب ربنا وسنة نبينا ، ﷺ ، فالخير كله في الاتباع ، والشر كله في الابتداع ، والسر كله في الإخلاص .

يا قومنا أجيّبوا داعي الله وآمنوا برسوله وجاهدوا لإعلاء دينه والفوز برضوانه واقتدوا بأخلاق نبينا فإنها منهاج الرشد وعنوان الفلاح وسبيل الخير .

إلهنا وخالقنا ومولانا أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

حديث البيعة النبوية

قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) .

أيها السادة : هذه البيعة المحمدية الربانية هي الأساس المتين الذي قوى الله به صرح الدين وربط القلوب بين الأنصار والمهاجرين فبايعوه على الموت ، بايعوه على قتال الأسود والأحمر والعرب والعجم ، بايعوه على أن يفتدوه بأنفسهم وأموالهم وأن يخوضوا معه البحار ويقتحموا الأخطار ، فألف الله بين قلوبهم وأبدلهم بالذلة عزة ، وبالتفرقة اتحاداً وبالفقر غنى وبالجهل علماً وبالخمول نباهة وظهوراً ، وبالحيرة سكينه وإيماناً ، ولما علم الله ما في قلوبهم رضي عنهم وأنزل السكينة على أفئدتهم وأثابهم فتحاً قريباً .

هذه البيعة الشرعية عهد بين العبد وربّه وولى الأمر يعقدها بأمر الله ، فعلى المبايع الوفاء ببيعته والسمع والطاعة فيما يرضي الله تعالى والنصيحة للإمام ، وعلى الإمام المبايع القيام بأمر الشريعة وتنفيذ أحكامها والعطف على الرعية وخشية الحق

تعلمهم بذلك فلما وصل رسول الله ﷺ ، الحديبية بركت ناقته ، فقال الناس خلأت أخلات ؟ فقال النبي ﷺ :

(مَا خَلَّاتُ وَمَا هُوَلَهَا بِخُلَّتِي وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ لَا تَدْعُونِي قُرَيْشُ الْيَوْمَ إِلَى خُطَّةٍ يَسْأَلُونِي فِيهَا صَلَاةَ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ نَزَلَ هُنَاكَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ بِهَذَا الْوَادِي مَاءٌ . فَأَخْرَجَ عَلَيْهِ انْصِلَاةَ وَالسَّلَامَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَأَعْطَاهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَزَلَ فِي قَلْبٍ مِنْ تِلْكَ الْقُلُوبِ فَعَرَزَهُ فِي جَوْفِهِ فَجَاشَ بِالْمَاءِ الرَّوَاءَ حَتَّى كَفَى جَمِيعَ الْجَيْشِ) .

وقيل إن الذي نزل بالسهم في القلب ناجية بن جندب بن عمير الأسلمي وهو سائق بدن النبي ﷺ ، يومئذ ، وقيل نزل بالسهم في القلب البراء بن عازب ثم جرت السفراء بين رسول الله ﷺ ، وبين كفار قريش ، وطال التراجع والتنازع إلى أن جاءه سهيل بن عمرو العامري فقاضاه على أن ينصرف عليه الصلاة والسلام عامة ذلك ، فإذا كان من قابل أتى معتمراً ودخل هو وأصحابه مكة بغير سلاح حاشا السيوف في قربها فيقيم فيها ثلاثاً ويخرج وعلى أن يكون بينه وبينهم صلح

عشرة أعوام يتداخل فيها الناس ويأمن بعضهم بعضاً وعلى أن من جاء من الكفار إلى المسلمين مسلماً من رجل أو امرأة رده إلى الكفار ومن جاء من المسلمين إلى الكفار مرتداً لم يردوه إلى المسلمين فعظم ذلك على المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام وكان رسول الله ﷺ ، أعلم بما علمه الله من أنه سيجعل للمسلمين فرجاً ، فقال لأصحابه اصبروا فإن الله يجعل هذا الصلح سبباً إلى ظهور دينه ، فأنس الناس إلى قوله هذا بعد نفاهم وأبي سهيل بن عمرو أن يكتب في صدر صحيفة الصلح: من محمد رسول الله وقالوا له : لو صدقناك بذلك ما دفعناك عما تريد ، فلا بد أن يكتب باسمك اللهم ، فقال لعلي وكان يكتب صحيفة الصلح امح يا علي واكتب باسمك اللهم فأبى علي أن يمحو بيده (محمد رسول الله) فقال رسول الله ﷺ ، اعرضه علي فأشار إليه فمحا رسول الله ﷺ ، بيده وأمره أن يكتب (من محمد بن عبد الله) وأتى أبو جندل بن سهيل يومئذ بأثر كتاب الصلح وهو يرسف في قيوده فرده رسول الله ﷺ ، وأخبر أبا جندل أن الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً ، وكان رسول الله ﷺ ، قبل الصلح قد بعث عثمان بن عفان إلى مكة

رسولا فجاء خبر إلى رسول الله ﷺ ، بأن أهل مكة قتلوه ،
 فدعا رسول الله ﷺ ، حينئذ إلى المبايعة على الحرب والقتال
 لأهل مكة ، فروي أنه بايعهم على الموت ، وروي أنه بايعهم
 على ألا يفروا وهي بيعة الرضوان تحت الشجرة التي أخبر
 الله تعالى أنه رضي عن المبايعين لرسول الله ﷺ ، فيها وأخبر
 رسول الله ﷺ ، أنهم لا يدخلون النار ، وضرب رسول الله ﷺ ،
 بيمينه على شماله لعثمان فهو كمن شهدها ، فأنزل الله تعالى :

« لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
 فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا »

وتخلف الجعد بن قيس عن هذه البيعة واختفى وراء ناقته
 وكان من المنافقين ، ويذكر الله فضل البيعة والمبايعين الموقنين
 ويحذر عاقبة المتخلفين والناكثين فأنزل قوله :

(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)

وقد مدح الله تعالى هؤلاء الموقنين الصادقين فقال :

(رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) .

رضي الله عن تلك الأرواح الطاهرة وسلاماً على تلك النفوس

الزكية ، جعلنا الله خير خلف لأفضل سلف بمنه وكرمه آمين .

كلمة في الأخلاق

مهداة إلى أبنائنا طلاب العلم

قال الله تبارك وتعالى « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

الأخلاق النبوية الفاضلة هي المنهاج الأعظم الذي يرسم لنا معشر الأمة المحمدية طريق السعادة والنجاح في الدنيا والآخرة ، فقد تعهد الله تعالى هذا النبي الكريم بعنايته ورعايته ، وأدبه فأحسن تأديبه ، وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق ، فكان المثل الأعلى للكمال الخالد .

وقد كان نبينا ، ﷺ ، داعياً إليه بأقواله متواضعاً لين الجانب لا يقابل أحداً بما يكره ، يرحم الصغير ويوقر الكبير ، ويبغض الملاهي ويحب الخلوة والنظر والتدبر بالتفكير ، فعلينا أن نتمسك بشمائله الكريمة وسيرته العطرة وأخلاقه الجليلة ، وأن نربأً بنفوسنا عن مجتمعات أهل الرذيلة وإخوان السوء ، وأن ندعو إلى الله متناصحين آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر مسارعين إلى الخيرات ، لاسيما ويقظتنا الإسلامية اليوم تحتاج إلى أساس متين تكون لحمته وسداه من القرآن

الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وتاريخ السلف الصالح والإيمان العميق والثبات على المبدأ والأخوة في الله والحب فيه والتوكل عليه أبدا .. إنه لا ينفعنا الآن ، وقد عظم تيار الفتن والبلاء ، سوى الالتجاء إلى الله عز وجل ، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، وهو الذي يزيل المخاوف ويقينا المتالف ، كما أنه لا نجاة للعالم اليوم من مشاكله السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومصائبه الملموسة في اختلاف الآراء وتتابع أخطر الحوادث والقوارع إلا باتباع دين الإسلام ، دين السعادة والهدى والسلام ، الدين الذي أكمله الله تعالى لعباده وأتم عليهم به نعمته ورضيه لهم ديناً .

« إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ » . « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » .

ولا عجب فهو الدين الذي يدعو إلى الأخلاق الكريمة التي يكون بها صلاح الأمور واستقامة الأحوال وبقاء النظام ، إن كل ذلك يتوقف على صلاح الأخلاق فهي عماد التقوى وأساس الخير ، وأس التراحم والتعاون ونجاح الآمال وصلاح الملك وراحة الرعية والبلاد ومحو الفوضى والفساد .

صَلَّاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَيَقُومُ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِيمُ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَحِمٍ

أجل - إن حياة الأمم بالأخلاق الكريمة والتربية الفاضلة
ذاك لأن تكون الأمة برقي مواهب أفرادها ، وكمال أخلاقهم ،
يعمر ببيان قوم إذا أسس على شفا جرف هار من الفقر والجهل
والمرض قال الشاعر :

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانُ قَوْمٍ إِذْ أَخْلَاقُهُمْ كَانَتْ خَرَاباً

ونبينا ، ﷺ ، نبي الأخلاق طالما دعا إليها وجاء لتتميمها ،
ولقد كان خلقه الشريف القرآن . تأدب بأدابه ماضياً في
دعوته واهباً نفسه للحق صابراً محتسباً مناضلاً متحملاً الأذى
الشديد من قومه وغيرهم ، حتى أصبحت مرهونة بأمره الشريف
كما جرى في فتح مكة وقد كان أهلها أذاقوه أمر البلاء حتى
اضطروه للهجرة ، فلما آذنه الله بذلك هاجر ليعود إليهم فاتحاً
منصوراً مصلحاً معلماً مؤيداً ، ولما نصره الله النصر المؤزر
وأظفره بهم عفا عنهم وارتفع فوق الحقد والانتقام وبلغ من
النبيل فوق ما يبلغ أكمل إنسان فقال كلمته الخالدة الذهبية

التي روتها الأجيال :

« اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ » .

فانجذبوا إليه وتعلقوا به ، ورفعوا معه منابر التوحيد وأضاء العالم بنوره الوضاء وقاتلوا تحت لوائه ، وتآخوا على حب الله تعالى وهكذا أثبت ، ﷺ ، أنه المثل الأعلى للإنسان الكامل حين تخلق بخلق القرآن حقا ، وقد قال الشاعر :

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُورٌ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

والوارثون لهذا الخلق النبوي هم طلاب العلم الشريف فيجب أن يكونوا أجل مظهر للأخلاق العالية والآداب الفاضلة ، لأن العلم النافع يهذب النفوس ، ويغرس التواضع في الأفئدة ، ويثمر الإنصاف في المعاملة ، ويعلم طالبه تأدية الحقوق والواجبات فهل ينفع ترقى العلوم وأخذ الشهادات العالية مع انحطاط الآداب ؟ كلا !! إن الناس يتأسون بطلاب العلم الشريف من أبنائنا تلامذة المدارس يرون فيهم القدوة الصالحة والأسوة الحسنة والجيل المبارك ، فإذا لم يجد الناس آثار التربية الفاضلة ولم يلمسوا حسنات التقويم والتهديب في أبناء

العلم فأين يجدون ذلك ويلمسونه ، قال حافظ :
لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ مَا لَمْ يَتَوَجَّ رَبُّهُ بِخَلْقِ
فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا جَاهٌ وَذَلِكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
فعلى المعلمين والمدرسين والمديرين والرؤساء والأولياء أن
يهتموا في تربية النشء بدرس الأخلاق ، فإنه الدرس النافع
المفيد ، الذي يكفل لنا نجاح العلم وورقي الشعب وصلاح
المستقبل . إن أعظم شهادة عالية بحملها الطالب هي الوسام
الذهبي الخالد ، والكفاءة العلمية العملية عند دخوله ميدان
الحياة والعمل ، تلك الشهادة الحقيقية التي تحميها الأخلاق
ويؤيدها الواقع ، فليست الأخلاق أرقاماً في أوراق ، ولكنها
علم وعمل وأدب وإخلاص واجتهاد واحترام وتقدير وصبر .

فكم من حامل شهادة ليس لديه من الكفاءة ما يثبت تصديقها
وتحقيقها فكان خطراً على المجتمع وفتنة لنفسه ! وكم طالب
تراه كسولاً لاعباً فإذا ما أُطلَّ الاختبار جد واجتهد ليتحصل
على الشهادة ويفوز بالنتيجة ثم بعد الاختبار يعود للعبه وكسله
ولو واصل الاجتهاد لكان قرّة عين المدرسة ومطمح آمال الشعب

ورجل العلم والعمل وعنوان المجد والفضل والأمل .

فالواجب على طلاب العلم الشريف أن يكونوا أحسن الناس
معاملة ، وأجملهم منطلقاً ، وأشرفهم خلقاً ، وبهذا يصيرون
قد أدوا أمانة العلم التي تحملوها على كواهلهم وبذلوا لها نفيس
أعمارهم وأشرف أموالهم ، وإلا استوى العالم والجاهل ، وكان
اتباع الجهل أحزم ، والعياذ بالله . إن العلم الشريف إذا لم يزن
صاحبه بالكمال والتقوى ولم يقوم أخلاقه حتى تكون سيرته
عدلاً ، وأخلاقه حسنة ، فذلك يصير حجة على طالبه وفتنة
عليه ، فما العلم إلا خشية ووقار ، ومعرفة واعتبار .

« إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

أَبْنَاءَ الْمَدَارِسِ إِنَّ نَفْسِي تَوَمَّلُ فِيكُمْ الْأَمَلَ الْكَبِيرَا
فَسْقِيَا لِلْمَدَارِسِ مِنْ رِيَاضٍ لَنَا قَدْ أَنْبَتَتْ مِنْكُمْ زُهُورَا

إن طالب العلم لا يبارك الله في علمه ، ولا يبلغه أمله ، إلا
إذا تأدب مع الله ومع رسوله وأساتذته الذين هم خلفاء الرسول ،
ﷺ ، والنية الصالحة أساس الخير وملاك السعادة .

ولابد من الاجتهاد والمذاكرة فقد أقبل الاختبار المدرسي ،

بين القلوب ، فينفر القريب من قريبه ، والأخ من أخيه ،
فلا تسخر بأخيك ولا تسبه ، وربما كان عند الله أعظم منك
مقاماً وأشد قرباً ، إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى
أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم -- فليست الكرامة عند الله
بالمال ولا بالجمال ولا بالحسب ولا بالنسب ولكنها بالتقوى .

قال الله تعالى « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » .

وقد أخفى الله تعالى رضاه في طاعته ، كما أخفى غضبه في
معصيته ، فرب عمل يسير من الطاعة تنال به عند الله مقاماً
كبيراً ، ورب معصية لا يؤبه لها يستحق بها صاحبها وزراً
كبيراً ، وأن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يضحك
بها الناس يهوي بها في النار سبعين خريفاً ، وهل يوجد أقبح
وأشنع ممن ينطلق لسانه في ميدان السباب انطلاق السهم ثم
لا يقف عند حد في سبابه ، بل كل ما خطر بباله وعرف كيف
ينطق به لسانه واجه به أخاه بلا خوف ولا استحياء لا من الحق
ولا من الخلق ، بل حتى لو فهم معنى يلوث به أخاه ويدنس
به عرضه ويجرده من كل شرف ويجعل الناس ينظرون إليه
نظرهم إلى أخط إنسان رماه به في الحال ، وجرح به عاطفته

فيسب أمه وأباه ويلعن جده وأخاه ، وربما تطاول به الغضب
 فيقذفه بالفحشاء ، لا يخشى ولا يحذر اليوم الآخر ، إن هذا
 أمر تسمئز منه قلوب المؤمنين ، وتقشعر منه جلود المتقين .
 أليس ما يظهر على الألسنة أثراً لما في القلوب ، فإذا كان
 صافي القلوب إيماناً وخلقاً صالحاً ، كانت آثاره صالحة .
 وإلا كانت آثاره سيئة ، فبائع الجوهر لديه اللآئى النفيسة حتى
 إذا أغضبتة لا يجد حوله إلا تلك الجواهر والدرر الغوالي
 يوجهها إليك يسترضيك ، وجوهرة واحدة منها تغنيك طول
 الأبد فتضطر أن تحول إساءتك إليه إحساناً حتى كأنك له
 ولي حميم ، والآخر الخبيث محاط بالطوب والآجر والحجارة
 والفضلات المؤذية ، كلما لاطفته أو صانعتة لا يجد شيئاً
 يكافئك به إلا ما حوله من الحجارة القاتلة ، هذا مثل للطيب
 والخبيث من الناس ، فالطيب لا يحسن النطق إلا بجميل
 الكلام وإن كان في منتهى الغضب ، والخبيث لا يعرف إلا
 خبيث القول وإن كان في حالة الرضا ، كل على حسب
 استعداده ، وكل إناء بالذي فيه ينضح - إن الدين الإسلامي
 وأهله لا يعرفان إلا خير الكلام ، ولا يليق بهما إلا ذلك .

نفعات الإسلام - -

ومن كان على غير هذا من فحش التعبير وسوء المنطق فليتكأكد أن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين ، فليعالج نفسه ليكون على الأقل مؤمناً . إن المؤمن لا يكون سبياً ولا فحاشاً ولا لعاناً ولا بذيئاً ولا طعاناً ، إن الفحش ليس من الإسلام في شيء ، كيف يلعن المؤمن أخاه ويطرده من رحمة مولاه فمن يرحمه إذن سواه ، ألا فليعلم اللاعن أنه مصب اللعنة تصعد إلى السماء فتغلق دونها أبواب السماء ، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق دونها أبواب الأرض ، فتأخذ يميناً وشمالاً فإن لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن ، إن كان لذلك أهلاً ، وإلا رجعت على قائلها ، فهؤلاء اللعانون إنما يلعنون أنفسهم ، والجاهل عدو نفسه ، لعنت امرأة أنصارية ناقة لها ضجرت منها في بعض أسفاره ، عليه السلام ، فسمع ذلك عليه الصلاة والسلام فقال :

« خُذُوا مَا عَلَى النَّاقَةِ وَدَعُوهَا فَإِنَّهُ لَا تَصْحَبُنَا نَاقَةٌ مَلْعُونَةٌ » .

قال عمر رضي الله عنه : (فكأنني أنظرها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد) هذا أيها الإخوان زجر بليغ ودرس عظيم لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وإذا كان هذا التشديد من الشارع في لعن الحيوان الأعجم فكيف يكون ذلك

في لعن الإنسان المؤمن المكرم ، ولذا شبه النبي ، ﷺ ، لعن المؤمن بقتله تحذيراً وتخويفاً ، لا أظن أيها المسلمون أن مؤمناً يعرف معنى الدين الذي يعتقده وينتسب إليه ويرجو به الفوز في الدنيا والنجاة في العقبى يقدم بعد هذا على سب الدين ، فإن قصد معنى ما ينطق به مستجيباً فقد ارتد والعياذ بالله ، وإلا استوجب غضب الله وسخطه واستحق أشد التعزير ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم - فالواجب على المرشدين والدعاة إلى الله والأولياء والأوصياء وأساتذة المدارس وأرباب الحوانيت مراقبة الأولاد ونصيحتهم وزجرهم إذا تكلم أحدهم بما لا يليق ، فإن السفيه إذا تكرر عليه الزجر والتحذير أدرك قبح سفاهته وخطر منطقة ، قال الشاعر :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى وَمَا لَكَ مَوْفُورٌ وَعَرَضُكَ صَيْنٌ
لِسَانَكَ لَا تَذَكَّرُ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ
وَعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايِبًا لِيُغَيِّرَكَ قَلْبُ يَاعَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لمراضيه ويجنبنا معاصيه ويجعل مآل كل منا خيراً من ماضيه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فضل الخير على المسلم

أيها السادة : الخير كلمة جامعة لخصال الكمال التي تصل ما بين المرء وربه ، وتصل ما بينه وبين الناس ، مثله كمثل شجرة طيبة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . فجدور الخير الإيمان بالله إيماناً لا يرقى إليه شك ولا يخالطه ريب يحول بين الإنسان وبين معصيته ربه ، ويدفعه دائماً إلى تقوى الله وطاعته ، وفي الحديث الشريف :

« لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرِبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ » .

هذا الإيمان الذي يكون لصاحبه كالصخرة العاتية التي تتحطم عندها الآلام والمصائب ، وصدق الرسول ﷺ ، إذ يقول « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » وجدوع الخير الإخلاص لله في الأعمال .

« وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ، وَيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ، « فَمَنْ كَانَ
يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا »

ويأبى الله أن ينظر إلى صورنا وأموالنا وأعمالنا ، ولكنه ينظر
إلى قلوبنا ونياتنا ، ويكافئنا على أعمالنا بقدر إخلاصنا .
فقد امتدح الله رسوله وأصحابه حيث يعملون لله لا يرجون
من أحد جزاءً ولا شكوراً إنما يبتغون فضلاً من من ربهم
ورضواناً ، فهم يطلبون الجزاء ممن يملك الجزاء .

« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا »
وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ
الشُّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ » .
وقال رجل يا رسول الله فيم النجاة غدأ ؟ قال : « أَلَّا تُخَادِعَ اللَّهَ ؟
قال : وَكَيْفَ أُخَادِعُ اللَّهَ قال : أَنْ تَعْمَلَ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ تَرِيدُ بِهِ
غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ » .

وفروع الخير مكارم الأخلاق والاستقامة على طاعة الله وأداء

الحقوق كاملة لله ولعباده ، ونشر الفضائل ومحاربة الرذائل ،
«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ،
وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إنَّ
الله لا يُحبُّ المفسدين» ، وثمار الخير التوفيق والنجاح والمحبة
والوئام ونجاة الأنفس والأموال واليمن والسكينة والطمأنينة ،
وفي الآخرة جنة عرضها السموات والأرض ورحمة من الله
ورضوان ومنازل الكرامة في دار النعيم . هذه ألوان الخير وثماره
الطيبة المباركة وهي كما ترون ليست أموالاً وبناءً ولا شيئاً
من عرض الحياة الأدنى وفتنتها الزائلة ولكنها أسمى وأعظم .
« وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » .

روي عن سيدنا علي قال : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ،
ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن تباهي الناس
بعبادة ربك ، فإن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت
الله ، ولا خير في الدنيا إلا لرجلين . رجل أذنب ذنباً فهو
يتداركها بالتوبة ، ورجل يسارع في الخيرات .

عباد الله المؤمنين : طوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير ، وسبباً

من أسبابه ، وكان مغلاقاً للشر وعقبة في سبيله ، وويل لعبد
خبثت نيته وفسدت طويته فجعل حياته تفريقاً بين المتحابين
وإيقاظاً للفتن وتفریطاً في جنب الله وأكلاً لأموال الناس بالباطل
وهضماً لحقوقهم ، واعتداءً على ضعيفهم ، وانتصاراً لقويهم ،
إنه حينئذ عدو للإنسان وعون للشيطان ، وحرب على الفضيلة ،
فهو ممن سماهم الله في كتابه الأشرار الفاسقين الظالمين المعتدين
المستكبرين المفسدين ، وليس له من الجزاء إلا ما قال الله تعالى :

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ
خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

عباد الله المؤمنين : افعلوا لخير دائماً ما استطعتم بأقلامكم
وبألسنتكم وبجواهركم وسلطانكم وبأموالكم وأنفسكم ، ولتكن
حركاتكم وسكناتكم وكل أعمالكم لأجل الخير وفي سبيله ،
ولكم في حياة سلفكم قدوة طيبة فكانوا يعيشون لإسعاد الناس
ويجوعون ليشبع الناس ، ويشقون ليسعد الناس ويسهرون لينام
الناس ويحترقون ليستضيئ الناس مما سبب لهم عز الحياة

ومثوبة الله تعالى ، فما استحق أن يولد من عاش لنفسه ، وطوبى
لعبد جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ، وويل لعبد جعله
مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير .

روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :
(لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ) .
وروى ابن ماجه بإسناده عن سهل بن سعد رضي الله عنهما
عن النبي ﷺ ، قال :

(وَإِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنٌ وَلِتلكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحٌ ، فَطُوبَى
لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحاً لِلْخَيْرِ مِغْلَاقاً لِلِشَّرِّ . وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ
اللهُ مِفْتَاحاً لِلِشَّرِّ مِغْلَاقاً لِلْخَيْرِ) .

إن الروح تبتهج وإن المشاعر تهتز وإن الصدر ينشرح إذا
رأى هذا العنوان الشريف ، ألا إنه عنوان الخير الذي جعله الله
رمزاً لعباده المؤمنين ، وأساساً صالحاً لبناء الأعمال الخيرية ،
فيه يكون انتظام الشؤون ، وسعادة الأحوال ، وهناء العيش ،
ونجاح الأعمال . اللهم كما أرشدتنا إلى الخير فوفقنا إليه
وهيئ لنا سبيل الدعوة إليه وأمدنا بروح من عندك حتى نلقاك
وأنت عنا راض يا رب العالمين .

الإحسان إلى الخدم

عن المعرور بن سويد قال : رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال : إني سابت رجلا فشكاني إلى النبي ، ﷺ ، فقال النبي ، ﷺ :

(أَعْيَرْتَهُ بِأَمِّهِ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوْلَكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ) رواه البخاري ومسلم .

المعرور بن سويد لقي أبا ذر بالربذة - موضع بالبادية بينه وبين المدينة ثلاث مراحل - وعليه حلة وعلى خادمه مثلها ، فسأله كيف يلبس خادمه مثل ما يلبس وذلك غير معهود فأجابه ببيان السبب وأنه حصل بينه وبين شخص سباب ومشاتمة ، وأنه غيره بأمه وعابه بها ، وقال له يا ابن الأعجمية أو يا ابن السوداء أو ما شاكل ذلك من الكلمات ، فشكاه إلى النبي ، ﷺ ، فقال له الرسول ، ﷺ ، أَعْيَرْتَهُ بِأَمِّهِ ؟ منكرأ عليه ذلك

إذ الأم لا دخل لها في الخصام ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال له :
إنك امرؤ فيك جاهلية ، أي خصلة من خصالها التي قضى
عليها الإسلام ، أن تعتدي في الخصام ، فتجاوز الخصم إلى
أبيه وأمه وما لهما من ذنب إليك ، ثم أوصاه هذه الوصية
القيمة التي رفعت من شأن الخدم فبين الرسول ﷺ ، أن
الخدم والماليك إخوان في الدين وتثبت حقوقهم في الإنسانية
وكان الظاهر أن يقول خولكم إخوانكم ، ولكن قدم ما أصله
التأخير اهتماماً بالأخوة وأنه لا ينبغي أن تنسيها الخدمة .
وهل الخدمة إلا إعانة فكيف نجعلها سبب تحقير وإهانة ؟
إن الأخوة وحدها داعية التبجيل والإكرام ، فكيف إذا
انضمت إليها الخدمة والمعونة والمساعدة ، إن كنت تحسب
أنك تطعم الخادم وتسقيه وتكسوه وتؤويه أو تنقده أجراً على
خدمته فلا تنس أنه يقوم لك بأمر أنت مضطر إليها في
حياتك وكثيراً ما تعجز عن معالجتها والقيام بها فهو يكمل
نقصك ويوفر عليك وقتك ويحقق غرضك ، وتصور الوقت
الذي تفقد فيه الخادم كيف تعتل أمورك ويقف دولابك ويختل
النظام وتتعسر الحاجات ؟ فالذي يكفيك شئونك ويحقق

مصالحك جدير بمعونتك خليك برعايتك ، فهؤلاء الخدم
الاخوان جعلهم الله تحت يدك ومكنت منهم بالملك أو الأجر
وصاروا مسخرين لك طواعية واختياراً ، فالواجب عليك
الاعتناء بهم والإحسان إليهم :

(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) .

فتطعمهم من جنس ما تطعم فلا تعد لهم طعاماً ولا عيشاً
دون عيشك وكيف تشتري طعاماً يطهوه الخادم ويعده وعينه
إليه ناظرة ويده فيه عاملة فتأكله كله ولا تبقي له بعضه
أما تخشى سم عينيه ؟ فإن كان طبيخك لحمياً وأرزاً وخضاراً
وحلوى فأبق له من كل ولا تحرمه من بعض ، واخل عنك
الكبر والتعاضم ، فلولا هذا الخادم ما طعمت الشهي ولا شربت
الهنئي ، وكذلك تلبسهم مما تلبس وإن لم يكن مثيله من كل
الوجوه ، فإن المدار على المواساة لا المساواة ، وفي حديث أبي
هريرة أن رسول الله ، ﷺ ، قال :

(إِذَا أتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ فَلْيَنَاولْهُ

لَقَمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أَكْلَةً أَوْ أَكْلَتَيْنِ فَإِنَّهُ وَلِيُّ عِلَاجِهِ (رواه البخاري .

فالغرض أن تكون نفوسهم قانعة وبحالهم راضية ، وقد نبأنا الرسول ﷺ ، أن لا نكلفهم من الأعمال ما يشق عليهم ويهد من قوتهم أو يستفرغ جهدهم بل التكليف بالسهل المستطاع الذي لا يسأمه الخادم فإن كلفناهم بالشاق وجب علينا أن نعينهم بنفوسنا أو بخدم إلى خدمنا ، والحديث نصر للعمال وأخذ بيد الخدم والغلمان ورفع لمستواهم وتنبيه لهم إلى حقوقهم قبل ساداتهم وإرشاد لأرباب البيوت أن يفتقوا منهم موقف العدالة ولا يتناسوا رابطة الأخوة ولا تبادل المنافع ، وفيه النهي عن السباب للخدم وعدم التعرض لآبائهم وأمهاتهم بما يسوؤهم أو يحط من قدرهم ، وبعد فهذه عدالة الإسلام وهذا موقفه نحو الأرقاء والخدم ، وهذا حرصه على مصلحة العمال ، فهل بعد هذا رقي دين ؟ في إكرام المالك والخدم .

الوصايا النبوية

عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أوصني قال :
(أوصيك بتقوى الله فإنه أزين لأمرِك كله قلت : زدني
قال : عليك بتلاوة القرآن وذكر الله فإنه ذكرٌ لك في السماء
ونورٌ لك في الأرض قلت : زدني قال : عليك بطول الصمت
فإنه مطردة للشيطان وعونٌ لك على أمر دينك قلت : زدني
قال : إياك وكثرة الضحك فإن كثرة الضحك تُميت القلب
وتذهب بنور الوجه ، قلت : زدني قال : قل الحق وإن كان
مراً ، قلت زدني قال : لا تخف في الله لومة لائم ، قلت
زدني قال : ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك) .

أخرجه البيهقي وأحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه
والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد عن موهب مولى بني
هاشم قال سمعت أنس بن مالك يقول قال رسول الله ﷺ ،
لفاطمة رضي الله عنها :

« مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكَ ؟ تَقُولِينَ إِذَا أَصْبَحْتَ
وَإِذَا أَمْسَيْتِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، زَادَ هَرُونَ

أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ وَلَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ .

أَخْرَجَهُ ابْنُ السَّيِّدِيِّ وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْبَزَارِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ
وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ :

« إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاتَّبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا ، قَالَ قُلْتُ أَمِنَ
الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ . هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ » .

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنِ الصَّنَابِحِيِّ عَنْ مَعَاذٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، أَخَذَ
بِيَدِ مَعَاذٍ وَقَالَ :

(وَاللَّهِ يَا مَعَاذُ إِنِّي أُحِبُّكَ فَأَوْصِيكَ أَنْ لَا تَدَعَنَّ دُبْرَ كُلِّ
صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، أَوْصَى رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مِنْجَعَهُ أَنْ يَقْرَأَ سُورَةَ

الْحَشْرِ وَقَالَ :

(إِنَّ مُمَّتًا مُمَّتٌ شَهِيدَاتٌ)

أَخْرَجَهُ ابْنُ السَّيِّدِيِّ فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ . وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ

عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ ، أوصى رجلا فقال :
(إِذَا أَرَدْتَ مَضَجَكَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ اسَلِّمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ
وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَالْجِبَاتُ ظَهْرِي
إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَنَاجَا وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ،
آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) .

أخرجه البخاري في صحيحه . عن ضرغامه بن علي بن
حرملة العنبري قال حدثني أبي قال : أتيت رسول الله ﷺ ،
فقلت يا رسول الله أوصني :

(قَالَ اتَّقِ اللَّهَ فَإِذَا كُنْتَ فِي مَجْلِسٍ فَقُمْتَ مِنْهُ فَسَمِعْتَهُمْ
يَقُولُونَ مَا يُعْجِبُكَ فَاتِهِ وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ مَا تَكْرَهُ فَاتْرُكْهُ) .

أخرجه ابن سعيد وأحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه
أنه قال لرسول الله ﷺ ، أوصني قال :

(أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِيكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ) .

أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص وابن أبي حاتم
والحاكم وصححه ، والبيهقي في شعب الإيمان . عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قلت يا رسول الله أوصني قال :

(أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَدِّ الزَّكَاةَ وَصُمْ رَمَضَانَ وَحُجَّ وَاَعْتَمِرْ وَبِرِّ
وَالدَّيْكَ وَصِلْ رَحِمَكَ وَاَقْرِ الضَّيْفَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَزُلْ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ زَالَ) .

أخرجه الحاكم وصححه . عن أبي هريرة وأبي الدرداء كلاهما
قال أوصاني رسول الله ، ﷺ ، بثلاث لا أدعهن في سفر ولا
حضر . صوم ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وأن
أوتر قبل أن أنام ، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي
والنسائي . عن أبي ذر قال أوصاني خليلي ، ﷺ ، بخصال من
الخير ، أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقني وأن أنظر إلى من
هو دوني ، وأوصاني بحب المساكين والدينو منهم وأوصاني أن
أصل رحمي وإن ادبرت وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة
لائم ، وأوصاني أن أقول الحق ولو على نفسي وإن كان مرأ ،
وأوصاني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز
من كنوز الجنة ، أخرجه الطبراني وابن حبان في صحيحه
واللفظ له . عن أبي أسامة رضي الله عنه قال : قال معاذ يا رسول
الله أوصني قال :

(اَعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَاَعْمَلْ لِلَّهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ،

واعْتَدُّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتِ ، وَاذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ ،
وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاغْمَلْ بِجَنْبِهَا حَسَنَةً ، السِّرُّ بِالسَّرِّ وَالْعَلَانِيَةُ
بِالْعَلَانِيَةِ .

اخرجه الطبراني . وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن
أن رجلا قال للنبي ، ﷺ ، أوصني قال :

(لَا تَغْضَبْ يَا مُعَاوِيَةَ بْنَ حَيْدَةَ : إِنَّ الْغَضَبَ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ
كََمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعُسْلَ) .

اخرجه الحاكم والترمذي في نوادر الأصول والبيهقي .
عن سعد بن أبي وقاص قال أتى رجل رسول الله ، ﷺ ، فقال
يا رسول الله أوصني وأوجز فقال :

(عَلَيْكَ بِالْيَأْسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ
حَاضِرٌ وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَدِرُ مِنْهُ) .

أخرجه الحاكم والبيهقي واللفظ له وأحمد في الزهد . عن
أسود بن أصرم الحارس قال قلت يا رسول الله أوصني قال :

(هَلْ تَمْلِكُ لِسَانَكَ ؟ قُلْتُ فَمَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ لِسَانِي ؟

نفحات الاسلام - ٢٤

قَالَ فَهَلْ تَمْلِكُ يَدَكَ ؟ قُلْتُ فَمَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ يَدِي ؟
قَالَ فَلَا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلَّا مَعْرُوفًا وَلَا تَبْسُطُ يَدَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ .

بر الوالدين

إِعلموا رحمكم الله تعالى . أن بر الوالدين أكد حقوق المخلوقين
وأولاهما ، وقد قرن الله سبحانه وتعالى بين حق الوالدين وحقه
في كتابه العزيز فقال تعالى :

(أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ) .

وقال تعالى :

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) .

وأخرج مسلم في صحيحه بإسناده عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

(رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ

اللَّهِ ؟ قَالَ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ لَمْ
يَدْخُلِ الْجَنَّةَ) .

والمعنى أن بر الوالدين من موجبات دخول الجنة سيما عند

كبرهما واحتياجهما إلى بر ولدهما وخدمته فمن أدرك أبويه

أو أحدهما عند الكبر عرضت له فرصة إن انتهزها دخل الجنة
فمن لم ينتهز تلك الفرصة رغم أنه ثم رغم أنه يعني ذل
وخسر وأخرج أحمد بإسناد حسن عن النبي ﷺ ، قال :

(مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ لَمْ يُغْفِرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى)

وبر الأباء من موجبات بر البنين ، فقد روى الطبراني
بإسناد حسن عن النبي ﷺ .

(يَرَوْا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاءَكُمْ وَعَفَّوْا تَعَفُّ نِسَائِكُمْ) .

صدق رسول الله ﷺ ، أن الفتى كما يدين يدان ، وأني
لأذكر أنني يوماً رأيت رجلاً يضرب أباه في غرفة فأقشعر بدني
وبالغت في زجره فقال لي الأب : هون عليك فإني ضربت قبله
أبي في هذه الغرفة نفسها فكان هذا جزاءً وفاقا ، نسأل الله
السلامة ، وبر الوالدين ليس في حال الحياة فقط بل في الحياة
وبعد الممات . فقد أخرج أبو داود أن رجلاً قال يا رسول الله
بقي علي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال :

(نَعَمْ ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا ،
وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تَوْصَلُ إِلَّا بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقَيْهِمَا) .

وقد يكون الولد عاقاً لأبويه في الحياة فلا يزال بعد موتهما يستغفر لهما ويتصدق عنهما ويصل رحمهما ويندم على معاملته لهما في حياتهما حتى يكتب عند الله باراً ، فقد أخرج الحافظ البيهقي بإسناده عنه ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قال :

(إِنْ الْعَبْدُ يَمُوتُ وَالِدَاهُ أَوْ أَحَدَهُمَا وَإِنَّهُ لَهْمَا لِعَاقٍ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو لَهُمَا وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمَا حَتَّى يَكْتُبَهُ اللَّهُ بَارًا) .

وأخرج البيهقي أيضاً عنه ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قال :

(مَا الْمَيِّتُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا كَالْغَرِيقِ الْمُتَغَوِّثِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةَ تَلْحَقُهُ مِنْ أَبِي أَوْ أُمٍّ أَوْ أَخٍ أَوْ صَدِيقٍ ، فَإِذَا لَحِقَتْهُ كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَإِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ مِنْ دُعَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ يَعْنِي مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَإِنَّ هَدِيَّةَ الْأَحْيَاءِ إِلَى الْأَمْوَاتِ الْاسْتِغْفَارُ لَهُمْ) .

وأخرج أحمد في مسنده عنه عليه الصلاة والسلام قال :

(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبُّ : أَنَّى لِي هَذَا ؟ فَيَقُولُ بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ) .

وينبغي الاهتمام أيضاً باكرام صديقهما فقد روى مسلم عن النبي ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قال :

(إِنَّ بِرَّ الْبِرِّ صَلَّةُ الرَّجُلِ أَهْلُهُ وَوُدُّ أَبِيهِ)

وفي صحيح ابن حبان عن أبي بردة رضي الله عنه قال :
قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر قال أتدري لم أتيتك
قلت لا ، قال : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول :

(مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ) .
وأنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن
أصل ذلك وليحذر من العقوق فإنه من الكبائر ، أخرج النسائي
بإسناد جيد عن النبي ، ﷺ .

(ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ ،
وَمُذْمِنُ الْخَمْرِ وَالْمَنَانُ ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ . الْعَاقُ
لِوَالِدَيْهِ وَالذُّيُوثُ وَالذُّيُوثُ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يُقِرُّ الْخُبْثَ فِي
أَهْلِهِ ، وَالرَّجُلَةُ الْمَرْأَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ) .

ومن العقوق شتم الناس حتى يشتموه في أبويه .

ففي الصحيحين عن النبي ، ﷺ ، قال :

(مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
وَهَلْ يَشْتَمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا

الرَّجُلُ فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ . فَيَسُبُّ أُمَّهُ) .

وفي صحيح ابن حبان عن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

(لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ . لَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ) .

وعند الحاكم عنه صلى الله عليه وسلم قال :

(كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مَا شَاءَ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا
عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ . فَإِنَّ اللَّهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ
الْمَمَاتِ) .

وينبغي أن يزيد أمه في البر فإن حقها أكبر وهي أرأف به
وأضعف .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

جاء رجل إلى رسول الله ، ﷺ ، فقال يا رسول الله : (مَنْ
أَحَقُّ النَّاسِ بِصَحَابَتِي ، قَالَ : أُمَّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ، قَالَ :
أُمَّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ، قَالَ : أُمَّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ، قَالَ : أَبُوكَ)

السيرة النبوية

السيرة النبوية العطرة هي سفر الخلود ، وسر العظمة والنبوغ
إذا تأملنا أسرارها وحللنا مواقفها ودرسنا أحوال مشاهدتها
وغزواتها وسراياها نجد أنها دروس شيقة محسوسة تنير لنا
سبيل السعادة والهداية وتأخذ بأيدينا - إذا اعتبرنا بها - إلى
أوج العزة والسؤدد ، ألسنا ننشد الحضارة والتقدم والتمدن ؟
ألسنا نطلب القوة والنصر والحياة الطيبة . حياة الاستقلال
والهناء ؟ ألسنا نريد أن نفكك عنا قيود الجهل والفقر والمرض ،
ونحيا حياة النظام والإخلاص والعمل والشعور بعظيم المسؤولية ؟
إن كل ما ننشده ونطلبه ونريده هو ملموس في سيرة النبوية
ولنفكر في أهدافها السامية وأسرارها الكبرى دراسة تحليل
وتنفيذ ، دراسة اتباع واعتبار ، لنقرأها في مدارسنا ومساجدنا
ولنلقنها أولادنا ونساءنا ، وليختر المدرسون والخطباء والمحاضرون
بعض الغزوات الشريفة ليتكلموا عن عجائبها ويكشفوا النقاب
للعوم عن فحواها وآثارها ، ولنذكر مناقب المهاجرين وفضائل
الأنصار رضي الله عنهم ، لنمتلئ بحبهم وتقديرهم ، ولننشر

سير الشخصيات الإسلامية من قواد الإسلام وأبطال الفتوحات والعلماء من الحفاظ والقراء ، والأدباء ، والشعراء ، والكرماء والأجواد ، ليعرف النشء تواريخ الآباء والأجداد الصيد المغاوير أولي المعالي السواحق والهمم العوالي والآثار الخالدة والأعمال النافعة والنيات الصالحة .

أليس هذا هو الواجب المفروض علينا يا شباب الإسلام ؟
فإن السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي مع ما فيهما من سر عظيم ومجد شامخ وفخر أعلى وعز مكين وأخبار صادقة ومعجزات خارقة ودروس حيوية نافعة - وقد وجدا من أبناء الإسلام من يصدف عنهما إلى روايات كاذبة وأخبار ملفقة وآراء خاطئة ومظاهر هدامة وعناوين مغرية وأساليب عقيمة ، وكل هذا إنما وقع بسبب حرية الطبع والنشر في الخارج وإطلاق الحبل على الغارب وإهمال المراقبة الدينية وحب المادة وإيثار الأغراض والهوى وإسناد الأمر إلى غير أهله . فيؤلف الرجل في غير فنه فيأتي بالعجائب ، فكم جرت هذه المصائب على الإسلام ويلات مؤلمة يصبو إليها الإلحاد ويشعلها أهل الفساد تقشعر منها جلود المتقين ، وتنفر من عواقبها أفئدة المؤمنين ،

لكن للدين رباً ، ورب الدين يحميه .

أليس من العار أن يجهل أبناؤنا سيرة رسولنا الأكرم وسير أبطالنا وعلمائنا ، مع العناية بدراسة من لا يستحق عناية ، من غير المسلمين ؟ إن هذا لعار عظيم ، ما أخطر هذه الروايات الغرامية ، والصور الفاتنة ، والقصص الملققة ، يزداد بها الفتى ميوعة ورقة ، وعشقا وفتنة ، فمتى نجد أبطال الدفاع وأسود العرين وأشبال القوة ورجال الغد ، إذا لم يقرأ الشباب أخبار الشجعان وسير الأبطال ويحفظوا أشعار الحماسة ويظهروا بمظهر الرجولة ؟ وكيف يشحدون عزائمهم ويلتهبون غيرة للدين ودفاعاً عن الوطن العزيز ؟ آه آه من تيار البلاء ومصائب الحضارة ووسائل الإلحاد ما أكثر انتشارها في هذا العصر ! .. إن بعض الكتب العصرية مملوءة بالمطاعن في دين الإسلام وتاريخ المسلمين وقرآنهم وحضارتهم تحت ستار النصح والنقد ، تطبع وتنشر ثم تسمع الضججة في الأندية والصحف والمجلات ولكن كل ذلك لا يفيد .. إننا لنحادر ونخاف ونصحح وندعو ، ونحن والحمد لله مأزر الإيمان مع حرص الراعي ورجاله ، وفقهم الله على نصر الدين وحماية الأخلاق والأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر والمحافظة على الحياء ، فكيف لو كنا والعياذ
بالله في وسط الحرية والفتن .. ؟ ما أصعب تربية الأبناء تربية
إسلامية محمدية في العالم الإسلامي اليوم مع انتشار الملاهي
والفتن .. إنها لكبيرة إلا على مرب مخلص ماهر .

هذا ولنورد موجزاً لبعض نواحي السيرة النبوية ، فكل
نواحيها هدى ونور وإصلاح .

١ - نشأ نبينا محمد ، ﷺ ، يتيماً فكفله عمه أبو طالب
وأدبه الله فأحسن تأديبه ورباه واصطفاه « فالواجب علينا
تربية أيتام الإسلام لأنهم أبناء الأمة كلها ، قال الله تبارك
وتعالى :

(وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ) .

والأيتام والمساكين أوصانا الله بهم بأبلغ بيان حتى كأن
النجاة من العذاب والتخلص من الذنب لا يتمان إلا برعايتهما ،
قال تعالى :

(فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ؟ فَكُ رَقَبَةً أَوْ
إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ "أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ") .

وقال تعالى (وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) .

٢ - كان النبي ﷺ ، يرعى الأغنام لأهل مكة على قراريط ليترقى من رعي الأغنام إلى رعاية الأنعام وليمتلئ فؤاده الشريف رحمة وحناناً .. هذا درس عظيم يعلمنا فضل العمل ويحذرننا البطالة والكسل ، إن الله يحب المؤمن المحترف ، وما أكل أحد طعاما قط خيراً له من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده . إن العامل عضو نافع في جسم الأمة ، والهامل عضو أشل ، إما أن يعالج فيصلح أو يقطع خشية ضرره ، فالإسلام دين العمل والعلم ونظام الدين والدنيا ، وسعادة الدنيا والأخرى .

٣ - كان رسول الله ﷺ ، مشهوراً بالصدق والأمانة حتى لقبوه بالأمين .. وهنا تعلم كيف أعده الله لتحمل رسالته فحلاه بوسام الأمانة الذهبي فحاز كمال الثقة والتقدير ، فليعلم أرباب الوظائف والأعمال أن الأمانة هي أول واجباتهم فلا نجاح إلا بالأمانة ، قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ » .

٤ - كان صبره ، ﷺ ، على تحمل الأذى في سبيل نجاحه
درساً جليلاً للزعماء والمصلحين أن يتدربوا بالصبر والثبات
فهذا طريق السعادة .

أيتها الدنيا لقد جاءك سيد الصابرين وإمام المصلحين :

جَاءَكَ الْمُنْقِذُ الْمُحَرَّرُ لَا يَتْرُكُ قَيْدًا وَلَا يُغَادِرُ نِيرًا
وَرِثَ الْمَالِكِينَ وَالرُّسُلَ الْهَامَا دِينَ بِالْحَقِّ أَوْلًا وَأَخِيرًا
الْحَكِيمُ الَّذِي يَهْدُ وَيَبْنِي فَيُجِئُ الْبِنَاءَ وَالتَّدْمِيرًا
وَالزَّعِيمُ الَّذِي يَسُنُّ وَيَقْضِي لِبَنِي الدَّهْرِ غُيْبًا وَحُضُورًا
تَتْرَامِي الْأَجْيَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ تَتَلَقَّى النُّظَامَ وَالِدُسُورًا
رَبُّ آتَيْتَنَا هُدَاكَ وَأَنْزَلْتَ عَلَيْنَا كِتَابَكَ الْمَسْطُورًا
فَلَكَ الْحَمْدُ وَافِرًا مُسْتَمِرًّا وَلَكَ الشُّكْرُ بَاقِيًا مَشْكُورًا

الطب النبوي الشريف

الحمد لله الذي بعث رسوله الأمين بالحكمة والنور المبين ونزل عليه الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا المحبوب الذي شفى الله به من العلل القلوب وأصحابه الأئمة الأخيار والسادة الأبرار .
أما بعد :

فإن موضوع حديثنا هذا هو الطب النبوي الشريف .
أيها الأخوة في الله :

جاء نبينا ، ﷺ ، بالهداية والإرشاد فاستنارت برسالته البشرية وأشرق بهدايته العالم وفتح الله به أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً واذناً صماً وكان رحمة للعالمين انقشعت به سحب الجهالة وانزاحت به ظلمات الضلالة مذ بعث بهذا الدين الحنيف الذي اشتمل على جميل المحاسن وجميل الفضائل فقد مكث ، ﷺ ، بمكة ثلاثة عشر عاماً وذلك دوراً لبعثته يدعو إلى دين ربه يعالج أولئك العرب الأميين بدينه الرباني وطبه الروحاني حتى أخرجهم من الظلمات إلى النور فصاغهم إخواناً متحابين أنصاراً ومهاجرين

واستبدلوا بالتفرق اتحاداً وبالخمول شهرة وبالجمود تفكيراً
ناضجاً وبالعداوة محبة وبالضعف قوة وبالذلة عزة وبغلظ
الأكباد وجفأ الطباع مدنية وحضارة .

الله أكبر

ما أجل هذا الحكيم الداعي لقد صاح بهم أن آمنوا بربكم
فآمنوا ثم أقبلوا على نواحي حياتهم وتدبير شؤونهم فما كان
من خلل أصلحوه وما ظهر من عوج قرّموه فبنوا مجدداً وسيادة
ونالوا بذلك الفلاح والسعادة وكانوا خير أمة أخرجت للناس
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

أجل : إنها لنفوس عالية قومها القرآن وشفاهها من عللها
وتعهدتها سيد ولد عدنان نبي الهدى فسقاها من سلسبيل سنته
ورواها من ترياق حكمته فشفيت من سقامها وآلامها ونهضت
بعد كبوتها وغفلتها - ولا عجب في ذلك فقد قال الله تعالى وهو
أصدق القائلين (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين) وقال تعالى : (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء)
وقال تعالى : (وإذا مرضت فهو يشفين) وقال تعالى : (يا أيها
الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور)

وقال تعالى : (ويشف صدور قوم مؤمنين) ولما كان الإسلام دين الإصلاح والحضارة دين العلم والمدنية دين الرقي والخلود جاء بصلاح الدين والدنيا وبطب الأرواح والأشباح وبتنظيم المبدأ والمعاد فكان رحمة للعالمين ولهذا اشتمل على أصول دينية وآداب خلقية وقوانين جنائية ودساتير اجتماعية وارشادات طبية كلها تعود بالنفع العام على متبعيه دنيا وأخرى كما حمل وعياً جديداً حول مجرى الحياة الإنسانية فكان نوراً مضيئاً استنارت به البشرية وأشرق به الكون عند نزول المشكلات فأفاض عليها ظهوراً وتحليلاً وتوجيهاً - فهذا هو الرسول الكريم نبي الإسلام طبيب الإنسانية الكامل يتلقى طبه من لدن حكيم عليم - يدعونا إلى تزكية الأرواح ويحض على تقوية الأبدان ذلك لأن العقل السليم في الجسم السليم وبصحة الجسد يستطيع المؤمن أن يؤدي فرائض ربه تبارك وتعالى ويأتي بأنواع العبادة فالصحة هي رأس ماله وأساس بنائه ، إذ لا عمل إلا بالصحة ولا يستطيع الإنسان أن يقوم بالمأمورات من صلاة وصيام وحج وجهاد وغزو وطلب علم إلا بالصحة - إن الإنسان المريض لا يصلح أن يكون عضواً في الهيئة الاجتماعية ولا يقدر

أن يقوم بواجبه المقدس ولن تكون له فرصة ليسيير في موكب الحياة مع إخوانه الأقوياء وما ذلك إلا لأنه واهي البدن منحل القوى مضطرب المزاج لا يستفيد منه المجتمع بخلاف المؤمن القوي يقوم بواجبه أحسن قيام ولهذا صارت له مزية ومنزلة على المؤمن الضعيف - فقد روي مسلم بإسناده أن النبي ﷺ ، قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » بل قد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن للصحة البدنية مع حسن الخلق وسلامة الدين ميزة محمودة ففي سورة البقرة خطاباً لبني إسرائيل في وصف طالوت : (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) وقد بينت الآيات الكريمة أن الله اختار طالوت وفضله عليهم لأمرين : الأول - بسطة في العلم وهو السعة في العلم الذي يكون به التدبير في إصلاح شؤون الأمة وتنظيم أحوالها .

الثاني - بسطة الجسم لأن الكمال الجسماني مستلزم لصحة الفكر . وهذه ابنة شعيب صفوك حكي الله عنها قولها لأبيها تصف موسى عليه السلام (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) فبين الروح والجسد صلة متينة فلا تنتظم

الحياة لإبراعة طب الأديان - أولاً - ثم بطب الأبدان - ثانياً - والإسلام راعى في تشريعاته الطيبين ولا يخفى الصبح على ذي عينين لذا جاءت معاجم السنة النبوية بالإشارات البينة الواضحة لاتخاذ وسائل الصحة البدنية والوقاية الصحية وعقد الأئمة المحدثون في أصولهم أبواباً لبيان الطب النبوي الشريف مما يدل على كمال طبه الشافي واهتمامه الوافي ولقد أوصى النبي ﷺ ، المريض بطلب الدواء لدائه وقوى في نفسه حالته المعنوية لیتفاءل خيراً بعلاجه فلا يدب اليأس لنفسه وهذا علاج نفسي هام فقال ، ﷺ ، « لكل داءٍ دواءٌ » فإن تحصل دواءٌ لدائه بريئ بإذن الله عز وجل - وقال كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه « وما أنزل الله من داءٍ إلا أنزل الله له شفاءً » وفي مسند الإمام أحمد عن أسامة بن شريك ، قال : كنت عند النبي ﷺ ، فجاءت الأعراب فقالوا أنتداوى يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، يا عباد الله تداووا فإن الله لم يدع داءً إلا وضع له شفاءً غير داءٍ واحد ، قالوا : وما هو ؟ قال : الهرم . وقد نصح ، ﷺ ، بالحماية من المؤذيات والوقاية خير من علاج وأمر بالنظافة بتقليم الأظفار وحلق العانة ، وتنظيف الأسنان بالسواك ، وغسل

نفحات الإسلام - ٢٥

الأنف بالاستنشاق والاستنشاق ، تنظيفاً لمسالكه لأنه أساس الدورة الهوائية وإزالة لما علق به من غبار أو أذى - كل ذلك ليكون امثالاً - أولاً - لأمر الله عز وجل وتتهيأ لعبادته ومناجاته - وثانياً - لإزالة الأوساخ ودفن الأتربة - وثالثاً - لمحاربة الجراثيم الفتاكة التي تكمن في المنافذ البدنية وإفراز السموم التي تغير اللثة والمعدة .

ولذا قال النبي ﷺ: « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة كما امرتهم بالوضوء » ولا يخفى أن الفم هو طريق الأطعمة والأتربة فلا يخلو من أن تتراكم فيه بقايا الأطعمة بين الأسنان فتسبب السوس الذي ينخرها ويفسدها هذا وقد أباح الإسلام الفطر للمسافر في رمضان حتى لا تجتمع عليه مشقة السفر ومجهود الصوم فتضعف قوته ويفقد الحصانة عن مقاومة الأمراض ، كما أباح للمريض أن يفطر لئلا يزداد مرضه فيقل غذاؤه ، قال الله تعالى : (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعده من أيام أخر) وأباح لمن خاف المرض أو تأخر البرء باستعمال الماء في وضوء أو غسل أن يتيمم ، قال تعالى : (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط

أَوْ لَا مَسْتَمِ النَّسَاءِ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا . . . (الآية)
وهذا كله من قبيل الحمية عما يؤدي لتحسين البدن كيما
يقوى على مقاومة الأمراض كما أباح للمحرم إذا كان مريضاً
أو به أذى من رأسه وآذاه هوام شعره أن يزيل شعره ويفتدي ،
قال تعالى : (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية
من صيام أو صدقة أو نسك) ومن الإرشادات الإسلامية التي
تضمنت أنواع الوقاية من الإصابات ما جاء في السنن من النهي
عن قضاء الحاجة من بول أو براز في الطريق التي يتمشي فيها
الناس أو في الظل الذي به يستظلون ومن ذلك موارد مياههم
التي عليها يجلسون كشواطئ الأنهار وغيرها - فقال ، صلى الله عليه وسلم :
« اتقوا الملاعن الثلاث » قيل وما الملاعن الثلاث يا رسول الله
قال : « أن يجلس أحدكم في ظل يستظل به أو في طريق أو
في نقع ماء » .

وسماها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ملاعناً لأن الناس تلعن من يفعلها
ولأن هذا الصنيع من قذارته ونفور النفوس منه يولد أمراضاً
وبائية وينشر جراثيم فتاكة كما ثبت ذلك في الطب الحديث ..
وكثيراً ما تنتشر الأمراض عند من لا يعتني بالبعد عن ذلك

ويتحرز من هذا الصنيع - وقد أرشد النبي ﷺ ، إلى تغطية الأظعمة وربط أو كية القرب وحذر من ترك أواني الطعام أو الشراب مفتوحة ليلا فقال عليه الصلاة والسلام : « أطفئوا المصابيح بالليل إذا رقدتم وأغلقوا الأبواب وأوكثوا الأسقية وخمروا الطعام والشراب » .

أليس كل هذا درساً وقائياً محذراً من الأمراض وأسبابها خوفاً من سقوط الحشرات المؤذية في المطاعم والمشروبات وابتعاداً عن أسباب التلف ووسائل الخطر من هذا الرؤوف الرحيم . ولهذا أمر ﷺ ، بالبعد عن أصحاب الأمراض استعمالاً للأسباب وهذا لا ينافي التوكل على الله عز وجل الذي أمر بالتوكل وربط الأسباب بمسبباتها ، فقال ﷺ : « فر من المجذوم فرارك من الأسد » وهذا من أعظم تعاليم الإسلام للوقاية من الأمراض ومن ذلك عزل المرضى عن الاختلاط بالأصحاء لقول النبي ، ﷺ : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها » وقد جاءت في القرآن الكريم آية كريمة تدل على تحريم وطء الحائض وهذه معجزة علمية إسلامية - قال تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ

أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) -
فقررت الآية أن الحيض أذى ضاراً وهو كذلك لأنه يولد
التهابات في الجهاز التناسلي فتقوى الجراثيم المرضية وتضعف
درجة الحموضة المقاومة فيضر بالزوجين معاً وبالجنين أيضاً .

ولن يقف الإرشاد النبوي في الوقاية على حد الإنسان بل بين
النبي ، ﷺ ، الوقاية للحيوانات فقال عليه الصلاة والسلام :
« لا يورد ممرض على مصحح » ومعنى الحديث لا يورد صاحب
الإبل المريضة إبله على صاحب الإبل السليمة .

قال الشاعر :

ولا ينفخ الجرباء قرب صحيحة إليها ولكن الصحيحة تجرب
الله أكبر ...

ما أعظم هذا الطب الوقائي في الإسلام الذي جاء قبل أربعة
عشر قرناً والطب البشري كان حينئذ يرسف في أغلال الخفا
والاشكال قبل عصر الاكتشاف والاختراع .

هذا : ومن التشريعات الوقائية المحرمات التي حرم الله تعالى
تناولها على عباده لحكمة ربانية وأسرار تشريعية نؤمن بها سواء

فقهنا سرها أم لا - غير أننا نذكر بعض ما قيل في الطب الحديث تنويراً للأذهان مثل الميتة والدم ولحم الخنزير ونحو ذلك - لأن الميتة لا تزال فيها مواد ضارة للإنسان وربما أدى الأكل منه إلى الوفاة نتيجة التسمم ومهما عقم بطريق النار لا يطهر من الجراثيم كالحيوان المريض الذي انحلت فيه الأنسجة فأدى ذلك إلى تغير في لحمه وقيمته الغذائية وقابليته للهضم بخلاف لحم الحيوان السليم الذي يذبح ويصفى دمه ويذكر عليه اسم الله تعالى فإن ذلك أحسن غذاء للإنسان ؟ - قال الله تبارك وتعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ) صدق الله العظيم .

إن الدم ينقل شتى الجراثيم ويولدها ويحمل سمومها وفيه إفرازات يجب التخلص منها ، كما أن لحم الخنزير حرم الله أكله لأن أكثر لحوم الخنازير تحتوي على ديدان وتنقل بعض الجراثيم العفنة ، كما أثبت ذلك الأطباء الأخصائيون فتسبب للإنسان تسمماً حاداً مصحوباً بالتهابات شديدة .

ولقد حرم الله تعالى أكل المنخنقة ذاك لأن الاختناق يجعل

لحم الحيوان المخنوق أسرع إلى التعفن فلا تصلح المنخقة للغذاء لتغير لحمها وكآبته واسوداده . وحرّم أيضاً الموقوذة وهي المضروبة المشرفة على الموت والمرتدية الساقطة من مكان عال فتموت من أثر الصدمة ، والنطيحة التي ماتت من أثر عراكها من النطح مع مثيلاتها ، فكل ذلك لا يصلح للأكل .

هذا وقد قرر النبي ﷺ ، أصول العلاج ، وذلك بتعديل الأمزجة إذا طغى منها شيء ، فقال ، ﷺ : أن يكون الشفاء ففي ثلاثة : في شربة عسل ، أو شرطة محجم ، أو لذعة من نار ، ولا أحب أن أكتوي .

فقوله عليه الصلاة والسلام : « شربة عسل » لتعديل غلبة الصفراء ، وقوله ، ﷺ : « شرطة محجم » لتعديل غلبة الدم ، وقوله عليه السلام : « أو لذعة من نار » لتعديل غلبة البلغم الذي يمنع جريان الدم ، كما أنه ، ﷺ ، أرشدنا إلى أن لأبداننا علينا حقا ، فلا بد من الراحة وأخذ البدن كفايته من النوم ، فمن جار على بدنه بالتكلف جار عليه أيضاً بالإنحلال ، وقال ﷺ ، لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وكان يقوم الليل ويصوم النهار : « إن لجسدك عليك حقا فقم وأفطر

ونم وصم « ، وقال ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يَشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدَدُوا وَقَارَبُوا » وحذرنا من الإسراف في تناول الطعام والشراب إطاعة للجشع النفساني ، فقال ، صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ ابنُ آدم وعاءَ شراً من بطنه بحسب ابنِ آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محال فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

ولهذا قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز مشيراً إلى هذا النظام الطبي الجليل في الحياة الإنسانية : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) هذه آية واحدة جمعت نظاماً طبيّاً شاملاً .

وقد أنشدني السيد العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله مفتي حضرموت وشاعرها عن السيد أبي بكر بن شهاب قوله :

لقد جمع الله في آية من الذكر في طبنا ما يجب
فقال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب

وقد أمرنا الشارع الحكيم بالصيام لإراحة للجهاز الهضمي ليحصل له الاستجمام والهدوء في شهر كامل من العام ،

وتستعيد المعدة بعد ذلك نظامها الجديد بعد الصيام وهذا من
الشارع الحكيم اعتناءً بأمر الحمية التي هي رأس الدواء
وأُس الصحة .

وقد حث الإسلام على مراعاة النظافة وندب إليها ، فجعل
الطهور مفتاحاً لأشرف عبادة ، وأجل قربة وهي الصلاة ، فقال
ﷺ : « مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ » .

فالدين يطلب من المرء أن ينظف نفسه خمس مرات في اليوم
في أوقات متفاوتة ليدل دلالة قاطعة على مدى ما يفرضه فرضاً
على الصحة الشخصية حتى يتهيأً لمناحاة مولاه ويتدبر آياته ،
ولم يفرض الله تعالى هذه النظافة ليشق علينا ولكن ليطهرنا
لعبادته ، ويؤهلنا لمناجاته ، ومن ثم ليتم علينا نعمة الحياة
والهناء والعقل ، ولا شك أن المؤمن النظيف أعذب مواجهة ،
وأحسن ريحاً ، وألطف مجابهة ، وأسلم ملامسة ، وأزكى نفساً .
والإسلام دين النظافة يحافظ على مراعاة الصحة ، ويحث
على أعمال الجهد في تنظيف الثياب والمسكن والأواني حتى جعل
النظافة من الإيمان ، وراعى الناحية الصحية في التعامل والحضر
والسفر والنوم والعمل تمام المراعاة .

ومن المعلوم أن بلاد العرب تكثر فيها الرياح العاصفة فثثير
رمالا هوجاءً تدخل من وقتها بين جسد المرء وشعاره فتتراكم مع
العرق التي سببته الشمس اللافتحة فتحدث قذارة ورائحة تزكم
الأنف وتعمي النفوس ، فكيف تسلم صحته وتصلح مناجاته ،
لذا شرع الله الوضوء وجعله خمس مرات ، ثم إن الشارع
الحكيم فضل أن يكون لكل صلاة وضوءٌ خاص بها ليكون
أبلغ في النظافة ولئلا يمسك المرء نفسه عن قضاء الحاجة .

ولا يخفى ما في هذا من الضرر الكبير الذي يقرره الأطباء ،
ولذا جاء في الحديث عن رسول الله ، ﷺ ، النهي عن أن يصلى
الرجل وهو يدافعه الأخبثان ، يعني يمسك بوله وغائطه مشدداً
على نفسه .

وما ترك الدين موضعاً مكشوفاً إلا أمر بغسله ثلاث مرات :
الأولى : لنظافة سطحه ، والثانية : لنظافة العضو نفسه ، والثالثة :
مؤكددة لتمام هذه النظافة ، وتتبع ما غار من مواضع وضوئه
إزالة للعرق والإفرازات التي لا تذهب إلا بإجادة الغسل طلباً
لكمال النشاط .

هذا هو الدين الإسلامي الصحيح الذي وضع لوائح صحيحة

تهيئ للإنسان حياة كاملة بعيدة عن الأمراض ما أمكن ، ومن قوانين سماوية تؤدي إلى حفظ الصحة وكمال القوة ، بهذا يعلم أن حقائق هذا الدين لا تنتهي ولا تقف عند تفسير ولا تحد بتعبير أو تقرير ، بل إنما هي كنوز عظيمة وذخائر ثمينة يكشف أعداء الدين في كل يوم وفي كل لحظة ما يؤيد ذلك ويدعمه في قلب الشاك المرتاب المتردد أما نحن معشر المؤمنين فإننا وقد آمنا بهذا الدين إيماناً صادقاً ، وآمنا بحامله وبنبوته وبمرسله وألوهيته ، لا نعتبر تلك الاكتشافات الطبية الحديثة التي جاءت لبعض الحقائق والقواعد في ديننا لا نعتبرها مقياساً لإيماننا يزيد بها وينقص ، ونجزم بها فيه ونشاهده ولا نخضع سنتنا ، وكتابنا لتلك الأمور فنحمله ما لا يطيق وما لا ينبغي أن نحمله إياه .

وإنما نوردها استئناساً بها وإيراداً على الملحد الخارج منه عليه ،

فمن تلك الاكتشافات :

أولاً - مسألة وطء الحائض قال الله تعالى في سورة البقرة :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ) قَرَّرَتِ الْآيَةُ أَنَّ دَمَ

الحيض أذى ضار ، وهكذا قرر الأطباء وقالوا : « إن وقت الحيض أنسب وقت لانتشار العدوى في الجهاز التناسلي بسبب ما يحدثه من الالتهابات التي من طبيعتها تقوية الجراثيم المرضية وإكثارها ، وإن الالتهابات التي يحدثها الحيض تقتل الحياة في مادة التناسل » فهذه الآية سبقت الطب الحديث في تقرير هذه المسألة .

ثانيا - نجاسة الكلب ، كما لا يخفى أن الطب النبوي جاء مقررأ نجاسة الكلب ، فقال ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا وَلِغَ الْكَلْبِ فِي إِنْاءٍ أَحَدِكُمْ فَليرقُهُ ثُمَّ لِيَغْسِلُهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِحْدَاهُنَّ بِالثُّرَابِ » . ذكر بعض المؤلفين أنه جاء في مجلة كوسموس الألمانية موضوع للدكتور جراد منتسمر قوله عن اقتناء الكلاب ومداعبتها وتقبيلاها والسماح لها بلحس أيدي أصحابها وتركها تلعق فضلات الطعام من أوانيها ، قال : فكل ذلك مع منافاته للآداب والذوق السليم لا يتفق وقوانين الصحة ، فإن الكلاب تصاب بالدودة الشريطية تتعدها إلى الإنسان وتصيبه بأمراض عضال قد تصل إلى حد العدوان على حياته ، وقد ثبت أن جميع أجناس الكلاب حتى أصغرها حجماً لا تسلم من الإصابة بهذه الديدان

الشريطية ... ثم قال : فيجب أن لا تطعم الكلاب في الأواني المعدة للأكل ، وأن لا يسمح لها بدخول متاجر المأكولات والأسواق العامة أو المطاعم ، وعلى وجه عام يجب إبعادها عن كل ما له صلة بمأكل الإنسان ومشربه ، ولقد أخبرني طبيب من إخواننا الباكستانيين وممن لهم قدم عال في الطب أن بعض الأطباء في العصر الحديث أخذوا شيئاً من لعاب الكلب كيما يجروا عليه تجاربهم فرأوا بالمجهر المكبر أن في هذا اللعاب ديدان وجراثيم فتاكة خطيرة ، فأوردوا عليها كثيراً من المبيدات القاتلة إلا أنها لم تفعل شيئاً ولم يظهر لها تأثير في إبادة تلك الجراثيم ، فأرشدهم طبيب مسلم منهم إلى تجريب التراب . قال : فوضعوا عليها التراب فأبيدت جميعاً إبادة تامة ، فلما سألوه عن أصل هذه الفكرة أخبرهم بالحديث . قال : فأسلم بعض منهم ، وكانت نصراً عظيماً للإسلام في مجمعهم ذاك .

وأمثلة ذلك كثيرة وأدلتها واسعة شهيرة لمن له عناية وتتبع للصحف والمجلات التي تنشر أمثال هذه الاكتشافات ، وأقل شيء في أمثال هذه الأمور أنها تكون حجة عليهم في متانة هذا الدين وقوته وأنه الدين الذي ارتضاه رب هذا الكون جل جلاله

قال تعالى : (وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) .

اللهم اعصمنا في ديننا وأتمم علينا نعمة الإسلام وصلى الله
وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين والحمد
لله رب العالمين .

* * *

فضيلة الصدق

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال :
(عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ
يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ
حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ
يَهْدِي إِلَى الْفَجْورِ وَإِنَّ الْفَجْورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ
الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)
رواه البخاري ومسلم .

أيها السادة : الصدق فضيلة الفضائل وأُس الخلائق ،
يقوم عليه نظام الاجتماع ، وترتيب الأمور وسيرها السير
الحميد ، وإنه ليعلى صاحبه عند الناس جميعاً ، فيجعله
موضع ثقتهم ، مرغوب الحديث عندهم ، محبوباً إليهم ،
محترم الكلمة عند حكامهم ، مقبول الشهادة عند قضاتهم ،
لهذا أمرنا به الرسول ﷺ ، كما أمرنا القرآن في قوله :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) .

وأشاد بمكانته في حديثه عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب إذ يقول:

(وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) .

ومدح به إسماعيل في قوله :

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) .

وإدريس في قوله :

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيَسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)

والصدق يكون في القول وفي العقيدة وفي العمل ، فالصدق في القول أن يكون مطابقاً لضميره أو وافق الحقيقة أو وافقهما ، وهذا يدعوك إلى التثبت في الحديث ، والتحري قبله ، وألا تقول بغير علم ، فإذا حدثت عن الماضي فقل الحق ، وإذا حدثت بمانويته فاجعل حديثك طبق نيتك ، وإذا وعدت فاجعل من الوفاء قرينة العزم ، ولا تستفهم عن أمر وأنت به عليم لتفر منه لحاجة في نفسك ، ولا تطلب من خادمك طلباً وقد أشرت إليه بعدم الإجابة أو نبهته إلى ذلك من قبل ، والصدق في العقيدة أن تكون طبقت الحاصل في الوجود مع الوجود وآله

واحد فعال يحكم ما يريد ويبدأ ويعيد ، ولا تعتقد له في ذلك نداءً ولا شريكاً ، وفي الوجود نبينا محمد ، ﷺ ، فاعتقد رسالته ، وفي الوجود ظلم أمة أو عدالتها فاعتقد ما شهد به الوجود وهكذا ، والصدق في العقيدة يستدعي أولاً بحثها وطلب دليل من الحسيات والعقليات ونفي الشهادة عنها ويصدق في الفعل أن يكون مظهره في الخارج طبق صورته في النفس فيكون خالصاً لله طبقاً به المصلحة لا يشوبه نفاق ولا رياء ، ولا تريد الوصول به إلى غمض وسئ كالذي يزور عديماً مظهراً تودده إليه ومحبته له ، وهو يريد من وراء ذلك منفعة شخصه وكالذي يجاهد مجاراة ومداراة أو طمعاً في مركز أو جاه ، فكل ما تقدم يشمل عنوان الصدق ، قد بين الرسول ، ﷺ ، أنه يهدي إلى البر ويرشد إلى التوسع في غير ذلك أنه منبت الفضائل وجذع شجرتها ومتفرع غصونها ، وهل الإيمان بالله والتصديق برسله ووحيه إلا شيعة من الصدق ؟ ، فالصدق موفق للخيرات مقيم للمبرات ، والبر طريق الجنة بل مفتاحه الذي لا يفتح بغيره .

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي

وَجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ .
وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) .

الأرائك : الأسرة . نضرة النعيم : بهجته . رحيق مختوم :
شراب خالص .

وقد بين لنا الرسول ﷺ ، في الحديث مسألة من أهم
مسائل الأخلاق وهي طريقة تربية الخلق وتكوينه وتقويته
في النفس وتثبيته وجعله في صف الطباع ، ذلك أن يتحرى
الإنسان القول الجميل أو الصنع المجيد ويعمله المرة بعد المرة ،
والرابعة تلو الثالثة والسادسة بعد الخامسة حتى يؤثر في نفسه
أثراً ويتخذ منها مجرى ، ويزداد تعمقاً كلما تابع العمل ، فإذا
بذلك الأثر والخلق والفضيلة أثر تصدر عنها الأعمال الطيبة
بسهولة ، فمن رغب أن يكون الصدق شيمته وخلقه فليتحجر
الصدق في أقواله وأعماله ، وليتابع ذلك فإذا بالصدق خلقه
وإذا به الصديق ، ومن رغب أن يكون الشجاع المقدام والبطل
المغوار فليخض غمار الشدائد كلما روعته وليناضل الخطوب
كلما داهمته فإذا الشجاعة خلقه ، ومن أراد نفسه على الكرم
فليبذل من ماله كلما أهاب داعي الإحسان ، فإذا هو الجواد

الكريم ، ومعنى كتابة الله من تحري الصدق وتعوده صديقاً
ضبط ذلك في سجله وحسابه في زمرة الصديقين وإعلان ذلك
في الملاء الأعلى فرحاً به ورفعاً لذكره ، والوحي إلى قلوب العباد
بذلك ليحترموه ويجلوه ويوقروه ، وكما أن الصدق أس
الفضائل فإن الكذب أس الرذائل ، به يتصدع بنيان المجتمع
ويختل سير الأمور ويسقط صاحبه من العيون ، لا يصدق
في قول ولا يوثق به في عمل ، وشهادته مردودة وحديثه منبوذ ،
فالكذب يبعث إلى الشر ويهتك ستر الديانة ، ارتطم صاحبه
في المعاصي فتهالك عليها فتحدى الأعمال الحميدة ، وتعوده
يكون الأخلاق السيئة التي هي مصدر الآثام ، فالتزم أخي نهج
الصدق لئلا تكون الفاجر اللئيم والكذاب المهين ، واجعل
صحيفتك بيضاء لتدخل في المقربين ، والسلام عليكم
ورحمة الله .

صلة الرحم

من المعلوم أن الأمة الإسلامية هي مجموع الأسر الإسلامية المؤلفة من أفرادها ، فإذا تواصلت أفراد الأسر وتواصلت الأسر كانت الأمة الإسلامية إذ ذاك أمة مسلمة حقيقة ، قائمة بما أمر الله واقفة عند حدود ، عزيزة الجانب مهيبة صالحة لأن يخلفها الله في الأرض وأهلاً لأن يمكن لها دينها الذي ارتضاه لها ، ويجعل لها السلطان ، وينصرها على من يكيد لها فكانت خير أمة أخرجت للناس ما أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر ، ومن هنا يتضح لنا أيها المسلمون الحكمة الإلهية العادلة في معاقبة الذين يقطعون الأرحام ولا يؤدون ما وجب عليهم من الحقوق لأسرتهم أو لأمتهم ولا يبالون بما يترتب عليه قطعها من الضرر العام أو الخاص العائد على الأمة أو الأسرة .

والله يوفق من يشاء لما يشاء وهو الحكيم الخبير .

والرحم نوعان عامة وخاصة ، فالرحم العامة هي الرابطة الدينية الإسلامية التي تربط جميع أفراد المسلمين بعضهم ببعض في جميع أقطار الأرض ، وهذه الرابطة الدينية هي النعمة

الكبرى التي أنعم الله تعالى بها على المسلمين حتى صاروا بها
إخوة كما قال سبحانه وتعالى :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) .

وكما قال (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) .

وهذه الرحم العامة تجب صلتها بالتواد والتناصح والعدل
والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة ، والمصلحة والدفاع عنها
في الغيب والشهادة جهد الاستطاعة ، والخاصة هي القرابة التي
تربط أفراد الأسرة بعضهم ببعض كالأبوة والعمومة والخؤولة ،
وهذه الرحم الخاصة تجب صلتها بما توصل الرحم العامة ،
وتزيد عليها بالإنفاق على الأقارب ومزيد العناية بتفقد
أحوالهم عند زلاتهم ، وجملة القول أن صلة الرحم بنوعيتها
تكون بإيصال ما أمكن في الخير ، ودفع ما أمكن من الشر
بحسب الطاعة والاستطاعة ، قال الله تبارك وتعالى :

(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا
أَرْحَامَكُمْ ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ،
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) .

وقد جاء في الصحيحين عن جابر بن مطعم رضي الله عنه
قال : قال رسول الله ، ﷺ :

(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمَ) .

والمعنى أنه لا يدخلها مع السابقين ، بل يتأخر دخوله تأخراً
مناسباً لمدة عقوبته بسبب تفريطه في الواجب وارتكاب المحرم
من قطع ما أمر الله به أن يوصل ، وجاء في الصحيحين عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ، ﷺ :

(مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ
فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) .

ومعنى ينسأ له في أثره أن يؤخر له في عمره بأن يبارك الله
في رزقه وعمره فيوفق إلى أعمال صالحة لا يقدر على القيام بها
إلا من كان أطول منه عمراً وأكثر رزقاً ، وأخرج البزار بإسناد
جيد عن النبي ، ﷺ ، قال :

(مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُوسَعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُدْفَعَ
عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) .

وعند الطبراني بإسناد حسن عن النبي ، ﷺ ، قال :

(قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ إِنَّ اللَّهَ يُعَمِّرُ بِالْقَوْمِ
الدِّيَارَ وَيُثْمِرُ لَهُمُ الْأَمْوَالَ مَا نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) .

قيل وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال :

(بِصِلَتِهِمْ أَرْحَامَهُمْ) .

وأخرج الترمذي وصححه عن النبي ، ﷺ ، قال :

(قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا اللَّهُ ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ
وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ
قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ) .

وروى البخاري بإسناده عن النبي ، ﷺ ، قال :

(لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيءِ ، وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا
قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا)

والمعنى من وصله رحمه فوصلهم فهو مكافئ لهم على صلتهم
فليس هذا هو الواصل الكامل وإنما هو الذي تقطعه رحمه وهو
يصلها ، وأخرج مسلم في صحيحه أن رجلا قال يا رسول الله
إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ ،
وأحلم عليهم ويجهلون عليّ ، قال :

(إِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تَسْفُهُمُ الْمَلَّ - الرَّمَادُ الْحَارُّ ،
وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ) .

وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه قال : أوصاني
خليلي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بخصال من الخير ، أوصاني بالألأ أنظر إلى من
هو فوقي وأب أنظر إلى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين
والدنو منهم ، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت وأوصاني
ألأ أخاف في الله لومة لائم ، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان
مرأ ، وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها
كنز من كنوز الجنة . وأخرج الترمذي وصححه عن رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال :

(مَا مِنْ ذَنْبٍ أَخْرَى أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي
الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ) .

ورواه الطبراني وقال فيه وأن أعجل البر ثوابا لصلة الرحم ،
حتى أن أهل البيت ليكونون فجرة فتنموا أموالهم ويكثر
عددهم إذا تواصلوا . وروى الإمام أحمد رحمه الله بإسناد رواته
ثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلُّ خَمِيسٍ وَلَيْلَةَ جُمُعَةٍ فَلَا يَقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعِ رَحِمٍ) .

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان جالساً بعد الصبح في حلقة فقال أنشد الله قاطع رحم قال :
أنا عنا ، فإننا نريد أن ندعوربنا ، وإن أبواب السماء مغلقة
دون قاطع الرحم .

التواضع

عن حارثة بن وهب الخزاعي عن النبي ﷺ ، قال :

(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُسْتَضْعَفٍ لَوْ أَقْسَمَ
عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ . أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُتْلٍ جَوَّاطٍ
مُسْتَكْبِرٍ) رواه الشيخان .

الرجال لا تقاس بالضخامة ولا بالقوة ، ولا بالزري والصورة ،
ولكن تقاس بالقلوب التي تحملها والأعمال التي تصدرها
والأخلاق التي تستبطنها .

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هُصُورٌ

وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيْسَهُ فَيُخْلِْفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
فَمَا عِظَمَ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ

فمن حمل قلباً سليماً وأصدر عملاً نبيلاً وتخلق خلقاً جميلاً
فذلك الرجل يحمد الله صنيعة ويجزل من الثواب نصيبه ،
وإن كان ضعيف الجسم واهن القوة رث الحال ، قليل المال
أشعث أغبر أسود ذا طمرين باليمن وذو الثوبين الخلقين
تزدريه النفوس وتستضعفه الجهول - ذلك هو الضعيف المسكين
الذليل المتواضع ، بل ذلك هو متين الخلق ، صافي السريرة
كامل الإيمان لو أقسم على الله لأبر قسمه لعلو مكانته عند الله
وقرب منزلته من مولاه .

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ
أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) . (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

أما من حمل قلباً لثيماً أو صدرأ ذميماً وخلقاً ذليلاً فكان
جافي الطبع غليظ القلب ، نفوراً من الموعظة لدوداً في الخصام
فاحشاً أثيماً مختالاً بطيناً متكبراً على الخلق معرضاً عن الحق

يتعالى عما يعليه ويستكبر بما ليس فيه ويسأل عما لا يعنيه
فذاك إلى الله بغيض ولدى الناس مذموم وعليهم ثقیل .

تَوَاضَعُ تَكُنُ كَالنَّجْمِ لَاحٍ لِنَاطِرٍ عَلَى طَبَقَاتِ الْمَاءِ وَهُوَ رَفِيعٌ
وَلَاتَكُ كَالدُّخَانِ يَعْلُو بِنَفْسِهِ إِلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ وَهُوَ وَضِيعٌ

فلا تغتروا أيها الإخوان بقوتكم ، ولا تتكبروا أيها الرؤساء
بنفوذكم فتسخرُوا الضعفاء وتتجبروا على الفقراء فاتقوا يوماً
ترجعون فيه إلى الله وامسحوا دموع الأبرياء وارحموا المساكين
والضعفاء وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء فمن
لا يرحم لا يرحم ومن تواضع لله رفعه ومن تجبر قصمه .

(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) .

مشكلة الزواج وعلاجها

نرى مشكلة الزواج تزداد تعقيداً مع مرور الزمان وقد شاع بين الشبان في المدن العامرة الإعراض عن الزواج مع التبرم لمن تزوج والخوف بالنسبة لمن لم يتزوج ، إن هذا الأمر لعجيب وما من حدث إلا وله سبب ولكن تلك الأسباب تحتاج في تحليلها والإحاطة بآثارها ونتائجها وكيفية علاجها إلى وقت طويل ولعلنا نوفق إن شاء الله للإلمام بأهمها شيوعاً وأكثرها أثراً وأقربها علاجاً .

أيها السادة الكرام : إن الزواج مبدأ تكوين الأسر ومدار العمران وسبب نمو الأمم وعون على نظام الحياة وباعث للأمم إلى العمل ووسيلة لهناء العيش وسعادة المجتمع ، كيف لا وهو قاطع لجرائم الفساد للأخلاق ومانع لدابر الشرور بين الأسر وعون على صيانة الشرف والأعراض وفتاح لباب المودة بين الناس ، فكم من شخص منفرد في حياته ليس له نصير صار بأصهاره عزيز الجانب موفور الكرامة محفوظ الغيبة ، وكم ترى من خامل ميت الأمل اشتد بالزواج أزره ، وصار في الحياة

عضواً عاملاً نشيطاً ، لأنه بزواجه شعر بواجبات كان غافلاً عنها
وتعلقت به مصالح مهمة ، فاستفادت منه الأمة أكثر مما
استفادت ذريته منه ولا تسل عن حفظ المرء صحته بالزواج
فبيتعد به من الزنا الذي يجر إلى شر الأمراض ، كما أن
المتزوج تنتظم معيشته الحيوية ، فينظر منزله قد عمر بالأبناء
والبنات فدبت فيه روح الحياة الجديدة فيشاهد من نعم الله
تعالى عليه ما يشرح صدره ويقر عينه ويملؤه ابتهاجاً وسروراً .
نِعْمَ إِلَهِ عَلَى الْعِبَادِ كَثِيرَةٌ وَأَجْلُهُنَّ نَجَابَةٌ الْأَوْلَادِ
وقد اقتضت الحكمة الربانية بقاء النسل لإصلاح الأرض
وإقامة الشريعة ومعلوم أن النسل الصالح لا يبقى إلا بالزواج
الذي يتحقق به التحلي بالعفاف فهو من أجل وسائل الفضائل
والكمال ، والمرأة لا تتحمل مشاق الأعمال والعجز فيها مشهود ،
فالزواج يصل ضعفها بقوة ويهيئها لأن تكون رئيسة عائلة
ومدبرة مملكة في راحة وسعادة وهناءً لأن الزواج يكفيها مطالب
الحياة ويفوز برفيقة تخلص له الود وتشمل منزله بالرعاية
وتحمل له الحب الطاهر .

إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي مَنْزِلِ الْمَرْءِ حَرَّةً تُدَبِّرُهُ ضَاعَتْ مَصَالِحُ دَارِهِ

بهذا نعلم أن الزواج صلة قوية لا تختص بالزوجين بل تمتد إلى الأُسرتين فتكون حلقة واسعة في سلسلة إتحاد الأمم ، وذلك له أثر كبير في النصر والاسقلال ، فالنفوس البشرية التي سلمت فطرتها وأجابت داعي الحكمة لم تزل تميل إلى الزواج وتؤمن بأسراره والنفوس التي عميت عن حكمة خالقها انصرفت عنه وظهرت في مظهر ينذر بسوء المنقلب ، والأسباب التي أدت إلى هذا الخطر الداهم كثيرة ، فمنها انحطاط الآداب ومنها التغالي في المهور والإسراف في الجهاز ومحاكاة الفقير للغني ، حتى يكون مثله مظهراً ، ومنها تكليف الزوجات الأزواج بمطالب منزلية تجاوزت حد الإسراف على أخلاق الناشئة ، وإن المنزل هو المدرسة الأولى للطفل والأم هي مديرة تلك المدرسة .

الأم مدرسةٌ إذا أعددتها أعددت شعباً طاهرَ الأخلاقِ (١)

وعلاج هذا النقص هو أن الواجب أن تربي البنات تربية دينية وأن ينشأ نشأة أخلاقية ويمرن على وظائف المنزل

١ - يروى الشطر الاخير لهذا البيت هكذا :

أعددت شعباً طيب الاعراق

وهو من كلام حافظ ابراهيم من قصيدته في تعليم البنت .

وواجبات الحياة المستقبلية لتؤدي المرأة واجباتها إذا برزت للحياة الزوجية فتكون مديرة منزلها وراعية عائلتها وسعادة زوجها وفخر أهلها ، وأما التغالى وهو التنافس في الجهاز ، إما تقليداً للأغنياء وإما تنفيذاً لرغبات النساء وإما طمعاً في الثروات فيمنع الشباب عن الزواج وتبقى المخطوبة منتظرة مترقبة لمن يدفع الألوفاً وربما طال عليها الأمد حتى تصبح عانساً أو تسمى بائسة ، والآثم في ذلك البلاء العاجل والآجل هو ذلك الولي الجاهل الغافل ، وعلاج هذه العلة هو تقليل القيم المادية ، والاكتفاء في الجهاز باليسير على قدر الحاجة مع مراعاة أحوال الزمن والإعراض عن انتقاد الناس وآرائهم ، فإن إرضاء جميع الناس غاية لا تدرك ، وعدم التبصر في العواقب يؤدي إلى فوات المصالح والندم . وما أحسن ما قيل :

فَالْخَلْقُ لَا يَرْجَى اجْتِمَاعَ قُلُوبِهِمْ
لَأَبَدٍ مِنْ مِثْنِ عَلَيْكَ وَقَادِحِ

وكم أدى التنافس في الجهاز إلى إيجاد مشاكل وارتكاب ديون ووقوع مآس عرف الناس آلام نتائجها ، ولكنهم إليها منساقون ، انقياداً لسلطان الشهوة والهوى والتقليد ، وإما لتكليف الزوجات الأزواج مظاهر الترف والرفاهية وصنوف

الملابس ووسائل المدنية محاكاة للطبقات الثرية فهذا هو السبب لكثير من المناقشات والنفقات للحياة الزوجية فالزوج قد يطيعها إن كان ضعيف الإرادة فينفذ مقترحاتها فيصير مآله الفقر والإفلاس أو يخالفها فتجنح إلى الفراق أو يقابل مطالبها بحسن السياسة والحزم فمرة ومرة فيعيش الزوجان في عراق دائم ، وهذا من نقص التهذيب وقلة الرشد وفقد القناعة والرضا والميسور ، هذه حقائق ملموسة ثابتة كلنا نألم منها فمتى نسعى لعلاجها لنعلم أن الإعراض عن الزواج قتل لفضيلة العفاف وحرمان للأوطان من رجال الدفاع وإطفاء لمصابيح الحياة الوقادة فنحن من أبناء عشاق الفضائل أرباب الغيرة على المصالح العامة فعلينا أن نتأسى بهم ونقتدي بأعمالهم الصالحة لنكون خير خلف لأفضل سلف .

أيها الأخ الكريم :

تأمل قول ذي نضحٍ وودٍّ	وبادرٍ بالزواجِ تنلُ فخاركُ
وخذُ من منبتِ حرٍ أصيلٍ	وعمرٌ بالتقى والخيرِ داركُ
ولا تغترَّ بالحسناءِ تزهُو	بأخبثِ منبتٍ تجلُّو بواركُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ فاعمرُ	بذكرِ الله ليسلكَ أو نهاركُ

تحريم نكاح المتعة

نكتب اليوم في موضوع تحريم نكاح المتعة ، لا لكونه
أمراً مشكلاً بالحكم أو غريب العلم ، بل هو حكم مشهور
ويوجد في أصغر كتاب فقهي ، ولكن نكتب فيه رداً على
ما نشرته بعض الصحف والمجلات من تأييد رأي باطل صدر
من بعض الجهلاء يدعو لإباحة نكاح المتعة بدل إعادة البغاء
الرسمي الذي يطالب به بعض المفسدين ، فكان هذا الرأي
الفاقد خرقاً للإجماع ودعاية لإباحة المحرم ، وتسوراً على
أحكام الدين ، واتباعاً لمنسوخ الحكم وتأييداً للأقوال الشاذة
التي رجع عنها أصحابها ، ولا يعتمد عليها ولا يعنى بها .
ولا شك أن العلم لا يؤخذ إلا من أهله ولا يطلب إلا في محله ،
والرجل إذا تكلم في غير فنه أتى بالعجائب . وهؤلاء المتشدقون
يظنون الفقه مجرد نقل وفلسفة عقل ، وقد فاتهم أنه لا يفتى
إلا بالمجمع عليه أو القول الراجح المؤيد المعتمد ، ولا يخفى
أن الزاني العاصي يعلم أن الزنا محرم ومع ذلك لا يتركه ،
لكونه أسير شهوته ثم قد يندم ويتوب ، وأقل الأمر أنه يشعر
بنقص نفسه عن رتبة الطائعين ، أما الذي يعمد إلى استحلال

المحرم بشبهة واهية وحكم منسوخ ورأي مردود ، فهذا ولا شك
إثم أشد خطراً وأعظم ضرراً لأنه لم ير نفسه ارتكب محرماً
حتى يلجأ إلى التوبة ، فأعظم الإثم على من فتح باب الشر
وأعانه برأي مردود منسوخ ... إن هذا أعظم حدث في الدين
وما أشبهه بإزالة حدث بحدث .

وبعد ... فإن نكاح المتعة هو النكاح إلى أجل ، وقد تكرر
فيه النسخ من الشارع بين تحريم تارة وإباحة أخرى ، ثم
استقر الأمر على تحريمه في غزوة خيبر فهو إحدى المسائل التي
تكرر فيها النسخ من الشارع كتحریم الخمر وأكل لحوم الحمر
الأهلية ، واستقبال القبلة .

ولا شك أننا متعبدون بما بلغنا عن الشارع ، وقد صح لنا
عنه التحريم المؤبد ، ومخالفة طائفة من الصحابة غير قاذحة
في حجته ، ولا قائمة لنا بالمعذرة عن العمل به ، كيف والجمهور
من الصحابة قد حفظوا التحريم وعملوا به ورووه لنا حتى
قال ابن عمر فيما أخرجه عنه ابن ماجة بإسناد صحيح (أن
رسول الله ، ﷺ ، أذن لنا في المتعة ثلاثاً ثم حرمها ، والله
لا أعلم أحداً تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة) .

وما ورد أن رسول الله ﷺ ، نهى عن المتعة يومي الفتح وحنة الوداع ، لا يعكر على ما تقدم من أنه نهى عنها يوم خيبر ، لأن القصد من إعادة النهي عنها إشاعة النهي عنها وتعميم إشاعته وسماعه في الجمع الكثير . . . وفي البخاري في « الذبائح » من طريق مالك رحمه الله بلفظ (نهى رسول الله ، يوم خيبر عن متعة النساء وأكل لحوم الحمر الأهلية) وهكذا أخرجه مسلم من رواية ابن عينية ، فظهر بهذا أن تحريم المتعة الأخير تحريم تأبىء لا تحريم توقيت ، فلم يبق اليوم في ذلك خلاف بين فقهاء الأمصار وأئمة الأمة إلا شيئاً ذهب إليه بعض الشيعة وليس يسلم لهم دليل على الإباحة بل كل شبههم منسوخة أو ضعيفة أو مردودة أو ثابت رجوع أصحابها عنها . وقال ابن المنذر (جاء عن الأوائل الرخصة فيها ولا أعلم اليوم أحداً يجيزها إلا بعض الرافضة ولا معنى لقول يخالف كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام) . وقال عياض (وقع الإجماع من جميع العلماء على تحريم المتعة إلا الروافض ، وأما ابن عباس رضي الله عنهما فقد روي عنه أنه أباحها ولكنه رجع عن ذلك) وقال ابن بطلال (إن نكاح المتعة متى وقع الآن أبطل سواء كان قبل الدخول أم بعده)

وقال الخطابي (تحريم المتعة كالأجماع إلا عن بعض الشيعة ، ولا يصح على قاعدتهم في الرجوع في المخالفات إلى علي رضي الله عنه ، فقد صح عن علي رضي الله عنه أنها نسخت ، ونقل البيهقي عن جعفر بن محمد رضي الله عنه أنه سئل عن المتعة فقال : هي الزنا بعينه . وقال عياض : واختلفوا هل يحد ناكح المتعة أو يعزر على قولين ؟ وقال القرطبي الروايات كلها تدل على أن إباحة المتعة لم تطل ثم أجمع السلف والخلف على منعها وتحريمها إلا من لا يلتفت إليه من الروافض . وقال الشوكاني ، وقد روى الرجوع عن ابن عباس جماعة منهم محمد بن خلف القاضي المعروف بوكيع في كتابه (الغرر من الأخبار) بسنده المتصل بسعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : ما تقول في المتعة فقد أكثر الناس فيها حتى قال فيها الشاعر . قال : وما قال ؟ قال : قال :

قَدْ قُلْتُ لِلشَّيْخِ لَمَّا طَالَ مَحْبِسُهُ

يَا صَاحِ هَلْ لَكَ فِي فَتْوَى ابْنِ عَبَّاسٍ

وَسَلَّ تَرَى رَخْصَةَ الْأَطْرَافِ آنِسَةً

تَكُونُ مَثْوَاكَ حَتَّى مَصْدَرَ النَّاسِ

قال : وقد قال فيه الشاعر ؟ قلت نعم ! قال فكرهها أو نهى عنها . ورواه الخطابي أيضاً بإسناده عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : قد سارت بفتياك الركبان وقالت فيها الشعراء . . . قال وما قالوا ؟ فذكر البيتين فقال : سبحان الله ! والله ما بهذا أفطيت . . . وروى الرجوع أيضاً البيهقي وأبو عوانة في صحيحه . قال في الفتح بعد أن ساق عن ابن عباس روايات الرجوع وساق حديث سهل بن سعد عن الترمذي بلفظ (إنما رخص النبي ﷺ ، لغربة كانت بالناس شديدة ثم نهى عنها بعد ذلك) ما لفظه : فهذه أخبار يقوي بعضها بعضا . وعن سيرة الجهني ، أنه غزا مع النبي عليه السلام عام فتح مكة ، قال : فأقمنا بها خمسة عشر يوماً فأذن لنا رسول الله ﷺ ، في متعة النساء ، وذكر الحديث إلى أن قال : فلم أخرج إلى أن حرمها رسول الله ﷺ ، وفي رواية أنه كان مع النبي عليه السلام فقال :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الْاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً)

رواه أحمد ومسلم .

وفي المسنوي شرح الموطأ ، قال في شرح السنة : اتفق العلماء
على تحريم المتعة ، وهو كالإجماع بين المسلمين وكانت مباحة
في أول الإسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

* * *

التحذير من الطلاق

أيها السادة - لا شيء يهدم الأسر الإسلامية ويفكك عرى العوائل ويضعف وحدة الأمة ويوغر الصدور ويهتك المستور مثل الطلاق . الطلاق هو أشد الأضرار في مجتمع الحياة فهو أبغض الحلال إلى الله الطلاق كم جر مصائب وفرق أسرا وضيع الوداد بين العشائر وفصل بين زوجين جعل الله بينهما مودة ورحمة وذهب بأطفالهما في أودية الحيرة والضياع وذلك حين فقدوا حياط الأبوة وحنان الأمومة فلئن كانت الداهية أكثر ما تكون ألماً للنفوس إذا أتت على غر ، فالطلاق يزيد عليها ، لأنه يبدل الهناء بالشقاء والائتلاف بالاختلاف . لقد أجاز الشارع الطلاق في أشد أحوال الضرورة إذا تيقن طريقاً للخلاص من النزاع ولكن جعل صلاح ذلك الطلاق بيد الزوج لأن الرجل أقدر على ضبط نفسه من المرأة وأكثر إدراكاً وهو الذي أنفق الصداق من ماله وتحمل أعباء الزوجية قال تعالى :

« الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ » .

وقد نفر الله الأزواج من الطلاق إذا أحس أحدهم بكرهه
أهله وأمرهم بذكر المحاسن ليكون ذلك شفيحاً لبقاء العشرة
فقال تعالى :

« فَاِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا . وَيَجْعَلُ اللّٰهُ فِيْهِ
خَيْرًا كَثِيْرًا » .

فإذا أحس الزوج بسوء خلق المرأة وكرهيته لعشرتها فليذكر
خدمتها لبيتها ورعايتها لأطفاله فيتوقع منها الخير وليتذكر
عواقب الطلاق من فرقة ومنتعة ونفقة ودفع مؤخر صداق
وضيعة أطفال وعداوة أصهار إلى غير ذلك من المضار الذي
لا يشعر بمصائبها الزوج إلا بعد الطلاق وكيف ينتحل أضعف
الأسباب ليتلاعب بالطلاق فيؤديه ذلك إلى انتهاك المحارم
وارتكاب العظائم وقد رتب الله تعالى في كتابه الطلاق فقال :

« الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ . فَاِمْسَاكٌ بِمَعْرُوْفٍ . اَوْ تَسْرِيْحٌ بِاِحْسَانٍ » .

فجعل الطلقة الأولى رجعية تأديباً للزوجة لتذوق ألم الفراق
وتقدر - خسارة الحياة الزوجية وضيعة الأطفال وإغلاق الدار
وهدم العصمة . ثم جعل الطلقة الثانية رجعية أيضاً إيقاظاً

۱۹۲۵ء کی لکھنؤ میں منعقد ہونے والی کانفرنس میں
 شرکت کرنے والے مسلمانوں کی تعداد ۱۰۰۰ سے زائد تھی
 اور ان میں سے ۷۰۰ کے قریب مسلمان تھے۔ اس کانفرنس میں
 مسلمانوں نے ایک قرارداد منظور کی جس میں مسلمانوں
 کو اپنی تعلیم اور ترقی کے لیے ایک علیحدہ بورڈ
 قائم کرنے کی ضرورت تسلیم کی گئی۔ اس قرارداد کو
 "ریزولوشن ۱" کہا گیا۔

اس قرارداد کے تحت ۱۹۲۵ء میں مسلمانوں کی
 تعلیم اور ترقی کے لیے ایک علیحدہ بورڈ
 قائم کیا گیا۔ اس بورڈ کی سربراہی مسلمانوں
 کے ہاتھ میں رہی۔ اس بورڈ نے مسلمانوں کی
 تعلیم اور ترقی کے لیے بہت سے کام کیے۔

اس بورڈ کی سربراہی مسلمانوں کے ہاتھ میں رہی۔
 اس بورڈ نے مسلمانوں کی تعلیم اور ترقی کے لیے
 بہت سے کام کیے۔ اس بورڈ نے مسلمانوں کی
 تعلیم اور ترقی کے لیے بہت سے کام کیے۔

طوعاً لغضبه فيرسل الطلاق من فيه ثلاثاً بائناً بدعياً من غير تفكير ولا ترو فيحرمها على نفسه ويحلها لغيره وربما ذهب لبعض الكتاب الجهلاء فيكتب له الطلاق - محرماً ومحللاً فيجر عليه مصائب ومشاكل ولا يحذره من ارتكاب بدعة وهدم عصمة وكسر خاطر وإقلاق دار وضيفة أطفال ، فليتق الله هؤلاء الكتاب وليقولوا قولاً سديداً - أما بعد وقوع كارثة الطلاق فإنه يندم الزوجان فيسعى الزوج والأقارب والجيران والأحباب يلتمسون الحيل ويسلكون المخارج البعيدة ويسألون العلماء وينكر الزوج المطلق ألفاظه ويغير نيته ويدعي أنه ليس في شعوره وحسه تدليساً وغشاً لنفسه واصهاره ولفضية القاضي والمفتي - وكل هذا لا يخلصه من عذاب الله وغضبه فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والله در القائل :

وَزَهَّدَنِي فِي الْفِقْهِ أَنِّي لَا أَرَى

يُسَائِلُ عَنْهُ غَيْرُ شَخْصَيْنِ فِي الْوَرَى

فَزَوْجَانِ رَامَا رَجْعَةً بَعْدَ بَتَّةِ

وَشَخْصَانِ رَامَا رَجْعَةً فَتَعَسَّرَا

وختاماً نصيحتي للأزواج أن يجتهدوا في حسن العشرة
ويحذروا الوقوع في الورطة فإن المرأة ضعيفة وهي ناقصة
عقل ودين . وقد قال النبي ﷺ :
(استَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) .

ونصيحتي للزوجات أن يتقين الله عز وجل ويقمن بواجبات
الأزواج .
(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ . وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ
دَرَجَةٌ) .

ولا يحملن الزوج فوق طاقته أو يغضبنه حتى يقع في فتنة
الطلاق . نسأل الله تعالى أن يرزقنا التمسك بالسنن وأن يمن
علينا بإتباع الخلق الحسن وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

معصيته ، فرب عمل يسير من الطاعة تنال به عند الله مقاماً كبيراً ، ورب معصية لا يؤبه لها يستحق بها صاحبها وزراً كبيراً ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا يضحك بها الناس يهوي بها في النار سبعين خريفاً ، وهل أحد أقبح وأشنع ممن ينطلق لسانه في ميدان السباب انطلاق السهم ؟ ثم لا يقف عند حد في سبابه بل كل ما خطر بباله وعرف كيف ينطق به لسانه واجه به أخاه ، ويدنس عرضه ويجرده من كل شرف ويجعل الناس ينظرون إليه نظراً إلى أخط إنسان رماه به في الحال ، وجرح به عاطفته ، فيسب أمه وأباه ويلعن جده وأخته وأخاه وربما يطاول به الغضب فيقذفه بالزنا والفحشاء لا يخشى الله ولا يحذر اليوم الآخر ، ولا يستحي من الحق ولا يخاف من الخلق ، إن هذا الأمر تشمئز منه قلوب المؤمنين وتقشعر منه جلود المتقين فإن ما يظهر على الألسنة أثر لما في القلوب ، فإذا كان ما في القلوب إيماناً وخلقاً صالحاً كانت آثاره صالحة وإلا كانت آثاره سيئة ، فبائع الجوهر الذي لديه اللآلئ النفيسة إذا أغضبته وآلمته لا يجد حوله إلا تلك الجواهر والدر الغوالي يوجهها إليك ، وجوهرة واحدة

التحذير من السباب

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ . وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بئسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) .

ينهى الله تعالى عباده عن السخرية لأنها سبب البغضاء ووسيلة الفتن والبلاء ، بها يقع التشاحن بين القلوب وينفر القريب من قريبه والأخ من أخيه فلا تسخر بأخيك فربما كان عند الله أعظم منك مقاماً وأشد قرباً ، وأن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكنه ينظر إلى قلوبكم ، فليست الكرامة عند الله بالمال ولا بالجمال ولا بالحسب والنسب ولكنها بالتقوى .

قال الله تعالى :

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

وقد أخفى الله تعالى رضاه في طاعته كما أخفى غضبه في

منها تغنيك طول الأبد فتضطرب أن تحول إساءتك إليه
إحسانا حتى كأنك ولي حميم ، والآخر الخبيث محاط بالطوب
والحجارة والفضلات المؤذية كلما لاطفته أو صانعته لا يجد
شيئاً يكافئك به إلا ما حوله من الحجارة القاتلة - هذا مثل
للطيب والخبيث من الناس - فالطيب لا يحسن النطق إلا
بحسن الكلام وجميله وإن كان في منتهى الغضب، والخبيث
لا يعرف إلا خبيث القول وإن كان في أصفى أوقاته كل على
حسب استعداده ، وكل إناء بالذي هو فيه ينضح .

إن ديننا الإسلامي وأهله لا يعرفان إلا خير الكلام ولا يليق
بهما إلا ذلك ، ومن كان على غير هذا من فحش التعبير وسوء
المنطق فليتأكد أن ذلك من أخلاق غير المؤمنين ، فليعالج
نفسه ليكون على الأقل مؤمناً ، أما المؤمن فلا يكون سباباً ولا
فحاشاً ولا لعاناً ولا بذيئاً ولا طعاناً ، إن الفحش والتفحش
ليسا من الإسلام في شيء ، وكيف يلعن المؤمن أخاه ويطرده من
رحمة مولاه ، فمن يرحمه إذن سواه ؟ ألا فليعلم اللاعن أنه
مصعب اللعنة ، تصعد إلى السماء فتغلق دونها أبواب السماء
ثم تهبط إلى الأرض فتغلق دونها أبواب الأرض فتأخذ يميناً

وشمالاً فإن لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن إن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت على قائلها ، فهؤلاء اللعانون إنما يلعنون أنفسهم والجاهل عدو نفسه ، لعنت امرأة أنصارية ناقة لها ضجرت منها في بعض أسفاره ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فسمع ذلك عليه الصلاة والسلام فقال :

« خُذُوا مَا عَلَى النَّاقَةِ وَدَعُوهَا فَإِنَّهُ لَا تَصْحَبُنَا نَاقَةٌ مَلْعُونَةٌ »

قال عمران : فكأنني أنظرها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد !! هذا زجر بالغ ودرس عظيم لمن له أدنى عقل ، وإذا كان هذا التشديد من الشارع في لعن الحيوان الأعجم فكيف يكون ذلك في لعن الإنسان المفضل المكرم ولذا شبه النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لعن المؤمن بقتله تحذيراً وتخويفاً ، لا أظن أيها السادة الكرام مؤمناً يعرف معنى الدين الذي يعتقده ويرجو به الفوز في الدنيا والنجاة في العقبى يقدم بعد هذا على سب الدين فإن قصد معنى ما ينطق مستبيحاً فقد ارتد والعياذ بالله ، وإلا فيستوجب أشد التعزير ويستحق غضب الله تعالى وسخطه .

(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

وعلى العلماء والأولياء والأوصياء وأرباب الحوانيت زجر
الأولاد وغيرهم إذا تكلم أحدهم بما لا يليق ، فإن السفية متى
نهاه الناس وتكرر ذلك عليه أدرك خطر سفاهته وقبح منطقه .

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحِيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى
وَمَالِكَ مَوْفُورٌ وَعَرْضُكَ صَيِّنٌ

لِسَانَكَ لَا تَذُكُرْ بِهِ عَوْرَةَ أَمْرِي
فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنٌ

وَعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايِبًا
لِغَيْرِكَ قُلْ : يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنٌ

* * *

تنبیه و توجیه

بین کل آونة وأخرى نسمع من مصادر الأخبار العالمية أنباء هامة فيها عبرة لمن اعتبر ، وذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ، فمن فيضانات تغرق القرى وتخرّب المدن وتزهق الأرواح والأموال ، ومن زلازل تدمر المنازل وتقلب الأرض وتتلّف النفوس والمتاع ، ومن إعصارات جوية تنسف الجسور وتذكّ الحصون ، ومن سيول جارفة عظيمة تكتسح النخيل والزرع وتغزو أهل الوبى والمدر ، ومن خسوف وكسوف ، ومن ثورات وفتن وانحلال أخلاق ومحن ...

أليست هذه كلها نذر تخويف ، ودروس تذكير ؟ ، وآيات يخوف الله بها عباده ليحذروا شدة عقابه ، ويطمعوا في ثوابه ويقفوا في بابه تائبين منيبين مستغفرين باكين ، فإن التضرع والصدقة والتوبة والإنابة تطفي غضب السرب وتستدر سحب الرحمة الربانية ، فإن الله رؤوف رحيم يحب التوابين ويحب المتطهرين ، يقول الله تعالى :

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنِّ

نفحات الاسلام - ٢٨

رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .
(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ
مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ
عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) .

ألم يأن لنا أن نتأمل الحوادث الخطيرة المجريات الكونية
لنتلقى منها درساً نافعاً شيقاً محسوساً ؛ ينزع من أفئدتنا الميل
إلى الرذائل ويوجهنا إلى حب الفضائل ؟ .

ألم يأن لنا أن نرجع إلى الأخلاق الإسلامية السامية ونترك
هذا الإنحلال الخلقي ! إلى متى نضحك ونغني ؟ وحتام نلهو
ونتغافل ؟ وهذه مواكب الآيات الربانية تمر بنا سراعاً ، وقد
قال الله عز وجل :

(وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً) ويقول تعالى :

(وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ
عَنْهَا مُعْرِضُونَ) .

فليت شعري متى نعتبر ونتذكر ، إنما يتذكر أولوا الألباب .
فالواجب علينا أن نتوب ونستغفر ونتراحم ونتسامح ،

فمساعدة المنكوبين ونسعف الغرقى وننقذ الأبرياء ، ونعطف على الضعفاء ونمسح دموع الفقراء ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، اللهم إنك أرحم الراحمين ، ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، وإنك كتبت على نفسك الرحمة ، وقد سبقت رحمتك غضبك وأنت الرؤوف الرحيم .

يقول الملحدون المحجوبون في هذه الآيات : إنها ثورة الطبيعة ، كلا والله ! أنى للطبيعة أن تثور ؟ وهي مسخرة مذلة لخالقها ومدبرها ، وهو الرب عز وجل ، ولكنها آيات الله عز وجل ، الخالق المختار ، المدبر القدير ، خلق فصور ، وقضى وقدر ، وحكم ودبر ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، قال تعالى :

(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) .

فأما المؤمنون فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وهم من خشيته مشفقون ، وأما الظالمون فهم في غمرتهم ساهون ، وفي جهالتهم يعمهون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة غافلون .

تِلْكَ الْحَقِيقَةُ قِفْ بِنَايَا سَارِي حَتَّى أُرِيكَ بَدِيعَ صُنْعِ الْبَارِي
الْأَرْضُ حَوْلَكَ وَالسَّمَاءُ اهْتَزَّتَا بِرَوَائِعِ الْآيَاتِ وَالْآثَارِ
فَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ رَبُّ الْعِبَادِ مُقَدِّرُ الْأَقْدَارِ
وَانظُرْ إِلَى الزَّلْزَالِ وَالْفَيْضَانِ وَالْإِ عَصَارِ وَالْهَوْلِ الْعَظِيمِ الْجَارِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَمْرُهُ وَقَضَاؤُهُ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ وَالْأَقْطَارِ
فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ الْعَظِيمَ وَلِذَلِكَ بِهِ فَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَافِرُ الْأَوْزَارِ

هذه نصيحة عامة وتوجيه لعامة إخواننا المسلمين في مشارق
الأرض ومغاربها ، لعله ينتفع بها غافل أو يتعظ بها جاهل ،
فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

اللهم ارفع عنا البلاء والغلاء ، والزلازل والفتن ، ما ظهر
منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة ، وعن سائر بلاد المسلمين
عامة يا رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

الإمام مالك بن أنس

وكتاب الموطأ

حبيب إلي جداً أن أتحدث عن كتاب الموطأ للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى وما لهذا الكتاب من المكانة السامية بين كتب الحديث وما لمؤلفه الإمام من الإجلال والتقدير وخدمة السنة وانتقاد الرجال وقوه الاجتهاد الموطأ تأليف الإمام الهمام حجة الإسلام مصباح السنة أبي عبد الله مالك بن أنس رحمه الله تعالى ، إمام أهل الهجرة الذي تضرب إليه أكباد الإبل .

اتفق المحدثون على جلالة نفع هذا الكتاب وفضل مصنفه . فئن كانت الكتب تتفاضل من جهة فضل المصنف أو من جهة التزام الصحة أو من جهة شهرة أحاديثها أو من جهة القبول لها من عامة المسلمين أو من جهة حسن الترتيب واستيعاب المقاصد المهمة ونحوها من الآداب ، فإن هذا الكتاب الجليل احتوي على جميع هذه الأمور وحسبك أن واضعه الإمام مالك الذي اتفق أهل النقل قاطبة على أن الحديث إذا ثبت بروايته

كان في الذروة العليا من الصحة ، والإمامان المتأخران الشافعي وأحمد هما من تلامذته والمستفيدين من علمه رحمهما الله ، أما التزام الصحة فقد قال الشافعي رحمه الله ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله تعالى أصح من موطأ مالك - وقال الحافظ مغلطاي الحنفي : أول من صنف الصحيح مالك ، وقال الحافظ ابن حجر : كتاب مالك صحيح عنده وعند من قلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما ، يعني أن العلماء اختلفوا في العمل بالمرسل والمنقطع فذهب الإمامان مالك وأبو حنيفة وأكثر العلماء من التابعين إلى صحة العمل بهما ، ويصح عندهم الاستدلال بقول عمر وأمثاله والاستدلال باتفاق جمع من التابعين من أهل المدينة ، فالإمام مالك عمل بمقتضى أصله وليست هذه العلة عنده قادمة في صحة الحديث عنده لأنه يعرف وصل المرسل فيرسله لقصد خاص فيكون الموطأ عنده صحيحاً - وقال السيوطي أن المرسل حجة عند مالك ومن وافقه في هذه المسألة ، وكذلك حجة عندنا يعني الشافعية إذا اعتضد بالرواية المرفوعة أو بموقوف صحابي وليس في الموطأ مرسل إلا وقد اعتضد بالروايات المرفوعة إما بلفظها أو بمعناها ،

فالصواب أن يقال إن الموطأ صحيح عند الجميع ، قال الإمام ولي الله الدهلوي وأقول إن أصحاب الكتب الستة والحاكم في المستدرک بذلوا وسعهم في وصل مراسيل مالك ورفع موقوفاته فكانت هذه الكتب شروحاً للموطأ وتمامات له ولا يوجد فيه موقف صحابي أو أثر تابعي إلا وله مأخذ من الكتاب والسنة كما تراه في شرحنا ، قال : وقد ألف الحافظ بن عبد البر كتاب التمهيد في وصل ما في الموطأ من المراسيل وقال جميع ما في الموطأ من قوله بلغني وعن الثقة عنده وأمثال ذلك أحد وستون حديثاً وكلها مسندة من غير طريق مالك إلا أربعة أحاديث لم نعرف مأخذها والله أعلم .

أحدهما : (إِنِّي لَا أُنْسِي وَلَكِنْ أُنْسِي لِأَسْنٍ) .

وثانيها أن الرسول ﷺ ، (أُرِيَ أَعْمَارَ النَّاسِ) الحديث .

وثالثها : قول معاذ : آخر ما أوصاني رسول الله ﷺ ، وقد

وضعت رجلي في الغرز قال :

« حَسَنُ خُلُقِكَ لِلنَّاسِ » .

رابعاً : إِذَا نَشَأَتِ الْجَرَبَةُ ثُمَّ تَشَاءَمَتْ فِتْلِكَ عَيْنٌ غَدِيقَةٌ .

قال وهذه الأربعة ولو لم تثبت بلفظها ولكن معناها صحيح قلت وقد حدثني الشريف عبد الحي الكتاني بأن الحافظ عمر ابن الصلاح ألف كتاباً خاصاً في وصل هذه الأربعة الأحاديث . أما شهرة المؤلف فقد رواه عن مؤلفه جم غفير من الخلفاء والعلماء ، فمن الخلفاء الرشيد وابناه الأمين والمأمون ، وقيل المهدي والهادي ، ومن الأئمة : الشافعي ومحمد بن الحسن بلا واسطة والإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي وجماعة عنه وأبو يوسف عن رجل عنه ، ومن المحدثين جماعات كثيرة فمن أصحاب مالك يحيى بن يحيى وابن القاسم وأصبغ ، ومن الصوفية : ذو النون المصري ، ومن المصريين والشاميين : خلّاتق .

ونسخ الموطأً تزيد على ثلاثين نسخة والحافظ بن عبد البر وضع كتاب الاستذكار والتمهيد على إثني عشرة نسخة هي أقواها وأشهرها قال القاضي عياض : لم يعتن بكتاب مثل ما اعتني بالموطأً من شرح وتعليق وتخريج وشرح غريب ووصل مرسل واستنباط أحكام ، أما قبول المسلمين للموطأً ، فالمالكية عملهم عليه وهو أصل مذهب الشافعي رحمه الله ومادة اجتهاده

وإن كان تعقبه في بعض المواضيع وخالفه في ترجيح الروايات في مذهبه الجديد ، ورأس المال لفقهِ الإمام محمد في المبسوط وغيره هو الموطأ ، وإلا فالآثار التي يرويها عن الإمام أبي حنيفة لا تكفي جميع مسائل الفقه ، وكثيراً ما يقول محمد في موطئه وبه أقول وبه كان يقول أبو حنيفة والبخاري إذا وجد الحديث من طريق مالك لا يعدل عنه إلى غيره إلا إذا لم يكن على شرطه فيورد له شواهد وفي كثير من المواضيع يستشهد لآثار الموطأ بإشارة الحديث وإيمائه ، وأما من جهة الترتيب فقد دون مالك في الموطأ ما يتعلق بالأحكام وتكلم على جميع أبواب الفقه ، وجمع من أحاديث أهل الحجاز ما كان قوياً ثم شرحها بمراسيل وبلاغات أقوال الصحابة وفتاويهم وفتاوى التابعين وهذه كانت طريقة التصنيف في الحديث في المائتين وبعد المائتين أخذوا في تصنيف المسانيد وأفراد الأحاديث عن الآثار ، قال أبو بكر الأبهري جملة ما في الموطأ من الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة ١٧٠٠ حديث المسند فيها ٦٠٠ حديث والمرسل ٢٢٢ حديث والموقوف ٦١٧ ومن أقوال التابعين ٢٧٥ ، وكان مالك قد جمع في الموطأ أولاً عشرة آلاف حديث ، ثم صار

ينظر فيها كل يوم وينقص منها إلى أن بقي هذا لعدد ، وقيل
للأبي حاتم لم سمي الموطأ ؟ فقال شيء قد صنفه ووطأه للناس
حتى قيل موطأ مالك ، ولما ألف الإمام موطأه شرع كثير من
العلماء في تأليف مثله ، فقيل للإمام أتعبت نفسك بتأليف
هذا الكتاب وها قد ألف الناس مثله فقال ستعلمون... لا يقبل
من هذه الكتب إلا ما أريد به وجه الله تعالى ، فبعد زمن قليل
ما عرف شيء من تلك الكتب ، كأنها ألقيت في البئر ، ثم اعلم
أن مبنى فقه الإمام في موطئه على الحديث أولاً مسنداً كان أو
مرسلاً ، ثم على قضايا الفاروق رضي الله عنه لأن رأيه كان
موافقاً للوحي والتنزيل غالباً ، ثم على عمل ابن عمر رضي الله
عنه لأن أكابر الصحابة شهدوا له بالاستقامة والتفوق في
الاتباع والمحافظة على الأثر ، وقالت السيدة عائشة أم المؤمنين
رضي الله عنها : ما رأينا أُلزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر
ومما يدل على استقامته عدم مداخلته في الفتن ، ثم على اختيار
أقوال التابعين وعمل أهل المدينة لأن المدينة كانت روح البلاد
وقلب الأمصار والناس يفتدون إليها ويأخذون عن أهلها
ويعتمدون ما يكون فيها ، وأسانيد مالك كثيرة وأجلها مالك

عن نافع عن ابن عمر ، وهي الموسومة بسلسلة الذهب ؛ ومشايخ مالك كلهم مدنيون إلا ستة هم : أبو الزبير المكي ، وحميد الطويل ، وأيوب السختياني من البصرة ، وعطاء الخراساني وعبد الكريم من الجزيرة ، وإبراهيم بن أبي عبلة من الشام أما توضيح صناعته الاجتهادية والحديثية فسنفرد لها إن شاء الله تعالى محاضرة خاصة .

ولد الإمام سنة ٩٤هـ ومات سنة ١٧٩ وكان عمره ٨٧ سنة . ومكث في المدينة في منصب الافتاء والاجتهاد ٦٠ سنة ؛ وكانت ترد عليه المسائل من الآفاق لأن المدينة كانت محط رجال العلماء ومرجع الفضلاء .

كان الإمام رحمه الله طويل القامة أصلع الرأس أبيض مائلا إلى الحمرة وكان مهيباً .

قال الشاعر :

يَدْعُ الْجَوَابَ فَلَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِئُ الْأَذْقَانِ
أَدْبُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي : ما رأيت أعقل من مالك ،

وقال يحيى بن سعيد القطان ويحيى بن معين : مالك أمير المؤمنين في الحديث ، وقال الشافعي : إذا ذكر العلماء فمالك النجم ، وقال أيضاً . ما من أحد آمن عليّ في دين الله من مالك ، وقال أيضاً : مالك وابن عيينه القرينان ، لولا هما لذهب علم الحجاز ، وقال سفيان بن عيينه في حديث : يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة نرى أنه مالك بن أنس ، وما أشد انتقاده للرجال ، رحم الله مالكا ، والثناء عليه من الأئمة كثير ، والله در ابن سعدون حيث يقول :

أَقُولُ لِمَنْ يَرُوِي الْحَدِيثَ وَيَكْتُبُ

وَيَسْأَلُكَ سُبُلَ الْفِقْهِ فِيهِ وَيَطْلُبُ

عَلَيْكَ مَوْطًا مَالِكٍ قَبْلَ فَوْتِهِ

فَمَا بَعْدَهُ إِنْ فَاتَ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ

هُوَ الْأَصْلُ طَابَ الْفَرْعُ لِطَيْبِهِ

وَلِمَ لَا يَطِيبُ الْفَرْعُ وَالْأَصْلُ طَيْبُ

هُوَ الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ بَعْدَ كِتَابِهِ

وَفِيهِ لِسَانُ الْحَقِّ بِالصِّدْقِ مُعْرَبُ

لَقَدْ أَغْرَبَتْ أَثَارُهُ بَيَانَهَا
فَلَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ مَكْذَبٌ
وَمِمَّا بِهِ أَهْلُ الْحِجَازِ تَفَاخُرُوا
بِأَنَّ الْمُوْطَأَ بِالْعِرَاقِ مُحِبُّ
جَزَى اللَّهُ عَنَّا فِي مُوْطَأَهُ مَالِكًا
بِأَفْضَلِ مَا يُجْزَى اللَّسِيبُ الْمُهِدَّبُ
لَقَدْ أَحْسَنَ التَّخْلِيفِ فِي كُلِّ مَا رَوَى
كَذَا فِعْلٌ مَنْ يَخْشَى إِلَاهَهُ وَيَرْهَبُ
لَقَدْ فَاقَ أَهْلَ الْعِلْمِ حَيًّا وَمَيِّتًا
فَأَضْحَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ فِي النَّاسِ تُضْرَبُ
وَمَا فَاقَهُمْ إِلَّا بِتَقْوَى وَخَشِيَّةِ
إِذْ كَانَ يَرْضَى فِي إِلَاهِهِ وَيَغْضَبُ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

بين الشاعرين

عثمان الراضي المكي وإبراهيم الأسكوبي المدني

الأستاذ عبد القدوس الأنصاري مدير مجلة « المنهل »
الغراء حفظه الله .

أزف سلاماً عاطراً ، وأضرع إلى الله تعالى أن يبارك فيكم
وفي مجلتكم الغراء التي فاقت لدينا بتبليغ رسالة الأدب العربي
ورفعه إلى مستواه الأسنى اللائق به ، والمحافظة على منتوجاته
وتاريخه قديماً وحديثاً . . . وبعد : فلقد أضافت مجلتكم « المنهل »
إلى سلسلة أعمالها الخالدة حلقة جديدة مباركة ، تؤتي أكلها
ضعفين ، حيث تعرض على القراء صورة من الأدب الناضج
في عصره الغابر ، وصورة رائعة أخرى من تطوره السعودي
الزاهر ولا ريب أن الأدب لأي أمة من الأمم هو مرآتها التي
تبرز صورتها للعالم ، بل هو لسانها الذي يدعو إلى معرفتها
وتحليل آمالها وتصوير آلامها وتحديد أهدافها ، فكم في
عرض هذه المنتوجات الأدبية ، من تخليد للآثار وتقديس للفن
وتوجيه للشباب وشحن لعزائمهم وتحليل لقيم الشخصيات
المعنوية وتلك في الحقيقة خدمة فنية كبرى للمكتبة الأدبية

العربية خصوصاً وللأمة الإسلامية عموماً ، وتهيئة للمواد الأساسية الأدبية تفسح المجال حلالاً ومآلاً لمن يريد أن يكتب عنا وعن أدبنا وتاريخه ، ولا غرو فالأدب هو عنصر الحياة العامة وخطواته خاضعة قهراً لناموس التدريج والارتقاء ؛ والأدباء هم الذين يفكرون في رقي الأمة ويعملون لمواصلة سيرها النشط حتى تفوز بأمانيتها ، فما أحراهم بالإجلال والتقدير والذكرى الخالدة ... ولقد اطلعت على كتابتكم عن الأدباء الأفاضل المشايخ عبد الجليل برادة ، والأسكوبي المدنيين والراضي المكي فسرتني ذلك . ولقد ظفرت أثناء مطالعتي العامة في كتاب (أنواء البروق تهذيب الفروق) لفضيلة شيخنا المحقق الأصولي العلامة محمد علي حسين المالكي مفتي المالكية في بحث الشرط اللغوي - بتحفة أدبية آثرت بها مجلة « المنهل » تحقيقاً لغرضها المنشود ، كما أنني آمل أن يكون مثل ذلك من كل فاضل يعثر على منتوج أدبي خالد ، وتلك التحفة الأدبية هي سؤال الشيخ عثمان الراضي المكي ، الشيخ إبراهيم الأسكوبي المدني عن لغز لصفى الدين الحلي في بيتيه المشهورين :

وعدت في الخميس وضلاً ولماً شاهدت حولنا العدا كالخميس

أَخْلَفْتُ وَغَدَهَا وَجَاءَتْ إِلَيْنَا قَبْلَ مَا بَعْدَ قَبْلِ يَوْمِ الْخَمِيسِ
وقد اختلف الشيخ عثمان الرازي والشيخ أحمد بافقيه في
تعيين يوم الوصال وذلك في ندوتهما الأدبية التي تعقد كل
أسبوع يوم الثلاثاء للاستجمام من عناء الدروس والأعمال ،
على العادة المكية ، فكتب الشيخ الرازي للاسكوبي محكما له
في ذلك وهذا لون من ألوان أدب ذلك العصر يدلنا على مكانة
الأدب واتصال الأدباء ومساجلاتهم ، وإقامتهم منتديات أدبية
تعرض فيها المنتوجات الأدبية والألغاز والمسائل العلمية إلى
إنشاد روائع الشعر وذكر غرائب القصص ، فكم تم فيها من
إنتاج نافع وكم وقع فيها من حل مشكل اجتماعي أو علمي
خطير مع المحافظة على الخلق الجميل والاعتراف بالفضل لأهله
والانتقاد النزيه من الغرض والحسد . وبهذا ينهض الأدب
فياليت أدباءنا اليوم يحققون بينهم مبدأ الاتصال . ويعيدون
مجال المنافسة والمذاكرة ، ويرفعون للأدب مناراً عالياً مشيداً
على إخلاص و يقين وخلق ودين .

المساجلة

قال الشاعر الشيخ عثمان الراضي المكي يسأل الشيخ
إبراهيم الأسكوبي المدني بها عن بيتي صفى الدين الحلي :

يَا إِمَاماً لِلْعِلْمِ وَالتَّدْرِيسِ
وَهُمَا مَأْ قَدْ جَلَّ عَنْ تَقْيِيسِ
ذَا الْعُلَا إِبْرَاهِيمُ الْأَسْكَوْبِيُّ أَوْلَى
مَنْ يَرْجَى لِكَشْفِ خَطْبِ عَمِيسِ
الْبَدِيعُ النَّفِيسُ وَالْمَاهِرُ الْمُبْدِ
عُ فِي صُنْعِهِ الْبَدِيعُ النَّفِيسِ
طَبَتْ غَرْساً فِي رَوْضَةٍ هِيَ طَابَتْ
مِنْ حِمَى طَيْبَةَ الْمَنْبِيعِ الْأَنْبِيسِ
أَنْتَ شَمْسٌ تُضِيءُ فِي كُلِّ عِلْمٍ
بِكَ تُجَلَى غِيَاهِبُ التَّلْبِيسِ
حُزَّتْ كُلُّ الْعُلُومِ كَسْباً وَوَهَباً
وَأَجَدَّتْ الْفُنُونُ عَنْ تَأْسِيسِ

لَكَ فَهَمْ لَا يَغْتَرِيهِ سِقَامٌ
وَذَكَاءٌ يَدْرِي بِمَا فِي النَّفْسِ
مَا يَقُولُ الْإِمَامُ فِي بَيْتِي الْحَدِ
ي الصَّفِيِّ الْمُحْكَمِينَ بِالتَّجْنِيسِ؟
(وَعَدَتْ فِي الْخَمِيسِ وَصَلَا وَكَمَا
شَاهَدَتْ حَوْلَنَا الْعِدَا كَالْخَمِيسِ)
(أَخْلَفَتْ وَعُذَّهَا وَجَاءَتْ إِلَيْنَا
بَعْدَمَا قَبْلَ بَعْدِ يَوْمِ الْخَمِيسِ)
أَيَّ يَوْمٍ جَاءَتْهُ مِنْ بَعْدِ خُلْفٍ؟
فَأَبِينُوا الْمَعْقُولَ بِالْمَحْسُوسِ
فَلَقَدْ جُلْتُ فِيهِمَا سَيِّدِي مَعَ
(أَحْمَدَ) الشَّهْمِ (بِأَفْقِيهِ) الرَّئِيسِ
وَاضْطَرَبْنَا فِي فَهْمٍ مَعْنَاهُمَا حَا
تَّى ضَرَبْنَا التَّخْمِيسَ فِي التَّسْدِيسِ
ثُمَّ دُرْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الدَّوِّ
رِ فَتَهْنَأُ عَنْ يَوْمِهَا الْمَرْمُوسِ

واخْتَلَفْنَا وَمَا اتَّفَقْنَا بِرَأْيٍ
 وَأَقَمْنَا فِي ذَاكَ حَرْبَ الْبَسُوسِ
 فَارْتَضَيْنَاكَ آخِرَ الْأَمْرِ فِينَا
 حَكَمًا إِذْ لَا عِطْرَ بَعْدَ عُرُوسِ
 ثُمَّ بَعْضُ الثَّقَاتِ فِي الْفَنِّ يَرَوِي
 وَهُوَ فِيمَا أَظُنُّ عَنْ تَهْجِيْسِ
 قَبْلَ مَا بَعْدَ قَبْلِ يَوْمِ الْخَمِيْسِ
 هَكَذَا رَاحَ مُشْتَبَأً فِي الطُّرُوسِ
 وَهُوَ لَا شَكَّ لَا يُطَابِقُ مَعْنَى
 مَا أَرَادَ الصَّفِيَّ بَعْدَ الْخَمِيْسِ
 فَتَأَمَّلْ فِي ذَا وَذَا غَيْرَ مَأْمُورٍ
 وَحَقِّقْ وَقِيَّتَ هَمِّ الْعُكُوسِ
 وَأَبْنِ لِي هَلْ ذَا صَحِيحٌ وَإِلَّا
 بَاطِلٌ أَوْ كِلَاهُمَا بِنَفِيْسِ ؟
 وَابْتَقِ وَأَسْلِمْ فِي يُمْنٍ حِظٌّ وَأَمْنٌ
 يَا إِمَامًا لِلْعِلْمِ وَالتَّنْذِيرِ

وقد أجابه الشاعر الشيخ إبراهيم الأسكوبي رحمه الله :

يَا عَلِيمًا بِكُلِّ مَعْنَى نَفِيسٍ وَصَدِيقِي وَمَطْلَبِي وَأَنْبِيسِي
أَنْتَ مَنْ فِي رَفِيعٍ مَجْدٍ وَفَضْلٍ وَمَقَالٍ لَهُ مَقَامُ الرَّئِيسِ
لَكَ مِنْ أَسْهُمِ الْبَيَانِ الْمَعْلَى فِي شُدُودِ فَاوَضْتَ أَوْفَى مَقِيسِ
وَلَكَ السَّابِقُ الْمَجْلَى إِذَا مَا رُمْتَ سَبْقًا بِحَلْبَةِ التَّدْرِيسِ
مَنْ كَعْنَمَانِ رَاضِيًا رَاقِيًا أَوْ جَ الْمَعَالِي بِطَيْبِ خِيَمِ وَسُوسِ ؟ !
أَوْ لَمْ تَكْفِكَ الْجَوَاهِرَ حَتَّى جِئْتَ بِالزَّهْرِ فِي قِيُودِ الطُّرُوسِ ؟ !
أَسْفَرَتْ عَنْ لِثَامِهَا بِنْتُ فِكْرٍ مِنْكَ رَامَتْ بِلُطْفِهَا تَأْنِيسِي
وَأَدَارَتْ عَلَى الْمَسَامِعِ مِنْهَا خَمْرَ مَعْنَى أَشْهَى مِنَ الْخُنْدَرِيسِ
وَأَشَارَتْ إِلَى لَطَائِفِ دَارَتْ بَيْنَ خَلِيْنٍ تَزْدَرِي بِالْكُوُوسِ
مَا عَلَى « بَافِقِيهِ أَحْمَدَ » زَيْدٍ إِنَّ ذَاكَ الْجَلِيسَ خَيْرُ جَلِيسِ
قَدْ تَسَابَقْتُمَا الْفَضَائِلَ حَتَّى نِلْتُمَا أَقْصَى الْمَرَامِ النَّفِيسِ
فَكَلَا الْفَاضِلَيْنِ أَحْرَزَ فَضْلًا لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ مَعْنَى الشُّمُوسِ

* * *

إِنَّ بَيْتَ الصَّفِيِّ لَا شَكَّ مَعْنَا هُ لَعْمَرِي انْبَنَى عَلَى تَأْسِيسِ

بَيِّدَ أَنْ أَكْثَرَ الظُّرُوفِ لِقَصْدٍ
أَوْ يَخْفَى عِيدٌ وَعِيدٌ وَعِيدٌ
إِنْ هَذَا الْمُرَادَ إِنْ قَالَ جَاءَتْ
صَحَّ مَنْ قَالَ قَبْلَ مَا بَعْدَ لَكِنْ
أَيْنَ تِلْكَ الرَّبُوعِ مِنْ يَوْمِ عِيدٍ
دُمْتُمْ فِي لَبُوسِ صِحَّةٍ نَعْمَى
رَامَ مِنْهُ غَرَابَةَ التَّلْبِيسِ
عَمَّ يَوْمَ الْعُرُوبَةِ الْمَانُوسِ
بَعْدَ مَا قَبْلَ بَعْدَ يَوْمِ الْخَمِيسِ
نَكَّسَ الْيَوْمَ غَايَةَ التَّنْكِيسِ
مَنْ يَرُدُّ السَّعِيدَ لِلْمُنْحُوسِ
مَنْ أَجَلَّ الْمَلْبُوسِ غَيْرَ لَبِيسِ

* * *

وأقول : إن مجمل هذا الجواب أن وعدها كان يوم الجمعة
وعلى الرواية الأخرى يكون يوم الأربعاء وهو مبني على قاعدة
أن كل ما اجتمع فيه « قبل » و « بعد » حكمه أنهما يلغيان
لأن كل شيء حاصل بعد ما هو قبله ، وقبل ما هو بعده ، فلا
يبقى حينئذ إلا بعد يوم الخميس فيكون يوم الجمعة ...
وعلى نمط هذا النظام الأدبي سلك الفقهاء هذا المسلك فقال
الإمام الموصلي :

مَا يَقُولُ الْفَقِيهُ أَيَّدَهُ اللَّهُ ۚ وَلَا زَالَ عِنْدَهُ الْإِحْسَانُ
فِي فَتَى عَلَّقَ الطَّلَاقَ بِشَهْرٍ قَبْلَ مَا بَعْدَ قَبْلِهِ رَمَضَانَ

وقد شرحهما الإمام شهاب الدين القرافي في فروقه في الفرق الثالث بين الشرط اللغوي وغيره وسلمه الإمام ابن الشاط في حاشيته . . . هذا ولنا عودة إن شاء الله إلى نشر ما أمكن جمعه في مجلتنا الأدبية ، كما أنني أرجو لها كل تقدم ونجاح .

* * *

الفهرس

الصفحة	بيان
٣	مقدمة الكتاب
٧	من واجبات الدين
١٣	الإيمان بالله
١٧	محاسن الإسلام رقم ١
٢٩	» » ٢
٣٧	» » ٣
٤٦	فضل الصبر عند المصائب
٤٩	فضل العلم
٥٣	الحث على فعل الخير
٥٧	مصاحبة الأبرار ومجانبة الأشرار
٦٢	اتق شر من أحسنت إليه
٦٦	التحذير من عواقب المعاصي
٧٠	حسن المعاملة مع الناس
٧٤	عناية الإسلام بالنظافة والصحة
٨٠	شرح دعائم الإسلام
٨٤	عناية الإسلام بنظام الحياة الزوجية
٨٩	إصلاح المجتمع
٩٥	أدب الإسلام في نظام الأسرة
١١٧	الحث على المواساة
١٢١	التحذير من المدارس الأجنبية

الصفحة	بيان
١٢٦	التمسك بالدين الإسلامي ..
١٣٢	التحذير من الكذب على رسول الاسلام
١٣٧	التعليمات لأحكام الحج ..
١٤٣	حج النبي (ﷺ) ..
١٤٧	الموكب النبوي في حجة الوداع
١٥٦	فسخ الحج إلى العمرة
١٦٠	الوقوف بعرفات
١٦٢	ما بعد الحج
١٦٦	حديث عيد الأضحى ..
١٦٩	من مزايا المسجد الحرام
١٨١	الكعبة المشرفة .
١٨٥	المسجد النبوي الشريف .
١٩١	إعجاز القرآن ..
١٩٦	فضائل حفظ القرآن ..
٢٠٣	تفسير القرآن بالرأي ..
٢٢١	ترجمة القرآن الشريف ..
٢٣٢	عوداً إلى القرآن والسنة ..
٢٤١	العناية بالقرآن المجيد .
٢٤٦	من آداب تلاوة القرآن ..
٢٤٩	من قصص القرآن ...
٢٥٨	المهجرة « من الدروس النبوية »
٢٦٩	ساعة الجمعة وآداب الدعاء

الصفحة	بيان
٢٧٤	قدوم رمضان المبارك ..
٢٨٠	رمضان مدرسة الهداية والتقوى ..
٢٨٥	حكم السواك للصائم
٢٩٠	حديث الصيام
٢٩٣	خطبة عيد الفطر
٢٩٧	حقوق الجار
٣٠٢	التحذير من الغش والتطفيف
٣٠٨	التحذير من التشاؤم بشهر صفر
٣١٣	ارشاد وتوجيه
٣١٦	المساجد بيوت الله
٣٢١	فضل صلاة الجماعة
٣٢٦	رسالة والد لولده وتوجيهه للخير
٣٣١	رسالة من مرب إلى طالب
٣٣٥	من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم
٣٤٠	حديث البيعة النبوية
٣٤٥	كلمة في الأخلاق
٣٥١	نصيحة قيمة
٣٥٦	فضل الخير على المسلم
٣٦١	الإحسان إلى الخدم
٣٦٥	الوصايا النبوية
٣٧٠	بر الوالدين
٣٧٥	من السيرة النبوية
٣٨١	الطب النبوي الشريف

الصفحة	بيان
٣٩٩	فضيلة الصدق ...
٤٠٤	صلة الرحم
٤٠٩	التواضع
٤١٢	مشكلة الزواج وعلاجها ...
٤١٧	تحريم نكاح المتعة ...
٤٢٣	التحذير من الطلاق ...
٤٢٨	التحذير من السباب ..
٤٣٣	تنبيه وتوجيه ...
٤٣٧	الإمام مالك بن أنس ...
٤٤٦	حوار بين شاعرين ...
٤٤٩	مساجلة شعرية ...



مطابع الدوحة الحديثة